جامعة الدكتور يحيى فارس - المدية -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغات الأجنبية

دراسة تحليلية وصفية لترجمة حكايات شارل بيرو من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية

" ذات القلنسوة الحمراء، القط ذو الجزمتين،

وذو اللحية الزرقاء نماذجا "

مذكرة لنيل شهادة ماستر في الترجمة

إعداد الطالبة:

هاجر تشيكو

تحت إشراف الأستاذ:

فريد عزيزان

السنة الجامعية: 2015/2014

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	01
الفصل الأول: أدب الطفل والترجمة الأدبية	05
المبحث الأول: أدب الطفل	06
1. تعريف أدب الطفل	06
2. أهمية أدب الطفل	08
3. كيف نكتب للأطفال ؟	11
4. أدب الطفل في العالم العربي	14
5. أدب الأطفال في العالم الغربي	16
المبحث الثاني: حكايات شارل بيرو	18
1. كتاب فرّ من الأدب	18
2.1. كتاب موجه للأطفال؟	18
3.1. كتاب عصر	19
4.1. الثقافة المزدوجة	20
5.1. الخيارات التي قام بها بيرو	20
6.1. من أين جاءت الحكايات؟	20
2. شارل بيرو، " الخادم العظيم " والأديب	21
1.2. المنبت والعائلة	22
2.2. نشأته ودراسته	22
3.2. الحكايات وأصولها	23
4.2. المصادر المحتملة	23
1.4.2. الكتاب الإيطاليون	23

2.4.2. أدب الباعة المتجولين 24
3.4.2. التقاليد الشفهية 24
3. أصل مختلف الحكايات والتعديلات التي قام بها بيرو 25
1.3. تحليل حكاية صاحبة الرداء الأحمر الصغير 25
1.1.3. المزج بين التقاليد 25
2.1.3. حكاية ذات نهاية سيئة 25
3.1.3. التعديلات التي قام بها بيرو 26
2.3. تحليل حكاية صاحب اللحية الزرقاء 27
3.3. تحليل حكاية السيد القط أو القط ذو الجزمتين 28
4. جمالية حكايات بيرو وشهرتها 29
المبحث الثالث: الترجمة الأدبية وأساليبها 32
1. نبذة عن تاريخ الترجمة 32
2. تعريف الترجمة الأدبية 35
3. أساليب الترجمة الأدبية 38
1.3. الترجمة المباشرة 39
1.1.3. الترجمة بالاقتراض 39
2.1.3. الترجمة بالنسخ أو المحاكاة 40
1.2.1.3. المحاكاة البنيوية 40
2.2.1.3. المحاكاة التعبيرية 40
3.1.3. الترجمة الحرفية 41
2.3. الترجمة غير المباشرة (الحرّة) 42
1.2.3. التكييف أو التحوير 43
2.2.3. الإبدال 43

3.2.3. التكافؤ 43
4.2.3. التصرف 45
الفصل الثاني: دراسة تحليلية وصفية لترجمة حكاية ذات القلنسوة الحمراء، والقط ذو الجزمتين، وذو اللحية الزرقاء 46
I. الحكاية الأولى : Le petit Chaperon rouge / ذات القلنسوة الحمراء 47
ملخص الحكاية 47
المثال 1 48
المثال 2 49
المثال 3 49
المثال 4 50
المثال 5 50
المثال 6 50
المثال 7 51
المثال 8 51
المثال 9 51
المثال 10 52
المثال 11 52
II. الحكاية الثانية : Le maître Chat, ou le Chat botté/ القط العارف أو القط ذو الجزمتين. 53
ملخص الحكاية 53
المثال 1 54
المثال 2 54
المثال 3 55

المثال 4 55
المثال 5 56
المثال 6 56
المثال 7 56
المثال 8 57
المثال 9 58
المثال 10 58
III. الحكاية الثالثة: La Barbe bleue/ ذو اللحية الزرقاء 59
ملخص الحكاية 59
المثال 1 60
المثال 2 61
المثال 3 61
المثال 4 62
المثال 5 62
المثال 6 63
المثال 7 63
المثال 8 64
المثال 9 64
المثال 10 65
المثال 11 66
خاتمة 67
قائمة المصادر والمراجع 71

إهداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار.. إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ..

أبي الغالي

إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاءها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي العزيزة

إلى من شاركني عناء وجهد هذا البحث

قرة عيني زوجي المخلص

إلى ملاكي في الحياة .. إلى فلذة كبدي ونور عيوني .

إبنتي الحبيبة

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي .. إلى

أخي وأختاي

حفظكم اللّه لي ورعاكم

هاجر

كلمة شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر و التقدير إلى أستاذي فريد عزيزان الذي أشرف على هذا البحث ..

والذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيّمة ..

كما أتوجه بالشكر إلى جميع الأساتذة الذين أطروا هذه الدفعة ..

إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرين

إلى جميع زملائي في الدفعة .. والدفعة السابقة ..

وإلى كل من قدم لي يد المساعدة ..

كما أقدم كل الشكر والعرفان إلى كل من أهداني في هذا الكون حرفا ..

إلى كل من علمني معنى ..

إلى أساتذتي الرائعين

هاجر

مقدمة

مقدمة:

شهد العالم منذ نشأته تطورات عديدة عاشها الإنسان منذ الأزل، وقد ساهمت هذه التطورات في بناء الحضارات وقيام المدن الكبرى والدول في كافة أرجاء المعمورة. ومن هذه العوامل كان العامل البشري واندماج جميع طوائفه وشرائعه في انفتاح المعلومة ومعرفة الغير، فاختلط العرب مع الفرس والعجم مع العرب، وأعطى الأسود للأبيض كما أعطى ذو البشرة الصفراء معارفه وتجاربه للآخرين. وهذا لا يحصل إلا بالاحتكاك، وبوسيط للتواصل بين هذه الشعوب المختلفة ثقافتهم ولغاتهم. أتكلم عن الترجمة طبعا، تلك اللفظة العملاقة القديمة الحديثة الحيّة على مر السنين. لقد كان لها من التاريخ ما تباهى لها الأيام، ولها من الأنواع ما سالت له الأقلام، ومن الأقسام ما يطول عنه الكلام، ولا يستغني عنها البشر من الأنام.

وإذا انتقلنا إلى صلب الموضوع الذي هو محل دراستنا، سنجد أن لا أحد ينكر ما للطفل من أهمية في حياة المجتمعات واستمرارها. ولا أحد بشاكٍ أن هذا البرعم الصغير بحاجة ماسة إلى أرضية مهيأة ومعدة بشكل صحيح لتكون له المنطلق في الحياة. فكما يحتاج الطفل للغذاء لينمو بيولوجيا يحتاج إلى المواقف والأفكار كي يستقيم سلوكيا وعقليا. تحديدا من هنا تبرز أهمية الحكايات الموجهة إليهم لما تحتويه من قيم أخلاقية سامية ومواقف تربوية هادفة، لذلك لا يمكن أن يخلو المجتمع من ظلال هذه المعارف في شكليها النثري والشعري.

كثيرا ما يولع الكبار بالأدب لأنه يثير جانبا مظلما من حياتهم فيشعرون بالسعادة لأنه أخرج ما كانوا يكبتون. كذلك يفعل أدب الصغار ببراعمنا، حاملا أحلامهم الصغيرة إلى عوالم بعيدة لما يحتويه من قيّم خيرية وطموح جامح ووصف للواقع في قالب خيالي جميل، فيكون من الصعوبة بمكان الجمع بين الجدّ في قالب الهزل لتُقدم الموعظة في شكل تلميحي. ولعل أشهر من مثّل عالم الطفل الأدبي هو " شارل بيرو" الذي كتب مجموعة من القصص الخرافية الرائعة، مضيفا إلى مثل هذا النوع من الكتابة الأدبية نكهة جديدة استهوت الصغار وحتى الكبار. كما ترجم كتابه إلى عدة لغات من بينها اللغة العربية، وتعد ترجمة ياسر عبد اللطيف

– "حكايات أمي الإوّزة" التي هي مدوّنة بحثنا هذا– أحسن مثال على رقي ذكاء المترجم وعبقريته العربي الذي إذا أحسن قراءة واستيعاب مثل هذه النصوص بعقله ووجدانه، أعطانا ترجمة جميلة رقيقة هادفة تعبر فعلا عن مقاصد وغايات شارل بيرو من حكاياته.

ولعل كتابة بيرو بأسلوب سردي رفيع ومحكم وبلغة أدبية جزلة وبتصوير دقيق جعل هناك اختلاف في ترجمة مثل هذه الحكايات، فعلى المترجم أن يجد نفس الطلاوة ويتذوق نفس الحلاوة ليترك البصمة التي خلفها الكاتب. والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح الآن كيف استطاع مترجم مثل هذه النصوص أن يحافظ على هذا الأثر الجمالي ذاته؟ وهل تمكن ياسر عبد اللطيف في نقل المعنى والشكل معا أم أحدهما على حساب الآخر؟ وما هي الأساليب والتقنيات الترجمية التي استخدمها في ترجمته للحكايات؟ وهل عكست الترجمة العربية الثقافة والعادات والتقاليد الفرنسية، أم نحس أحيانا بتلك الصبغة الثقافية العربية التي كثيرا ما تزين الحكايات العربية وترصعها؟ وأخيرا، هل استطاع المترجم إحداث نفس الأثر النفسي لدى القارئ العربي الصغير مثلما هو الحال في النسخة الفرنسية الأصلية للحكايات؟

تندرج إجابتنا على كل هذه التساؤلات ضمن دراستنا لترجمة النصوص الأدبية التي هي من أصعب الترجمات وقد أسالت الحبر الكثير لما صيغ فيها من جدل لا نهاية له. والأدب بحر قاصية شطآنه عظيم عبابه مستعصية لغته زئبقية مفرداته، خصائصه تجعل منه كالفرس الجامح الذي يأبى الانصياع والمطاوعة. هذه الخصائص ترفع من مستوى الصعوبة في إحكام اللجام عليه، وفي ظل هذه الظروف رأى بعض النقاد أن المترجم الأدبي لابد أن يكون كاتبا في حد ذاته لكي يصيب الإحساس الرقيق والخيط الرفيع الذي يحكم تلك المشاعر، كما نادى فريق آخر إلى ضرورة اجتناب الترجمة الحرفية لأنها تفسد المعنى وتغيّب جماله.

هذه القضايا المثيرة للجدل هي ما تسعى النظريات الجديدة احتوائها والوقوف عليها. فإذا كانت الأمور بهذه الصعوبة في الأدب عامة فما بالنا بأدب الطفل؟ زد على ذلك، تعد الترجمة عامة مهمة عويصة ولعل ترجمة أدب الأطفال أكثر صعوبة، هذه الصعوبة هي التي رمت بي

في بحر هذا الموضوع الذي يحمل عنوان " **دراسة تحليلية وصفية لترجمة حكايات شارل بيرو من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية: ذات القلنسوة الحمراء والقط ذو الجزمتين وذو اللحية الزرقاء نماذجا** "، ونصب رؤانا لنطّلع على كيفية تعامل المترجم مع النص الأصلي ومدى محافظته على المعاني الأصلية لنكشف مدى نجاحه في نقل تلك المكتسبات إلى الطفل العربي.

لقد جاء البحث مقسما إلى فصلين ومسبوقا بمقدمة ومذيلا بخاتمة. فأما الفصل الأول فأسميته: أدب الطفل والترجمة الأدبية، مقسما هو أيضا إلى ثلاثة مباحث: يعطينا المبحث الأول لمحة عن أدب الطفل: تعريفه، أهميته، كيفية كتابته وتاريخه عند كل من العرب والغرب. وجاء في المبحث الثاني التعريف بحكايات " شارل بيرو" والتعريف بالمدوّنة وترجمتها. وأتحدث في المبحث الثالث عن الترجمة الأدبية، وتناولت فيه نبذة تاريخية عن الترجمة ومختلف تقنياتها، وذلك استنادا إلى الأساليب التي وضعها فيني وداربيلني. وأما الفصل الثاني فهو الجزء التطبيقي، وقد اجتبيت فيه ثلاث حكايات شهيرة لشارل بيرو وترجماتها العربية، علما أن بيرو كتب تسع حكايات. واخترت لكل حكاية عدة أمثلة تعكس أسلوبا ترجميا معينا أو مشكلة في نقل المعنى أو ترجمة إبداعية رائعة.

ولقد فرضت علينا طبيعة الموضوع دراسة تحليلية وصفية بوصف الإجراءات المعتمدة من قبل المترجم ثم تحليلها استنادا إلى نظريات الترجمة من أجل تسليط الضوء على ترجمة الأدب الخاص بالأطفال من خلال حكايات بيرو لتحديد مدى نجاعة المترجم والوقوف عند إشكالية تحوير المعاني في ترجمة الأدب والنزوع إلى الحفاظ على القالب الأدبي وضرورة تكييف العمل الإبداعي بما يتماشى مع طبيعة الأفراد وعادات المجتمع وحساب الفرق الثقافي بين بنية النص الأم والنص المترجم.

الفصل الأول: أدب الطفل

والترجمة الأدبية

المبحث الأول: لمحة عن أدب الطفل ص. 06

المبحث الثاني: حكايات شارل بيرو ص. 18

المبحث الثالث: الترجمة الأدبية وأساليبها ص. 32

المبحث الأول: أدب الطفل

1. تعريف أدب الطفل:

ينبغي قبل التطرق إلى أدب الطفل على وجه الخصوص، أن أعرج على الأدب عموما باعتباره النوع الذي يرتكز عليه أدب الطفل.

" كان الأدب، وما يزال، هو الذي يصور حقائق النفس البشرية بأسلوب تعبيري جميل، فالأدب سجل للأفكار وعرض للمشاعر، فبواسطة الفنون الأدبية يكشف الإنسان عن خلجات نفسه بكل أمالها وآلامها. كما تردد مفهوم الأدب بين الأجيال ليعبر كذلك عن الخبرات ومعارف الآداب والأخلاق الحسنة، التي يلقنها الآباء للأبناء ليواجهوا الحياة ويسلكوا فيها سلوكا محمودا، وهي نظرة أخلاقية تعني المنفعة والمتعة وتحمل كثيرا من معاني الحياة التي تنتظمها أحد وظائف الفن والإبداع جميعا، فالنتاج العقلي المدون في الكتب هو من المعاني الشائعة للأدب في العصر القديم... أما المعنى الخاص للأدب قديما فيدل على الكلام الجيد الذي يحدث عند تلقي لذة فنية إلى جانب المعنى الخلقي."[1]

ومن هنا يمكن أن نستخلص للأدب مفهومين رئيسيين:

- **معنى عام:** و هو يدل على الإنتاج العقلي المدون في الكتب في شتى فروع المعرفة، سواء أكان علما أم فلسفة أم أدبا خالصا.[2]
- **معنى خاص:** و يدل على الكلام الجيد الذي يحدث في نفس قارئه لذة فنية ويبعث في نفس المتلقي متعة وسروراً، سواء أكان شعرا أم نثرا.[3]

" أما أدب الطفل فهو نوع أدبي متجدد في الأدب الحديث موجه لمرحلة عمرية متدرجة من حياة الإنسان، يكتبه الكبار للصغار، في الفنون النثرية والشعرية المتنوعة في لغة تتناسب

---

[1] أحمد زلط، **أدب الطفولة، أصوله ومفاهيمه**، الشركة العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1997، ص. 19.
[2] أحمد زلط، **معجم الطفولة، مفاهيم لغوية ومصطلحات**، د.ت، القاهرة، مصر، 2000، ص. 64.
[3] نفس المرجع السابق، ص.64.

وجمهور الأطفال ومداركهم، وفقاً لمعايير كتابة النص الأدبي للأطفال. ومن أهم روافد أدب الطفولة في أي أدب لغة الحكايات الشفهية والشعبية، ويهدف أدب الطفل في سائر قوالبه إلى ترسيخ الوظائف الأخلاقية والتربوية والفنية والجمالية."[1]

" فأدب الأطفال هو أدب واسع المجال، متعدد الجوانب، ومتغير الأبعاد طبقا لاعتبارات كثيرة، مثل: نوع الأدب نفسه، و الفئة العمرية الموجه إليها هذا الأدب، وغير ذلك من الاعتبارات. فأدب الطفل لا يعني مجرد القصة أو الحكاية النثرية أو الشعرية، وإنما يشمل المعارف الإنسانية كلها."[2]

إذا أدب الأطفال هو أدب موجه إلى فئة محددة من الناس وهي فئة الأطفال من عمر بضعة أشهر وحتى مرحلة المراهقة، ويتكون هذا الأدب من أعمال شفهية ومكتوبة ومرئية ورقمية، كما لديها القدرة على تنمية النواحي الذهنية والعاطفية لدى الأطفال.[3]

إن الإنسان بطبيعته لديه شغف لعالم الطفولة وذلك بما يتميز به من خيال مبدع ينسى به مشاكل الحياة الخانقة، فيذهب لهذا العالم الجميل ليسلي نفسه ثم البراعم المتشوقة لعالم القصص. وهذه القصص تكون إما شعرا أو نثرا وتكون كذلك شفوية أو كتابية: فالشفوية منها تكون عادة من الحكايات التي تقصها الجدّة على الطفل عند نومه، وأما الكتابية فتتمثل في الكتب أو القصص القصيرة التي يقرأها الطفل أو التي تُقرأ له. لكن بين هذا وذاك يبقى الكتاب أفضل الأنواع متعة.

وتتفق هذه الأنواع في كونها تسعى إلى غرس قيّم معينة في شخصية الطفل وإعداده لرسالة البناء وتسلم راية الإنجاز بعد سنين مقبلة. فمسرح الصغار يهدف إلى تنمية ثقافة الطفل، وإضفاء السرور على روحه، ومعالجته من علل النفس والشخصية، كالخجل والانطوائية. وكذلك عروض التلفاز من شأنها أن تستغل كباعث للقيام بأعمال مفيدة، كحسن

---

[1] نفس المرجع السابق، ص.64.

[2] إسماعيل عبد الفتاح، **أدب الأطفال في العالم المعاصر**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2000، ص. 18.

[3] نجلاء نصير بشور، **أدب الأطفال العرب**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2012، ص. 7.

استغلال الوقت، و أيضا تنمية الذاكرة بربط ما يشاهده الطفل في التلفاز بما يقرأه في كتاب أو يشاهده بعينه، مما يزيد ذكاءه.[1]

وفي ضوء ما سبق لخص أحمد نجيب أدب الأطفال بإيجاز شديد في مفهومين رئيسيين:

- أدب الطفل بمعناه العام: وهو يعني الإنتاج العقلي المدوّن في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة.
- أدب الطفل بمعناه الخاص: وهو يعني الكلام الجيّد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية، سواء أكان شعرا أم نثرا، و سواء أكان شفويا بالكلام، أو تحريريا بالكتابة.[2]

من خلال ما تطرقنا إليه ندرك أن أدب الأطفال ليس بالأفكار أو الهواية أو حتى النشاط الذي يتسلون به، بل هو ما ينتجه الكبار – سواء ناثرين أو شعراء– متوجهين به إلى هذه الفئة الهامة من المجتمع.

2. أهمية أدب الطفل:

يعتبر أدب الطفل من الأدوات الهامة والأساسية في تنشئة الطفولة التي تعتبر أهم الدعائم والركائز للمستقبل كما أنها وسيطاً تربوياً، يتيح الفرصة أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم، ومحاولات الاستكشاف، واستخدام الخيال، وحب الاستطلاع، وإيجاد الدافع للإنجاز والتحرر من الأساليب المعتادة للتفكير، من أجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته، إنه بذلك ينمي سمات الإبداع لدى الطفل؛ حيث يقول الهيتي: " يؤلف أدب الأطفال أداة فنية من أدوات تنشئة الطفولة، التي تعتبر ركيزة المستقبل، لأنه يساهم في بناء شخصيتها التي تقوم عليها في الغد شخصية المجتمع الجديد."[3]

---

[1] محمد رفعت، **الطفل عناية وتربية**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986، ص. 124.
[2] أحمد نجيب، **أدب الأطفال علم وفن**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1991، ص. 278، 279.
[3] هادي نعمان الهيتي، **أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه**، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1977، ص. 5.

" هذا يعني أن أدب الأطفال يوفر سياقا نفسيا واجتماعيا يراعي سمات الإبداع وينميها خلال عملية التفاعل والتمثل والامتصاص من حيث استثارة المواهب، ومحاولة تنمية هذه المواهب عن طريق تحقيق جو من التسامح والدفء العاطفي والحب والديمقراطية. إنه يمثل ثقافة جزئية مؤثرة على الطفل في المرحلة العمرية التي ينمو فيها معرفيا ووجدانيا ومهاريا، كما أنه يمثل جانبا مهما من جوانب التربية في حياته، وبالتالي فإن دور أدب الأطفال في تنمية الإبداع والتأثير إيجابا أو سلبا في القدرات الإبداعية هو دور أساسي وجوهري."[1]

ويقول إسماعيل عبد الفتاح أيضا: " أدب الأطفال له آثاره الإيجابية في تكوين الأطفال، وبناء شخصياتهم، وإعدادهم ليكونوا رواد الحياة. والطفل هو الإنسان في أولى وأدق مراحله، وأخطر أدواره، فالأدب الإبداعي الموجه للطفل له طبيعته المميزة عن أدب الكبار، من حيث التعددية الواضحة لطبيعة هذا اللون من الأدب، ومن حيث وظائف التربية الوجدانية، والوظيفة الأخلاقية، والنمو اللغوي والانفعالي، والانفعال الإيجابي بالأدب عن طريق تنمية الحس الجمالي، أو التذوق الفني عند الطفل، واكتسابه للقيم والعادات والسلوكيات والمهارات اللغوية والتعبيرية، والميل إلى اللغة وآدابها، ومن ثم التعبير السليم عن مطالبه وأفكاره ومشاعره، ويجب توظيف كل تلك العناصر، بحيث تناسب توجهاتها عقلية الطفل وإدراكه، كي يفهم الطفل النص، ويحسه، ويتذوقه، ومن ثم يكشف بمخيلته غايته أو وظيفته."[2]

" وليس من شك في أن الأدب، وبخاصة في الجانب اللغوي منه الذي ينمو مع الطفل تبعا لتطور مراحل الطفولة المتدرجة يمثل القدرة المكتسبة؛ فاللغة باعتبارها الوعاء الحضاري للمعاني وسلوكيات التفاهم والاتصال، أيضا تدخل في إطار وظيفة الأدب، بل هي إحدى وظائف أدب الطفل، أي تنمية المحصول اللغوي قراءة وتحدثا وكتابة."[3] "ونجد كذلك أن اللغة هي وسيلة تمثيل الأفكار... ونقلها بين أفراد الجنس البشري، وكلما زاد الثراء اللغوي، وتوفرت

[1] حسن شحاتة، **أدب الطفل العربي (دراسات و بحوث)**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1994، ص. 12، 13.
[2] إسماعيل عبد الفتاح، مرجع سبق ذكره، ص.30.
[3] أحمد زلط، **أدب الطفولة "أصوله ومفاهيمه"**، مرجع سبق ذكره، ص23.

الكلمات المعبرة عن مختلف الأشياء والمفاهيم، زادت قدرة الفرد على التفكير والتعبير ونقل الأفكار، وأصبح أكثر فعالية ودقة."[1]

إن مسألة اللغة هي مسألة جديرة بالاهتمام وذلك لدورها المهم في التواصل والتعبير، وعلى هذا المنوال تكون صياغة النص، ولذلك أي تعقيد يعد عاملا مشوشا يؤدي إلى اضطراب الصورة لدى الطفل، لأن الهدف الأسمى للنص هو تمرير أفكار إيجابية وبناءة ليعيها الطفل. كما أن قدرته على حفظ الكلمات كبيرة، حيث تبقى راسخة في ذهنه إلى الكبر، وأصدق دليل على ذلك النشيد الوطني الذي رددناه منذ نعومة أظفارنا والذي لا نزال نحتفظ به في حجرة ذاكرتنا. كما أن للغة دور مهم في ترسيخ الروح الوطنية لدى الطفل (باعتبارها المنبع الذي يحوي كنوزها جميعا).

ولكتب الأطفال دور رئيسي في هذه المرحلة من خلال ما يتلقونه من أفكار وأحاسيس ومعارف جديدة. ومما لا شك فيه أن كتب الأطفال لها دور كذلك في تنمية قدرات الأطفال، وهذا ظاهر في ملاحظتهم الدقيقة لكل ما يحيط بهم.

ويقول سرجيو سابيني في هذا الصدد : " تساعد الحكاية والمطالعة على تقوية الملاحظة لدى الطفل وكذلك إثراء لغته، بل على التغلب على سطحية وضحالة تفكيره وخبراته ولاسيما إذا كانت الحكاية موضوعية مرتبطة بواقع الطفل وتجاربه. وعلى العكس من ذلك، إن كان مضمونها قائماً على الخيال أو بعيداً عن واقع الطفل، فإنها تفتح باباً على الخيال. ولاشك أن مآثر وميزات الحكاية والمطالعة واضحة لكل ذي عينين، وخاصة من الناحية اللغوية، فهما يثريان قاموس الطفل ويصححان نطقه، ويعممان استخدام الألفاظ والمفردات، ويقدمان له نماذج في سياق حي وشيّق، والأكثر من ذلك يتيحان فرصاً للحوار والمحادثة وللتعبير بالرسم وبأشكال

[1] أحمد نجيب، مرجع سبق ذكره، ص. 290.

التمثيل المختلفة.. كما أنهما – في نهاية الأمر – يعدان الطفل لتعلم القراءة الشخصية، أي قراءته بمفرده معتمداً على ذاته."[1]

" وتشير الإحصاءات حول قراءات الأطفال، أن الذين يقرأون منهم قراءات حرّة خاصة بهم هم في مقدمة التلاميذ، وثبت أن العجز في القراءة يعيق عملية التحصيل، وأن الطفل لا يستطيع أن يتقدم في عمله المدرسي وحياته العامة ما لم يكن قارئا جيدا لكتبه المدرسية وللمطبوعات الأخرى المخصصة للأطفال. وهذا ينفي نفيا قاطعا ما يقال من أن قراءات الأطفال الحرّة تؤثر تأثيرا سالبا على تحصيله المدرسي."[2] إلى جانب ما للقراءة "من أهمية في توسيع ميول الأطفال وترقيتها وإنماء خبراتهم ورفع مستواهم في جميع نواحي الحياة.

"إن هذه السمات لأدب الطفل جعلته وسيلة هامة استخدمتها المؤسسات المعنية بالتربية و التنشئة الاجتماعية من أسرة ومدرسة ومؤسسة دينية على مرّ العقود."[3]

3. كيف نكتب للأطفال ؟

يتميز الطفل عن الكبار بأمر مهم وهو الإحساس بكل شيء جميل يحيط به. وذلك لصفاء روحه ومشاعره الجميلة التي تمكنه من الكشف عن كل ما هو بريء. فالكاتب الذي يكتب لمثل هذه الفئة يجيد إيصال ما هو جميل بما هو بسيط معبر مثقف وبناء.

يقول أحمد زلط: " إن أدب الطفولة ليس سلّة نلقي فيها دون وعي كرة تخصصات العلوم الإنسانية أو الوسائط الفنية والإعلامية .. والطفولة مرحلة تتلقى ما يسد احتياجاتها ويشبع تذوقها الوجداني وفقا لإدراك مراحلها المتتابعة."[4] و عليه فإن كتاب الطفل " يجب أن يكون ترجمة صحيحة وصادقة لغة ومضمونا وإخراجا بحيث تشعر الطفل برغبة داعية لقراءته ومتابعته، وأن يكون كتاب الطفل بهذا كله وسيلة لتكوين اتجاهاته وقيّمه الصحيحة."[5] ولذا فإن

---

[1] سرجيو سابيني، **التربية اللغوية للطفل**، ترجمة فوزي عيسى و عبد الفتاح عبد الفتاح، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1991، ص. 130

[2] هادي نعمان الهيتي، مرجع سبق ذكره ص. 61، 62.

[3] نجلاء نصير بشور، **مرجع سبق ذكره**، ص. 9.

[4] أحمد زلط، **أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1994، ص. 7.

[5] حسن شحاتة، مرجع سبق ذكره، ص. 14.

" محاولة تكوين رأي حول تقبل الأطفال لكتاب ما، تتطلب بحث الأمر من الناحيتين الأدبية والنفسية، كما أن الأمر يتطلب قدرا لا يستهان به من التأمل والتفكير الصحيحين."[1]

وينبغي على أديب الأطفال أن يحيط بهذا العالم الغريب ويتعرف على جمهوره وهم الأطفال، لأن كل ما يكتبه يخضع لخصائص ولطبيعة هذا الجمهور وللمستوى العمري والإدراكي له. فعدم قدرة الأديب على فهم عالم الطفل يعد عاملا من عوامل صعوبة الكتابة له. "فأديب الأطفال لابد أن يكون فنانا ذي حس مرهف، لأنه يسهم في خلق ذوق فني في النشء الجديد، وأن يكون خياله خصيبا إنمائيا في تخيله، و أن يكون مخلصا، لأنه يغرس في النفوس الغضة معان سامية، و أن يكون مثقفا ثقافة واسعة تمكنه من إيصال نتاجه الأدبي إلى الأطفال بشكل مؤثر."[2]

كما يعتبر أديب الأطفال مرب بالدرجة الأولى قبل أن يكون مؤلف قصة، وعليه أن يخضع لقيود تربوية ونفسية، وأن يأخذ بعين الاعتبار نوع من التربية على جانب كبير من الفعالية والتأثير. يقول أحمد نجيب في هذا الصدد: " إن الاعتبارات التربوية يجب أن تحتل مكان الصدارة في أي عملية موازنة بين الاعتبارات، بحيث لا يمكن التضحية بها – ولو بصورة جزئية أو مؤقتة – في سبيل تحقيق حبكة قصصية ممتازة، أو في سبيل الوصول بالحدث المسرحي إلى قمة درامية ممتازة، أو في سبيل الوصول بالحدث المسرحي إلى قمة درامية مثيرة، أو في سبيل خلق عنصر فكاهة، أو عامل من عوامل التشويق... فهذه كلها أمور – رغم أهميتها – يجب ألا تصل إلى أهدافها الفنية على حساب الاعتبارات التربوية أو النفسية، وكاتب الأطفال الناجح يجب أن يعرف كيف يصل إليها في إطار قواعد التربية السليمة، وفي ضوء أصول علم نفس الأطفال."[3]

---

[1] نيكولاس تاكر، **الطفل و الكتاب (دراسة أدبية نفسية)**، ترجمة: مها حسين بحبوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1990، ص. 10.

[2] هادي نعمان الهيتي، مرجع سبق ذكره، ص. 85.

[3] أحمد نجيب، مرجع سبق ذكره، ص. 31.

كما ينبغي عليه أن يراعي الأدب الذي يتوافق مع الأطفال، من حيث الأسلوب والمضمون واللغة، مهما كان نوع هذا الوسيط الأدبي (كتاب أو مسرحية أو جريدة أو أغنية أو فيلما سينمائيا.. أو أي شيء آخر). " فقصص الأطفال أيضا تحتاج إلى فكرة وإلى رسم للشخصيات، مع تشويق وحبكة وبناء سليم... و مسرحياتهم إلى البناء الدرامي المتكامل، بما فيه من اختيار للفكرة، وبناء للمواقف والشخصيات، ووضع للحدث الأساسي الذي ينمو ويتطور من خلال الصراع الدرامي حتى يصل بالضرورة إلى النهاية الحتمية في ذروة المسرحية... إلى غير هذا من مقومات العمل المسرحي.. وأغاني الأطفال وأناشيدهم بدورها تتطلب من مؤلفها معرفة بقواعد علم العروض وأوزان الشعر وقوافيه، وموسيقى الألفاظ، وأسرار الجمال الشعري ومواصفاته الفنية... ومن البديهي أن كل هذه الاعتبارات الأدبية يجب أن تتفق مع مستوى الأطفال الذين نكتب لهم، ودرجة نموهم الأدبي ومدى ما وصلوا إليه من النضج الفني."[1]

كما تختلف كتابة القصة إذا كان الوسيط كتابا أو فيلما سينمائيا أو حتى إذا كانت جريدة يومية أو أسبوعية. " فالذي يكتب قصة لتخرج في كتاب يعتمد أساسا على الحروف بمقاساتها وأنواعها المختلفة، وعلى الرسم والصور والألوان وما إلى ذلك... وأما الذي يكتب نفس القصة للإذاعة، فيعرف أنه إنما يعتمد أساسا على التعبير بالصوت، ولكنه يجب أن يعرف أيضا أنه يمكن أن يستفيد من تسجيلات المؤثرات الصوتية المتاحة، ومن عناصر الموسيقى والغناء، ويمكنه أن يغير من لون الصوت ودرجته باستعمال الصدى Echo ، وغيرها من الإمكانيات الإذاعية..."[2]

إن هذه الاعتبارات وغيرها تجعل مبدع أدب الأطفال مكبلا بقيود واشتراطات كي تجعل منه قادرا على التعامل مع فئة عمرية هي أهم وأخطر مراحل في حياة الإنسان، ليتحول إلى المربي والفيلسوف والمفكر الذي يحاول أن يبني مجتمعا سليما عبر بناء طفولة مميزة وسليمة قادرة على بناء مجتمع سليم ومعافى.

[1] نفس المرجع السابق، ص. 32.
[2] نفس المرجع السابق، ص. 33.

وسأستعرض فيما يلي إلى أدب الطفل عند العرب ثم عند الغرب، دون الغوص عميقا في تاريخهما وجذور العلاقة التي تربطهما والموجودة بينهما.

4. أدب الطفل في العالم العربي:

لأدب الطفل علاقة قوية مع التراث عند جميع الشعوب والأمم، عند العرب وعند الغرب، وسنذكر بعضا منه في الفقرات الآتية:

" نشأ أدب الطفل في أحضان المدرسة (ومن قبل في التعليم الديني) في القرن الثامن عشر، غير أن تطوره المعتبر لا يبتعد عن نهايات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مع النشأة الصريحة لعلم النفس ونضوج التيارات التربوية الحديثة التي تنظر إلى الطفل محورا للتربية، أي أن تطور أدب الطفل مرهون على الدوام باكتشاف الطفل لنفسه ككائن يحتاج إلى خط يسير عليه."[1]

" وكانت النواة الأولى لأدب الطفل في التاريخ عند الإنسان الأول عبارة عن قصص لمغامراته والصعوبات التي كانت تعترضه كقسوة الطبيعة من برد وحر وجبال وأنهار ثم الصعوبات التي كان يواجهها من الحيوانات التي يستفيد منها. ثم تطور أدب الطفل لكي يتحدث فيه الأب لأطفاله عن المزروعات التي يقتات منها. ثم بدأ يحدثهم عن طبيعة المنطقة التي يعيش فيها حتى يعرف أولاده بها."[2]

" أما أولى القصص التي عرفتها البشرية فهي القصص المصرية المكتوبة على الورق البردي. وبقيت القصص عبارة عن حكايات وأساطير إلى أن جاء الإسلام حيث ظهرت القصص الدينية، إذ أدت الفتوحات الإسلامية إلى دخول قصص كثيرة من الشعوب والأمم غير العربية مثل الفارسية والرومانية واليونانية والهندية والإسبانية، ثم جاءت الترجمة فترجم كتاب

[1] عبد الله أبو هيف، **الهوية القومية في أدب الطفل العربي**، منشورات منظمة طلائع البعث، دمشق، 1982، ص. 28.
[2] عبد الفتاح أبو معال، **أدب الأطفال "وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم"**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص. 93.

(كليلة ودمنة) و كتاب (ألف ليلة وليلة) مع إضافات جديدة نابعة من الخيال العربي، مثل قصة حي بن يقضان، وقصة سيف بن ذي يزن و قصة عنترة بن شداد."[1]

" وكانت الظاهرة الساطعة في نشأة أدب الطفل العربي هي انطلاقته من قلب الحكاية العربية، الشعبية أولا ثم ألف ليلة وليلة والمأثورات والحكايات والسير والسرد الإخباري ثانيا. أما الملاحظة الجلية على صيرورة الحكاية العربية، فهي تغليب الترجمة والاقتباس من الأدب الأجنبي على جهود خطاب عربي أصيل للطفل العربي، تكون فيه الخصائص والسمات الفنية والفكرية تعبيرا عن مكونات الهوية القومية."[2]

والملاحظ أن هذه القصص الشرقية كألف ليلة وليلة على سبيل المثال ظلت تزود الغرب بأدبها الواسع والخصب، وتدفع به إلى ترجمتها بطرق كثيرة. وعلى ذكر هذه الأخيرة، فهي الدافع القوي لانتشار مثل هذه الخرافات والأقاصيص، وتجوالها في أنحاء العالم. ولا يمكن التكلم عن هذا الأدب دون الإشادة بجهود الأدباء الذين تفانوا في صنع أيقونات عربية جميلة للأطفال، حيث يقول عبد الفتاح أبو معال :" ألّف أمير الشعراء أحمد شوقي أول كتاب في أدب الأطفال، و كتب القصص على ألسنة الحيوانات والطيور، ومنها الصياد والعصفورة والبلابل التي ربّاها اليوم، و الثعلب والديك."[3]

" وجاء محمد عثمان جلال بكتابه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ"، وضمّه حوالي مائتي حكاية خرافية على ألسنة الحيوان.. وبرز كامل كيلاني كأكبر رواد أدب الأطفال العرب.. وأتت أولى إبداعاته غرقا من التراث، فكانت قصته الأولى السندباد البحري".[4]

[1] نفس المرجع السابق، ص. 96.
[2] عبد الله أبو هيف، مرجع سبق ذكره، ص. 33.
[3] عبد الفتاح أبو معال، مرجع سبق ذكره، ص. 97.
[4] نجلاء نصير بشور، مرجع سبق ذكره، ص. 15، 16.

5. أدب الأطفال في العالم الغربي:

أما في دول الغرب فيقول عبد الفتاح أبو معال أنه " بدأ مع النصف الثاني من القرن السابع عشر وكان ذلك في فرنسا مع الشاعر جون دي لا فونتين Jean De La Fontaine وصدور كتابه "حكايات خرافية" Les Fables عام 1668، وكانت معظمها تتداول بين الناس شفاهيا وتدور على ألسنة الحيوانات، ومن أشهرها حكاية "الثعلب والغراب". وتبعه شارل بيرو Charles Perrault الذي كتب خصيصا للأطفال كتابه بعنوان "أقاصيص وحكايات الزمن الماضي، مع عبر" أو "حكايات أمي الإوزة " عام 1697."[1] " وفي القرن الثامن عشر ظهرت كتابة أدب الأطفال بشكل جدي، و ذلك بظهور جون جاك روسو Jean Jaques Rousseau وكتابه إميل Emil سنة 1762 الذي اهتم بدراسة الطفل كإنسان قائم بذاته وذات شخصيته مستقلة. وبعد ذلك تمت ترجمة قصص ألف ليلة و ليلة إلى اللغة الفرنسية.[2]

ومن البلدان التي اشتهرت بأدب الأطفال بعد فرنسا "إنجلترا" التي ترجمت قصص كثيرة عن فرنسا ومن أشهر المترجمين الإنجليز روبرت سامبر Robert Samber الذي ترجم حكايات ماما الإوزة لشارل بيرو عام 1719.[3]

أما في الدانمارك فقد ظهر الكاتب المشهور هانز كريستيان أندرسن Hans Christian Anderson الذي كتب أشهر قصص يعرفها العرب والغرب على السواء، و تحتل مكانة كبيرة على شاشة التلفزيون، بل لطالما حركت ريشة الرسامين وترددت على ألسنة الأطفال وحتى الكبار، وتعدى الأمر ذلك حتى صارت أمرا يستدل به على الثقافة، إذ تحولت إلى موروث عالمي وملكية لكل براعم الدنيا مثل "ملكة الجليد" و"البنت الصغيرة بائعة الكبريت" و"البطة القبيحة" و"ثياب الامبراطور الجديد". وقد كتب أندرسن سنة 1873 كتابا بعنوان "كتاب مصور

[1] نفس المرجع السابق، ص. 10.
[2] عبد الفتاح أبو معال، مرجع سبق ذكره، ص. 94.
[3] نفس المرجع السابق. ص. 94.

دون صور" استوحاه من ألف ليلة وليلة، كما كانت قصته "الحقيبة الطائرة" من وحي البساط السحري الطائر.[1]

وفي أمريكا بدأت قصص الحكايات الشعبية تحكي عن القوة والأبطال، ثم ظهرت قصص المغامرات وقصص الحيوانات، وامتازت أمريكا عن غيرها بتخصيص قاعات مطالعة للأطفال حسب سنّهم. واشتهروا بتعدد المطابع ودور النشر المتخصصة للأطفال.[2] ومن الذين كتبوا بول بنيان Paul Bunyan وتوماس ستيرنز إليوت Thomas Stearns Eliot الذي كتب قصصا شعرية للأطفال. وفي أواخر الثمانينات أصبحت أمريكا تحتل مرتبة الصدارة في إنتاج أدب الطفل في العالم بحوالي ثمانية آلاف ناشر.[3]

[1] العيد جلولي، **النص الأدبي للأطفال في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص. 18، 19.
[2] عبد الفتاح أبو معال، مرجع سبق ذكره ، ص. 95.
[3] العيد جلولي، مرجع سبق ذكره، ص. 19، 20.

المبحث الثاني: حكايات شارل بيرو

- **ملاحظة:** جزء من هذا المبحث هي ترجمة لأجزاء منتقاة لدرس بعنوان

" Cours sur les Contes de Perrault"[1]

1. كتاب فرّ من الأدب : (ص. 1)

" إنه كتاب يستحق أن يحمل صفة عمل فني" (مارك سوريانو) [2](Marc Soriano): تستحق حكايات شارل بيرو أن نقرأها لأجل ذاتها بفضل صفاتها الجمالية وتميز أسلوب كاتبها، غير أنه من جملة المفارقات أن دراستها لا يمكن أن تكتفي بالوسائل التي درج النقد الأدبي على استعمالها، ذلك أن هذه الحكايات قد ولجت ميدان العلوم الإنسانية شكلا ومضمونا، فهذه الحكايات هي أيضا كتب نعرفها– أو نعتقد أننا نعرفها – منذ نعومة أظفارنا.

2.1. كتاب موجه للأطفال؟ (ص. 1)

تندرج الحكايات في آن واحد ضمن لونين أدبيين لم تعرف مكانتهما حق المعرفة، ألا وهما الأدب الشعبي وأدب الأطفال. ولكن، هل كتب بيرو هي حقا موجهة للأطفال؟ هل تتمتع بقيمة تربوية أو مصلحة للأخلاق؟ ففي الواقع هي تعج بالأهوال: أطفال يلتهمون، أب يزني بمحارمه، زوجة مضطهدة، بنات صغار يتم التعدي عليهم في الغابات، الخ. بيد أننا يجب أن نذكر بأن القيمة التربوية للقصص التي كتبها لافونتان Lafontaine على لسان الحيوان قد كانت هي الأخرى محلّ تشكيك الناقد الأديب جان جاك روسو Jean-Jaques Rousseau.

ولكن، كيف يعقل أن يقوم شارل بيرو – زعيم كتلة المعاصرين في ما يسمى بـ "الصراع بين القدماء والمعاصرين" – بتشكيل مجموعة من هذه القصص القادمة من ماض مظلم؟ كيف

[1] http : // lyceescheurerkestner.fr/IMG/pdf/**Cours sur les Contes de Perrault**.pdf

[2] Marc SORIANO, spécialiste de la littérature pour enfants, est l'auteur d'un livre qui a fait date : **Les Contes de Perrault, Culture savante et tradition populaire**, paru en 1968. C'est l'édition de 1978, rééditée chez Gallimard dans la collection Tel que nous citons ici.

يعقل أيضا أن يبحث هذا البرجوازي الكبير– الذي كان خادما لكولبير Colbert – عن أحد مواضيع كتبه بين أوساط الشعب؟

3.1. كتاب عصر: (ص. 1، 2)

" هو تعبير واضح ومميز عن تشاؤم الماضي الذي يظهر بالتحديد لحظة أزمة وجدانية أوربية." (مارك سوريانو)

للحكايات صلة بالمجتمع الذي رأت فيه النور، فقد لاحت في الأفق في نهاية القرن السابع عشر – كما بينه فيليب أرياس Philippe Ariès – بوادر حركة وضعت فيما بعد الطفل في صلب الخلية الأسرية.

من جهة أخرى، قام بيرو بحذف بعض الأحداث التي احتوتها الرواية الشعبية للحكايات من القصص التي كتبها بحكم انتمائه لصف المعارضين للإصلاح وفي موجة الاحتشام الشديد الذي ميز نهاية حكم لويس الرابع عشر، فعلى سبيل المثال تقوم صاحبة الرداء الأحمر الصغير في الرواية الشعبية لأحد هذه الحكايات بنزع ملابسها قبل أن تأوي إلى الفراش مع الذئب.

قام بيرو بإدراج بعض حقائق عصره في حكاياته، فنجده يذكر مثلا في حكاية "أصيبع Le petit poucet" المجاعة التي حلّت بفرنسا سنة 1693. يتعلق الأمر إذا بظاهرة التحديث، حيث يقوم راوي أو كاتب الحكايات بإضافة بعض العناصر المواكبة لزمانه بغية إثارة اهتمام مستمعيه وقرائه. في الواقع، يجدر بكل جيل جديد من القصاصين أن يستلموا زمام الحكاية من سابقيهم ويعيدوا صياغتها بغية تخطي حدود الزمان، وهنا يتعلق الأمر حسب مارك سوريانو بـ " عملية خصخصة processus de particularisation ".

انظر أيضا الإهداء الذي وجهه بيرو إلى سيد مجهول في مجموعة الحكايات التي كتبها تحت عنوان" جريزيليديس Grésilidis " والذي يبين فيه ما قام بإضافته بغية جعل الحكاية غنية بالأحداث ومثيرة للاهتمام.

4.1. الثقافة المزدوجة: (ص. 2)

تثير الحكايات مسألة العلاقة بين الثقافتين الراقية والشعبية، ولكن ما المقصود بالثقافة الشعبية؟ يمكن أن يكون التأثير بين هاتين الثقافتين متبادلا، فقد عادت بعض الحكايات – بعد أن تم تدوينها وطبعها – إلى كنف الأدب الشفهي وانصهرت فيما يدعى بالثقافة الشعبية، ونجد نفس الظاهرة في ميدان الموسيقى، فبعض أنواع الرقصات والموسيقى الشعبية هي في الواقع وليدة البلاط الملكي.

كانت الحكايات رائجة في 1960، غير أنه يجب التمييز بين الحكايات التي تنتمي إلى الثقافة الراقية – التي قامت بكتابتها مجموعة من السيدات وتتميز بأهمية بعدها الخرافي – وتلك التي تنبع من التقاليد الشعبية التي تعتبر حكايات بيرو خير مثال عليها.

5.1. الخيارات التي قام بها بيرو: (ص. 2)

قام بيرو بالاختيار من بين الكمّ الهائل من الحكايات الشعبية، حيث قام على وجه التحديد باستبعاد حكايات الحيوانات، أما فيما يتعلق بحكاية " صاحبة الرداء الأحمر الصغير" فهي الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، فالذئب يرمز إلى الرجل القبيح الذي يهجم على الفتيات الصغيرات أكثر من كونه ذلك الحيوان المفترس. يرى مارك سوريانو أن بيرو يحبذ الحكايات التي تقوم بتصوير شخصيات بشرية لأنه يستطيع أن يعكس من خلالها عقله الباطن، في حين يفضل لافونتان – على الأقل في القصص التي كتبها على لسان الحيوان– عالم الحيوانات الذي يتلاءم أكثر مع النقد السياسي.

6.1. من أين جاءت الحكايات؟ (ص. 2)

يمكننا أن نتساءل أيضا عن أصل هذه الحكايات، وقد كانت الأجوبة عن هذا السؤال عديدة ومبالغا فيها في أغلب الأحيان، فهناك حتى من رأى فيها تحولا لبعض الشعائر الدينية

في شكل قصصي، في حين يرى آخرون أن الحكايات وشخصياتها – لاسيما الجنيات والغيلان– قد تكون آخر الصور الرمزية لأسطورة وثنية يرجع أصلها إلى حد ما إلى بلاد الغال.

من بين كل هذه الفرضيات، تعد الفرضية التي وضعها الإخوة غريم Les frères Grimm هي الأرجح: تماما كما تنحدر أغلب لغات أوربا المعاصرة من لغة واحدة ألا وهي اللغة الهندو-أوربية، فقد تمثل الحكايات الأشكال المختلفة التي تتخذها نفس القصص النموذجية في أماكن متعددة، وهذا يفسر محاولة هذين اللغويين جمع الحكايات الشعبية الألمانية – التي تمثل بالنسبة إليهما واحدا من آثار الماضي الجرماني البعيد – في كتاب واحد.

وبالفعل، فإنه لا يخفى عن لبيب أن حكاية " عقلة الأصبع " تذكرنا ببعض أحداث أسطورة شيسيوس Thésée أو أسطورة تريستانTristan.[1]

هذه إشارة إلى أحد كتب بول هازار Paul Hazard الذي يحمل عنوان " الأزمة الوجدانية الأوربية " الذي ظهر في 1928 ويدرس التغير الذي طرأ على الذهنيات في نهاية القرن السابع عشر كتمهيد لقدوم عصر التنوير.[2]

2. شارل بيرو، " الخادم العظيم " والأديب: (ص. 3)

قام شارل بيرو قبل وقت قليل من وفاته في 1703 بتحرير "مذكراته" من أجل أولاده وبني إخوته، وقد استخدمت هذه المذكرات كأساس لمعظم الكتابات التي تناولت سيرة حياة بيرو.

من جانب آخر فإن كل حركات وسكنات بيرو كرجل دولة – سواء تعلق ذلك بوظيفته كعضو في الأكاديمية الفرنسية أو كخادم للدولة – لا تخفى عن القاصي والداني.

[1] فلاديمير بروب Vladimir Propp، **بنية الحكاية**، 1923
[2] فيليب أرياس، **الطفل والحياة الأسرية في ظل النظام القديم**، 1960

1.2. المنبت والعائلة: (ص. 3)

ينحدر شارل بيرو من عائلة برجوازية كبيرة يرجع أصلها البعيد إلى إقليم توران Touraine الفرنسي، تلك الطبقة التي راحت تبتعد شيئا فشيئا عن أصولها التجارية لتتحول إلى وظائف قضائية وسياسية، ألا وهي " الدواوين ".

2.2. نشأته ودراسته: (ص. 3، 4)

كل مساء، كان أب شارل يطلب من ولده القيام بتلخيص دروسه باللغة اللاتينية. تابع شارل دراسته الثانوية بتفوق من 1636 إلى 1644 بثانوية بوفي Beauvais قبل أن يتركها بسبب شجاره مع أستاذه في الفلسفة، ثم أكمل دراسته كعصامي التكوين وهو يعمل مع أحد أصدقائه الذي يدعى " بوران" Beaurain.

" كان نظم الشعر يستهويني أكثر من النثر، وكنت أحيانا أبرع في ذلك إلى درجة أن أساتذتي كانوا يسألونني عن من كتبه لي."[1]

" كنت أحب الشجار أثناء الدراسة أكثر من أي وقت آخر، سواء كان ذلك في أيام الدراسة أو أثناء العطل."[2]

لعائلة بيرو ميل طبيعي اتجاه مذهب الينسينية، حيث نجدها من أوائل قراء كتاب بلاز باسكال Blaise Pascal " الرسائل الريفية "Lettres Provinciales.

في 1651، تمت إجازة بيرو كمحامي بعد حصوله على شهادة ليسانس من جامعة أورليان Orléans في القانون المدني والكنسي.

[1] بيرو، ذكر من طرف مارك سوريانو.
[2] بيرو، ذكر من طرف مارك سوريانو.

3.2. الحكايات وأصولها: (ص. 9)

الحكايات عبارة عن " همزة وصل " (مارك سوريانو). ينتمي بيرو إلى عصر وبيئة يحبذان التقليد، فالكاتب لا يبحث عن التميز عن طريق الموضوع الذي يختاره، بل عبر الطريقة التي يعالج بها هذا الموضوع، فهو يطمح إلى التفوق على أقرانه وقريناته في ذلك، وعليه فإنه قد تكون مسألة المصادر التي اعتمد عليها بيرو أقل أهمية مما تبدو عليه، ومع ذلك فإن بعض المواضيع التي اختارها بيرو كانت مواكبة لروح العصر.

تثير مجموعة " حكايات أمي الإوزّة " Contes de ma mère l'Oye بعض الأسئلة:

- ما هو سبب صغر المجموعة؟ لماذا تتكون من ثماني حكايات نثرية فقط؟ لقد رزق بيرو الموهبة وكتب له النجاح، فلم لم يوسع نطاق جمعه وإعادة كتابته للحكايات الشعبية كما فعله بعد ذلك الإخوة غريم أو هانس كريستيان أندرسن ؟
- لماذا اختار بيرو هذه الحكايات بالتحديد من بين كل الحكايات الأخرى؟

4.2. المصادر المحتملة: (ص. 9)

توجد عدّة مصادر محتملة، نذكر منها:

1.4.2. الكتاب الإيطاليون: (ص. 9)

جيان فرانسيسكو ستراباروﻻ Gian Francesco Straparola– الذي تمت فرنسة اسمه في مدينة ستراباروﻝ Straparole– هو كاتب إيطالي عاش في النصف الأول من القرن السادس عشر، يعتبر كتاب "الليالي الثلاث عشر الممتعة" أشهر أعماله الفنية، وهو الكتاب الذي يسمى بالفرنسية "بالليالي المرحة أو الليالي الرائعة". ويتعلق الأمر بمجموعة تتكون من خمس وسبعين حكاية مستوحاة من قصص تناقلتها التقاليد الشفهية أو الكتابية، وقد قام جان لوفو Jean Louveau وبيار دو لاريفي Pierre de Larivey منذ القرن السادس عشر بترجمة هذه "الليالي"، في حين استوحى منها موليار Molière بعض المواقف وربما وجد فيها بيرو بعض أفكار حكاياته.

جيامباتيستا بازيل Giambattista Basile (الذي عاش من 1566 أو من 1575 إلى 1632) هو صاحب مجموعة من الحكايات المكتوبة باللهجة النابولية عنوانها "حكاية الحكايات أو تسلية الأطفال الصغار" التي تولت أخته أدريانا Adriana نشرها في 1634 و1636، ويبدو أن بازيل قام بتشكيل مجموعة من الحكايات التي تنحدر من تقاليد جزيرة كريت Crète اليونانية أو مدينة البندقية Venise الإيطالية في كتاب اشتهر باسم "بونتاميرون" Pentamerone ، وقد استعمل هذا العنوان لأول مرة في طبعة 1674، وفيه إشارة إلى كتاب بوكاس Boccace الذي يحمل عنوان " ديكاميرون " Decameron.

2.4.2. أدب الباعة المتجولين: (ص. 9)

أو ما يسمى بالمكتبة الزرقاء بسبب لون ورق الغلاف، وقد اعترف بيرو بعظمة لسانه أنه اقتبس عنوان كتابه "جريزيليديس" Grisélidis من هذه التسمية.

3.4.2. التقاليد الشفهية: (ص. 9)

كان بيرو نفسه من أوائل من وضعوا تصورا لمفهوم التقاليد الشفهية، حيث كتب في مجلة Le Mercure Galant الصادرة في جانفي 1679: "هذا العدد اللامتناهي من الآباء والأمهات والجدات والمربيات والصديقات العظيمات اللواتي راح كل واحد منهن – منذ ربما أكثر من ألف سنة – يزايد على الآخر عن طريق إضافة الكثير من الأحداث الممتعة إلى هذه الحكايات". فضلا عن ذلك، فإن مخطوطة 1695 تتضمن إشارات تبين طريقة قول بعض العبارات، غير أنها غابت عن طبعة 1679.

كل شيء يدفعنا إذا إلى الاعتقاد بأن "حكايات" بيرو تنحدر من التقاليد الشفهية وأن دراستها يجب أن تمر عبر المقارنة بينها وبين هذه التقاليد، إلا أن المختصين في التراث الشعبي لم يقوموا بجمع الحكايات الشعبية بشكل منظم إلا انطلاقا من القرن التاسع عشر، وهو عصر كانت التقاليد قد تدهورت فيه، زد على ذلك أن هذه التقاليد الشفهية نفسها قد تأثرت بمجموعة بيرو الرائعة وبطريقة روايته لهذه القصص.

3. أصل مختلف الحكايات والتعديلات التي قام بها بيرو: (ص. 10)

ملاحظة: اخترنا فقط الحكايات الثلاث محلّ دراستنا

1.3. حكاية صاحبة الرداء الأحمر الصغير: (أو ذات القلنسوة الحمراء) (ص. 12)

Le Petit Chaperon rouge

1.1.3. المزج بين التقاليد: (ص. 12)

تنتمي هذه الحكاية إلى التقاليد الشفهية ولم يعرف لها أي أثر مكتوب قبل مجيء بيرو، تكمن الصعوبة في أن النجاح العظيم الذي حظيت به حكاية بيرو قد أدى بدوره إلى انتشارها في التقاليد الشفهية، حتى إنه بات من الصعب في بعض الأحيان معرفة نموذجها الشعبي الأول على وجه التحديد، ومع ذلك فقد استطعنا الحصول على بعض الروايات المستقلة عن الرواية التي قدمها بيرو في شمال جبال الألب وشمال إيطاليا وإقليم تيرول Le Tyrol.

تبيّن إحدى الجمل الاعتراضية التي تم استخراجها من طبعة 1695 الطابع الشفهي للنموذج الذي قدمه بيرو: " يتم النطق بهذه الكلمات بصوت قوي بغية تخويف الطفل، وكأن الذئب سيلتهمه." فضلا عن ذلك فإن هذه الحكاية تحتوي على العديد من الألفاظ القديمة، فلفظة " دراك" Drac أو" دزو" Dzou مثلا يمكن أن تعوّض الذئب في بعض الروايات الشفهية.

لاحظ "بول دولاري" Paul Delarue المختص في الحكايات الشعبية بأن: " العناصر المشتركة التي غابت عن كل الروايات الأدبية هي ربما تلك التي شكلت صدمة لمجتمعها المعاصر."

2.1.3. حكاية ذات نهاية سيئة: (ص. 12)

"صاحبة الرداء الأحمر الصغير" هي الحكاية الوحيدة في المجموعة التي تنتهي بشكل سيء خلافا للرواية التي قدمها الإخوة غريم في الحكاية التي كتبوها تحت نفس العنوان، حيث يقوم أحد الصيادين بقتل الذئب وفتح بطنه وإنقاذ صاحبة الرداء الأحمر الصغير وجدتها. في

الواقع، كانت راوية حكايات ذات أصول فرنسية هي من قص على الإخوة غريم الحكاية، حيث قامت بكل بساطة بسرد رواية بيرو. في بعض الروايات الشفهية، تتحجج الطفلة الصغيرة – بعد إدراكها أن من في الفراش ليس جدتها – بحاجة طبيعية للخروج والهرب من الذئب، وهو بدون شك تفصيل مخالف لآداب السلوك، مثلما هو الحال عندما تقوم صاحبة الرداء الأحمر الصغير بطرح سلسلة من الأسئلة على الذئب الذي تتكر على هيئة الجدة، وقد قام بيرو بحذف السؤال الذي يخص الشعر. زيادة على ذلك فقد قام الذئب في بعض الروايات الشفهية بوضع قطع من جثة الجدة على صندوق حفظ الخبز ودعا الطفلة الصغيرة إلى تذوقها، وأخيرا عندما نزعت ذات الرداء الأحمر ملابسها قبل أن تأوي إلى الفراش، سألت الذئب عن الأماكن التي يمكن أن تضع فيها كل قطعة من ملابسها، وفي رواية تم الحصول عليها في مقاطعة نيفرنيه Nivernais الفرنسية قال الحيوان المفترس: "ارميها في النار يا صغيرتي، فلن تحتاجي إليها بعد اليوم."

3.1.3. التعديلات التي قام بها بيرو: (ص. 12، 13)

هناك عنصر آخر مهم في الروايات الشعبية قام بيرو باستبعاده، ألا وهو السؤال الذي يطرحه الذئب على الطفلة الصغيرة بخصوص الطريق الذي ستتبعه، طريق الدبابيس أو طريق الإبر، قبل أن تأخذ كل شخصية إحداهما، زد على ذلك أنه يمكن لأسماء هذه الطرق أن تختلف حسب المناطق، غير أن القاسم المشترك بينها يكمن في أنها تعبر جميعا عن أشياء مؤذية، و ربما أعلن ذلك عن بداية لعبة قد يقوم فيها راوي الحكاية بالتدخل عن طريق القيام بحركة تكون مرادفة للجواب الذي يقدمه أحد مستمعيه.

حكاية الرداء الأحمر الصغير هي في حد ذاتها ابتكار بيرو، حيث تظهر عبارة "صاحبة الرداء الأحمر الصغير" – التي أصبحت عنوان الحكاية –أحد عشر مرة في نص الحكاية رغم قصرها الشديد (فهي لا تحتل إلا صفحتين ونصف من " كتاب الجيب")، وكلمة "الرداء" كانت بالية في عهد بيرو، زد على ذلك أن لونه الأحمر غير مألوف لأن الملوّنات كانت مكلفة جدا في ذلك الوقت وشبه مجهولة من طرف أفراد الشعب الذين كانوا يتخذون

جميعا من القماش غير المصبوغ لباسا لهم، غير أن هذا اللون يعزز حضور الشخصية في خيال القارئ، وحتى صفة " الصغير" هي كناية عن صغر سن بطلة القصة.

2.3. حكاية صاحب اللحية الزرقاء La Barbe bleue: (ص. 13، 14)

من المستحيل أن نحصل على أي مصدر مكتوب لحكاية "صاحب اللحية الزرقاء"، فالملامح العامة لحكاية بيرو تشبه إلى حد كبير شكل الحكاية في التقاليد الشفهية: إخوة المرأة التي دخلت إلى الغرفة الممنوعة هم من قاموا بإنقاذها. في روايات أخرى، تقع ثلاث أخوات على التوالي ضحية لـ" صاحب اللحية الزرقاء" قبل أن تنجو الثالثة وتعيد إحياء أخواتها من الموت.

تذكر الروايات الشفهية أن المرأة الشابة تقوم بتحذير عائلتها عن طريق رسالة يحملها حيوان، قد يكون كلبا أو طائرا، في حين يعتبر مجيء الإخوة عند بيرو عرضيا " أختي آن ! (كذلك كان اسمها)، اصعدي أرجوك إلى أعلى البرج حتى تري إن كان إخوتي قد وصلوا، فقد وعدوني بأن يأتوا اليوم لرؤيتي [...] " كما أن كلمة " آنسة " تعني امرأة شابة أو امرأة متزوجة تنتمي إلى طبقة النبلاء.

يهدف بيرو من خلال التركيز على محرك الفضول – الذي دفع المرأة الشابة إلى فتح الغرفة الممنوعة– إلى إخفاء إحدى الأفكار البالية للحكاية: بما أن المرأة قامت بانتهاك حرمة شيء مقدس فيجب القضاء عليها.

تذكر الروايات الشفهية أيضا أن المرأة تأوي إلى غرفتها لتلبس حلة زواجها وتقوم بتوديع كل قطعة من ردائها وهي تتكلم مع حيوان أليف أو خادمة، في حين يقوم صاحب اللحية الزرقاء بسن سكينه بصوت مسموع. يستعمل رواة الحكايات مثل هذه الأساليب بغية توفير وقت انتظار من شأنه أن يبعث القلق في نفوس مستمعيهم، غير أن بيرو قام بتحديث هذا المشهد: " أجابت المرأة صاحب اللحية الزرقاء وهي تنظر إليه بعينين مغرورقتين بالدموع: بما أنه يجب علي أن أموت فأمهلني بعض الوقت حتى أصلي لله." يرى بعض النقاد أن بيرو قام بذلك

بإضعاف هذه الحكاية، غير أنه في الواقع قام بكتابتها في عصر لم يعد فيه فهم رغبة المرأة في الموت في زيّ الزواج ممكنا.

أخيرا، بالنسبة للرواية التي نجد فيها ثلاث أخوات، فإن بيرو تصور لنا أخوة مزدوجة: صلة الأخوة بين بطلة الحكاية وأختها من جانب، وتلك التي تربطهما بأخويهما من جانب آخر، غير أن كل واحدة من الأختين تقول في لحظة ما من الحكاية " أخواي" وكأنها البنت الوحيدة، زد على ذلك أن بيرو لم يقم بتبرير وجود آن في القصة مما يعطينا إنطباعا بأنها كانت هي الأخرى تسكن هناك، كما يتعذر أحيانا على القارئ معرفة من الأختين هي التي تتكلم في الجزء الأخير من الحكاية.

3.3. حكاية السيد القط أو القط ذو الجزمتين Le Maître chat ou le Chat botté :

(ص. 14)

يوجد مصدران مكتوبان لهذه الحكاية وكلاهما من أصل إيطالي، الأول من مدينة ستراباورل والثاني من مدينة بازيل Basile، غير أن رواية بيرو تختلف عن هذين الروايتين إلى حد يمكننا أن نفترض أنه استقاها من مصدر شفهي. في الواقع تحتفظ مخطوطة 1695 ببعض آثار الشفهية التي تم حذفها في طبعة 1697. إذ قام بيرو باستبعاد مقطع نجده في الكثير من الروايات بما فيها رواية بازيل: في نهاية الحكاية يتظاهر القط بالموت بغية تجريب سيده ومعرفة إلى أي حد يمكن أن يصل عرفانه بالجميل.

في الروايات الأكثر قدما، تنتهي الحكاية لما يقوم القط بإشعال النار في كومة من القش كان سكان القصر قد اختبؤوا فيها. أما فيما يخص النهاية التي يرويها بيرو – حيث يقوم القط بأكل الغول الذي تحول في صورة فأر – فهي مقتبسة من حكاية أخرى عنوانها "الساحر وتلميذه " Le Magicien et son élève ،حيث يقوم التلميذ بعد تحوله إلى ثعلب بالتهام أستاذه الذي تحول إلى حبة قمح.

فضلا عن ذلك، فإن الكثير من الروايات الفرنسية لهذه الحكاية لا تصور هذه الشخصية الحيوانية على أنها قط، بل ثعلب، ذلك الحيوان الذي يضرب به المثل في الحيلة والدهاء.

تعد جزمتي القط – اللتان لا تظهران إلا في حكاية بيرو واشتق اسم الحكاية منها – أهم التعديلات لأنها تلعب دورا هاما في الحكاية، حيث يطالب القط بها منذ البداية: "لا تبتئس أبدا يا سيدي، ليس عليك إلا أن تعطيني كيسا وتأمر بصنع جزمتين لي لأذهب إلى الأجمة، وسترى أن أباك لم يبخسك حقك في هذه القسمة كما تظن. "بعد ذلك تظهر الجزمتان مرة أخرى في الحكاية: "وصل القط في الحين إلى المزاريب بعد مشقة وخطر كبيرين بسبب جزمته التي لم تكن ملائمة أبدا للمشيء فوق القرميد."

يلعب بيرو أيضا في حكاية " القط صاحب الجزمتين " على وتر البنية الأسرية: " لم يترك أحد الطحانين كتركة لأولاده الثلاث إلا طاحونة وحمارا وقطا، وسرعان ما أخذ كل نصيبه من هذه التركة دون حضور كاتب ولا وكيل بعد أن أتوا على كل الميراث الهزيل. كانت الطاحونة من نصيب الأخ الكبير والحمار للأوسط، بينما لم ينل الأخ الصغير من هذه التركة إلا القط، ولم يجد في هذه الحصة الصغيرة أي عزاء له، فراح يقول: " سيكون في مقدور أخوي أن يوفرا لنفسيهما عيشا كريما بالعمل معا، أما أنا فسوف أموت جوعا بعد أن أكون قد أكلت قطي واتخذت من فروه قفازا لي." يهدف بيرو عن طريق استعمال عبارة "بالعمل معا" إلى تشكيل أخوة تتكون من عنصرين: الأخ الصغير من جهة، والأخوين الكبيرين – اللذين يشكلان وحدة تكافلية – من جهة أخرى.

4. جمالية وشهرة حكايات بيرو:

عندما بدأ بعض الأشخاص في القرن التاسع عشر يجمعون الحكايات في سائر أرجاء العالم، تفطن هؤلاء إلى أن بعض هذه الحكايات تتشابه إلى حد كبير رغم أن البلدان التي جمعت فيها بعيدة جدا عن بعضها البعض، مما جعل البعض يعتقد أن بيرو قد اكتفى بإعادة كتابة بعض الحكايات الشعبية مع إعطائها شكلا كلاسيكيا. غير أن الأمر ليس بهذه البساطة،

ولئن تم اكتشاف بعض الاستعارات النادرة فإن العمل الفني لهذا الكاتب لا يشبه عمل أقرانه في ذلك الزمان.[1]

زد على ذلك أن مواضيع الحكايات التي كتبها لافونتان – الذي كان قدوة لبيرو – على لسان الحيوان لم تكن من محض خياله، بل كان يعيد كتابة حكايات إيزوب Esope والكثير من الآخرين بأسلوب لا يمكن محاكاته. لقد قام بيرو بالتقاط قطع صغيرة من الحكايات الشعبية من هنا وهناك وتمكن من ابتكار شكل جديد للحكاية.[2]

يهدف بيرو من خلال حكاياته إلى ما هو مهم بعيدا عن الزخرفة العقيمة، فهو يكتب على سبيل المثال: " وثب هذا الذئب الشرير على ذات الرداء الأحمر وقام بالتهامها" أو " لقد عزمت على الذهاب بهم إلى الغابة و تركهمم يضيعون هناك "، ومع ذلك فقد استطاع الحفاظ على أناقة أسلوب الصالونات الأدبية، كما تبينه العبارات التالية: "كان الغول مهذبا في استقباله ما وسعه ذلك " أو " كانت الكبرى تشبهها في المزاج و الوجه إلى درجة أنه من كان ينظر إليها يرى فيها صورة أمها". لقد أعاد بيرو الصلة مع شكل الحكايات القديمة، ولم يتردد أبدا في الكلام عن البؤس والشعب والذئاب البشرية أو عن النجاح الاجتماعي لسكان الأرياف، هذا الخليط الراقي هو سر شهرة حكاياته.[3]

" منح بيرو كتابه عنوان **حكايات من الأزمنة الخوالي، تصحبها عبر** Contes du temps passé Avec des moralités. على أنّ الغلاف ضمّ عنوانل ثانويا أو ثانيا هو **حكايات أمي الإوزّة** Contes de ma mère l'Oye. والحال أن العديد من الطبعات اللاحقة أخذت بالعنوان الثاني، ذلك أنه ليس أكثر تعبيرية فحسب، بل هو بالأصل تسمية جماهيرية كانت شائعة لجميع الحكايات من هذا النوع، شأنها شأن التسمية الذائعة الأخرى **حكايات جلد الحمار**، التي استعارها بيرو عنوانا لإحدى أشهر حكاياته... وتشير تسمية حكايات أمي الإوزّة، لا إلى

[1] Charles Perrault, **Neuf contes**, collection "Un livre pour l'été ", édit du Centre national de documentation pédagogique, Paris, 2011, p. 129.
[2] Ibidem.
[3] Ibidem.

الطبيعة العجائبية أو الخيالية لهذه الحكايات فحسب، بل تجمع هذا الجنس البشري بالأجواء العائلية الحميمة، وبحكايا الجدّات والأمّهات. إذ ترمز الإوزّة الى المرأة المسنّة التي تخففت من الأعباء اليومية، وراحت تغذي أمام أبنائها وأحفادها مواهبها السردية في الأماسي والأعياد."[1]

في عام 1704، – أي بعد مرور سنة عن موت بيرو – بدأ أنتوان غالان Antoine Galand بنشر أولى التراجم الفرنسية لكتاب "ألف ليلة وليلة"، تلك الحكايات القادمة من غابر الأيام وغريب الأمصار، وقد ساهم ذلك في تغيير نظرة أهل القرن الثامن عشر إلى الحكايات واعتبارها ككتابات أدبية. خلال القرنين المواليين، ظهرت حكايات شعبية جديدة اتخذت من حكايات بيرو سندا لها، وتم تداولها مشافهة أو عن طريق الكتابة بفضل كتيبات "المكتبة الزرقاء" التي وصلت إلى سائر أرجاء المملكة عن طريق الباعة المتجولين، ثم استلم المشعل بعد ذلك العديد من الأدباء وراحوا يجمعون الحكايات ويعيدون كتابتها أو يبتكرون حكايات جديدة: الإخوة غريم في ألمانيا، جوزف جاكوب في إنجلترا، أفاناسياف في روسيا، أندرسن في الدنمارك. وانطلاقا من القرن التاسع عشر، تضاعفت الطبعات الوفية لنصوص بيرو والموجهة أساسا للأطفال، وتمت ترجمة حكايات بيرو إلى العديد من لغات العالم بما فيها اللغة العربية[2]، ومن أجملها ترجمة ياسر عبد اللطيف.[3]

[1] شارل بيرو، **حكايات أمي الإوزّة**، ، ترجمة ياسر عبد اللطيف، مختارات مشروع "كلمة" من الأدب الناشئة الفرنسي ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2013، ص. 16.

[2] Charles Perrault, **Neuf contes**, op. cit, p. 129.

[3] يقيم الفنان ياسر عبد اللطيف في سوريا منذ حوالي خمسة عشر عاماً حيث جاء من السودان ليكمل دراسته للتمثيل في المعهد العالي للفنون المسرحية حيث تخرج عام 1993 وكان ذلك تاريخ بداية مشواره الفني الذي تميز بالتنوع والغنى وتشهد له على ذلك مشاركاته الهامة كممثل في كثير من عروض المعهد وعروض المسرح القومي وخوضه لتجربة التدريس كمساعد في المعهد وكأستاذ مشرف في عدد من المعاهد الخاصة وصولاً إلى تجربة الترجمة ثم الإخراج حالياً في عرض لصالح فرقة المعهد ، بالإضافة إلى عمله التلفزيوني من خلال بعض الأدوار اللافتة والتي أكدت على كونه ممثلاً ذا طبيعة خاصة وقدرة على تحقيق انتشار واسع.

المبحث الثالث: الترجمة الأدبية وأساليبها

1. نبذة عن تاريخ الترجمة:

" الترجمة هي بنت الحضارة ورفيقتها الدائمة عبر الزمان والمكان، إنها النافذة التي تفتحها الشعوب المختلفة لتستنير بنور غيرها، ولقد عرفها العرب منذ القديم، كما عرفها سائر الشعوب. لقد عرف العرب التواصل، في زمن الجاهلية، مع المحيط المجاور ومع اليونان والصين والهند، ولكن بشكل محدود، كما نقل الغرب بدوره عن العرب في الماضي وخاصة في زمن الصليبيين ثمار الحضارة العربية، كما نقل العباسيون بدورهم عن الفرس واليونان والهند وغيرهم."[1]

وإذا كانت اللغة وسيلة للتواصل والتعامل والتبادل بين الأفراد والجماعات، فإن الترجمة في الواقع وسيلة للتعبير نحو الآخر مهما كانت حضارته وثقافته. فالترجمة إذن شرح وتفسير لما يقوله ويكتبه الآخر من لغته إلى لغة المتلقي أو المستمع. وعليه فإن الترجمة وظيفة طبيعية تنشأ مع الإنسان بمولده، وحاجة ماسة تزداد كلما ازدادت البيئات واللغات.

" وترجع آثار النصوص المترجمة الأولى إلى عام 3000 ق.م في عهد الدولة الفرعونية بجزيرة فيلا في أسوان بجنوب مصر، فقد عثر الباحثون هناك على عدة مخطوطات مسجلة بلغتين، كما أن من أوائل النصوص المترجمة كذلك ما وجده الباحثون منقوشا على حجر رشيد، أو مسجلا على ألواح تل العمارنة، أو مكتوبا على ألواح مدينة نينوى بالعراق."[2]

---

[1] سالم العيسى، **الترجمة في خدمة الثقافة الجماهرية، تاريخها وتطورها**، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999، ص. 8.

[2] محمد أحمد منصور، **الترجمة بين النظرية والتطبيق**، دار الكمال للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2006، ص. 19.

" وقد يكون شيشرون Ciceron (34–106 ق.م) الخطيب الروماني هو أول من حاول وضع منهج محدد للترجمة، فقد اقترح أن يقرأ المترجم النص الأصلي بلغته الأصلية ثم ينحيه جانبا، ويشرع في إعادة كتابته باللغة المنقول إليها دون الالتزام بالترجمة الحرفية."[1]

" وكان منهج القديس جيروم St. Jérôme في ترجمة الكتاب المقدس من اليونانية إلى اللاتينية ذو أثر في جميع الترجمات التالية له، بل إن ترجمة هذا الكتاب أصبحت مجالا للصراعات الفكرية في غربي أوروبا لمدة تزيد على ألف عام، وخصوصا في عصر الإصلاح الديني في القرن السادس عشر ميلادي."[2]

" كما شهدت الحضارة الإسلامية في أوجهنا حركات عظمى للترجمة، ففي عهد الدولة الأموية قام خالد بن يزيد بن معاوية بأول حركة ترجمية ذات صبغة علمية، فقد أحضر عديدا من فلاسفة اليونان الذين كانوا يجيدون العربية، وطلب منهم نقل الكتب العلمية من اليونانية والقبطية إلى اللغة العربية، ثم تلاه الخليفة مروان بن الحكم، وهو من أبرز الخلفاء الأمويين، وقد اهتم بترجمة الدواوين إلى العربية، حيث كانت في مصر بالقبطية وفي الشام بالرومية وفي العراق بالفارسية."[3]

" وغلب على الترجمات الأولى إلى العربية طابعها الديني، وذلك لطبيعة المجتمع الذي كان حديث عهد بالرسالة السماوية المنزّلة. وكانت معظم هذه الكتب منقولة من اللاتينية واليونانية ومن الإيطالية."[4] أما في العصر العباسي فقد بلغت الترجمة شأنا آخر، حيث أنشأ هارون الرشيد خزانة الحكمة، التي ملأت بكتب مختلفة، ثم جاء المأمون ليحولها إلى بيت الحكمة الشهير، الذي كان منطلق لحركة ترجمة واسعة النطاق عند العرب، حيث عمل فيه

---

[1] عز الدين محمد نجيب، **أسس الترجمة**، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، 2005، ص. 5.
[2] محمد عناني، **نظرية الترجمة الحديثة**، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، مصر، 2003، ص. 8.
[3] محمد أحمد منصور، مرجع سبق ذكره، ص. 21.
[4] سالم العيسى، مرجع سبق ذكره، ص. 16.

العديد من المترجمين أمثال: يحي بن ماسويه، ويحي بن البطريق، والحجاج بن مطر، وغيرهم."[1]

" وكانت الترجمة على عهد الرشيد مورست على استحياء، متخذة من الكتب التي جلبها الرشيد معه من بلاد الروم حين عودته من أحد فتوحاته في مدن آسيا الصغرى مادة لها، كما بلغت الذروة في زمن خلافة المأمون. فلقد كان هذا الأخير يتميز بسعة اطلاعه وحبه للمعرفة."[2]

" وقد سجل التاريخ أن هناك أربعة مترجمين بلغوا ذروة المجد في العصر العباسي، وهم: يعقوب بن إسحاق الكندي، وحنين بن إسحاق، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرخان الطبري. ويستقى من مقدماتهم لما ترجموه مناهجهم في الترجمة التي اعتبرت من عن حق من أهم الأسس لنظريات وطرائق الترجمة في العصر الحديث."[3]

" هذه الكتب هي المصباح الذي نهضت عليه أوروبا، حيث اعتمدت عليه ومن خلال الترجمة في إحياء عدة علوم ونشاطات، لتخرج عبر هذا الإنتاج العربي من الظلام الذي كانت فيه. ويقول سالم العيسى عن هذا: " عندما افتتح العرب الأندلس كان ينطبق على الغرب ما قاله "فولتير" من تفشي الجهل والأمية ولهذا ما استقر الأمر في الأندلس، حتى أقبل الأروبيون على الأندلس يترجمون العلوم والفلسفة وعلم الفلك وعلم الجدل، والاجتماع، فنقلوا عن اللاتينية أهم المصنفات العربية في هذه الفنون وفي المجالات الأخرى. وكانت مدينة طليطلة المركز العربي المهم الذي ارتاده الأوروبيون. واستمر تطور حركة الترجمة في التقدم خلال القرن الثالث عشر الميلادي، حيث صادف خلاله نشوء الجامعات في أوروبا مما ساهم في زيادة الإقبال على الانتهال من العربية... وقد استمرت هذه الحركة بين فتور ونشاط إلى منتصف القرن الثامن عشر، وكل ذلك كان يتم نقلا عن العربية إلى اللغات الأخرى."[4]

---

[1] عادل زيتون، **بيت الحكمة رمز للحوار بين الحضارات**، "مجلة العربي"، عدد 543، مطابع الشروق، القاهرة، مصر، 2004، ص. 56، 57.
[2] نفس المرجع السابق، ص. 56.
[3] محمد أحمد منصور، مرجع سبق ذكره، ص. 22.
[4] سالم العيسى، مرجع سبق ذكره، ص. 15.

" ومن المهم أن نشير هنا إلى دور المفكر والمصلح الديني مارتن لوتر (1483–1546) وترجمته الكاملة للإنجيل في عام 1522 من اللاتينية إلى الألمانية، وقد وضعت تلك الترجمة الأساس لميلاد اللغة الألمانية الحديثة في رأي جمهور علماء اللغة، كما تعتبر مقالات مارتن لوتر عن فن الترجمة بمثابة إضافة بالغة الأهمية في إرساء قواعد هذا المبحث الأكاديمي."[1]

" وبدأ انفتاح العالم العربي على الغرب مرة ثانية بصدمة الحملة الفرنسية على مصر. وكان المحرك الأساسي هو حاجة محمد علي للعلوم الغربية لأسباب حربية. ثم انتكست حركة الترجمة على يد خليفتيه عباس وسعيد لتنتعش مرة أخرى من عصر إسماعيل إلى يومنا هذا."[2]

" وكانت مرحلة البداية القوية لحركة الترجمة على يد الطهطاوي في ربط التراث اليوناني بالتراث العربي.[3] وقد كانت ترجمة طه حسين عن المسرح اليوناني بمثابة اطراد لما ترجم عن المسرح اليوناني بصفة عامة."[4]

2. تعريف الترجمة الأدبية:

" تعد الترجمة – بوصفها سبيلا من سبل التفاهم والتواصل اللغوي– نوع من النشاط البشري قام به الإنسان في مجتمعاته الأولى لتنظيم علاقته بجيرانه وتأمين أغراضه وتدبير حاجاته، بسبب إنسياح عناصر بشرية من هنا إلى هناك، ومن هناك إلى هنا، أو من جراء حركات الهجرة الفردية أو الجماعية العشوائية منها أو المنظمة، أو نتيجة المصادمات الحربية بين الشعوب والأمم، أو احتكاك الجماعات البشرية عن طريق القوافل التجارية والتي يفترض أنه كان بها مترجمون يعرفون لغة من يتعاملون معهم، وهذا مما قد يفسر لنا وجود كلمات كثيرة من كل لغة ضمن مفردات اللغة الأخرى، وقد أتاح لنا هذا النشاط الذي سجله الإنسان كتابة

[1] محمد أحمد منصور، مرجع سبق ذكره، ص. 23.
[2] عز الدين محمد نجيب، مرجع سبق ذكره، ص. 6.
[3] عبد الحكيم العبد، **حركة الترجمة الحديثة**، كتب عربية، تونس، طبعة 2007، ص. 10.
[4] نفس المرجع السابق، ص. 13.

فيما بعد التعرف على ثقافات الحضارات المختلفة: كالحضارة الفرعونية، الفارسية والهندية واليونانية وغيرها."[1]

" والترجمة فن تطبيقى، وقد استخدم بعض الأساتذة في مجال الترجمة كلمة فن بالمعنى العام مثل الأستاذ الدكتور محمد عناني والذي قصد به أن الترجمة مثل الحرفة التي لا يمكن إتقانها إلا بالدربة والمران والممارسة استناداً إلى موهبة. بل ربما للترجمة جوانب جمالية وإبداعية. لذلك لا يمكن للمترجم أن يخرج نصاً مقبولاً مترجماً عن اللغة العربية واللغة الإنجليزية مهما كان حظه من العلم باللغتين إلا بالممارسة الطويلة للترجمة."[2]

ولذلك يأخذنا هذا الحديث إلى الإدراك بأن ليس كل شخص مترجمًا أدبيا وأما هو من تتوفر لديه مجموعة من الصفات والخبرات الخاصة والمميزة لشخصه.

وجاء في كتاب سالم العيسى: " هي شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر، من لغة أخرى إلى لغة المتلقي أو المستمع. فهي بالنسبة للمترجم تفسير فكرة مصاغة من قبل غيره ضمن لغة أخرى، وليس عليه أن يفتش عن هذه الفكرة في أي مكان بل كل ما يترتب عليه أن ينقلها بلغة أخرى. وبعبارة أخرى فالفكرة لا تعود إلى المترجم بل إلى منشئ النص، وبهذا يمكن القول بأن الكلام في الترجمة الأدبية يعود بنفس الوقت إلى المؤلف وإلى المترجم في آن واحد."[3]

يركز سالم العيسى على الفكرة المطروحة للترجمة الأدبية بحيث يجعلها مشتركة ما بين المؤلف والمترجم ناسبا إياها لكليهما.

وتحتل الترجمة الأدبية مساحة واسعة من مساحة الترجمات على الساحة العالمية اليوم، " ويقصد بها ترجمة الآثار والمؤلفات الأدبية مثل الرواية والقصة والمسرحية والشعر والمقالات

[1] محمد أحمد منصور، مرجع سبق ذكره، ص. 19.
[2] إيناس أبو سيف وهبة سعد، **مبادئ الترجمة وأساسياتها**، تكنولوجيا التعليم، القاهرة، 2005، ص. 15.
[3] سالم العيسى، مرجع سبق ذكره، ص. 7.

والدراسات ذات الطابع الفني والأدبي."[1] أي إن الترجمة الأدبية هي ترجمة كل ما يمد للأدب بصلة من فنون كتابية سواء كانت نثرية أو شعرية.

" لنضع في الحسبان أن كل النصوص لديها مدلولات، وهي خلاصة أفكار ومشاعر توحي بها الألفاظ (بشكل عام، قد توحي لفظة يجري بالسرعة، بينما تقترح أريكة معنى الراحة، كما أن للنصوص كلها حياة باطنية أي قدر معين من الخصائص الشخصية للكاتب يساوي ما يمكن استنتاجه من قراءة تحليلية أو بديهية للنص). هذا وترد المعاني الإشارية للألفاظ في نص غير أدبي لأنه يعتبر في – حال جودته – مجازا وتعليقا على المجتمع، وقت كتابته وحاليا، وكذلك تعليقا على محيطه أيضا."[2]

وتختلف ترجمة النص الأدبي عن ترجمة بقية النصوص في طبيعتها وتكييفها والمشاكل التي تثيرها، ذلك لأن للنص الأدبي خصائص تميزه عن بقية النصوص، أبرزها هيمنة الوظيفة التعبيرية والجمالية بالإضافة إلى القدرة الإيجابية والإيحائية وأهمية الشكل، وتعدد المعاني والقابلية للتأويل، وتجاوزه حدود الزمان والمكان ونقله للقيم وهذا ما يجعل الترجمة الأدبية من أعقد أنواع الترجمة، باعتبارها عملية مقاربة بين طرائق وأساليب لغوية مختلفة. " وعندما يواجه المترجم نصا أدبيا جوهره مثل هذه الصفات الشكلية، فإنه يحاول –قدر الطاقة– إيجاد المقابل لها في اللغة العربية إبداعيا. ولهذا تأتي الأطر الإيقاعية العربية في المقام الأول."[3]

أما إنعام بيوض فهي توافق نيومارك على أن الترجمة مزيجا من فن وعلم وتراها مقولة تنطبق خصوصا على الترجمة الأدبية، فهي علم عندما يكون هناك مقابل صحيح في الموضوعية لكلمة ما، أو جملة أو عبارة، و هي فن حين يكون هناك أكثر من مقابل ملائم، حيث يكمن في الإختيار الأمثل لواحد من تلك المقابلات.[4] ولا يمكن أن نتكلم عن الترجمة الأدبية دون ذكر خصائصها، ذلك أنها نوع خاص. فهي ليست مجرد نقل بل إبداع في إطار

---

[1] محمد أحمد منصور، مرجع سبق ذكره، ص. 109.
[2] بيتر نيومارك، **الجامع في الترجمة**، تر: حسن غزالة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2006، ص. 20.
[3] محمد عناني، **فن الترجمة**، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، مصر، 2000، ص. 152.
[4] إنعام بيوض، **الترجمة الأدبية مشاكل وحلول**، منشورات الأبيار، الجزائر، 2003، ص. 44.

النفس البشرية، فهي ترجمة للأحاسيس والمشاعر، ونقل للغة النفوس والقلوب إضافة إلى كونها لغة الحروف. من أجل ذلك قال حافظ إبراهيم: " فمن رغب أن يترجم الأدب وجب أن يكون هو نفسه أديبا وأن تكون ثقافته مؤهلة لترجمة النصوص الأدبية، وأن تكون الأمانة رائده، والذوق السليم مرشده."[1]

بناء على ما تقدم، يتضح أن مهمة المترجم الأدبي بالخصوص ليست سهلة، فالترجمة الأدبية لا تخلو من مخاطر، كما أنها فن راق لا يستطيع أن يشرف على ترجمته إلا من تهيأت له أسباب ذلك، لذا كان المترجم في القرون الماضية يوصف بالحكيم والعالم، لما يتمتع به من خبرة وموهبة، بالإضافة إلى الأخلاقيات التي تتطلبها هذه المهنة.

3. أساليب الترجمة الأدبية:

يعرف علماء اللغة الترجمة بأنها: " نقل كلام من لغة إلى أخرى بطريقة صحيحة نحوا ومعنى، دون نقصان أو زيادة يخل بالمضمون"، وتطلق الترجمة أيضا على العملية ذاتها بمعنى التنفيذ والتطبيق الفعلي لها، وتنقسم الترجمة من حيث شكل أدائها إلى: "ترجمة تحريرية" و"ترجمة شفوية"، والترجمة التحريرية هي: " عملية نقل نص (مكتوب غالبا)، إلى لغة أخرى في شكل نص مكتوب ليقرأ، أما الترجمة الشفوية فهي عملية نقل نص يتلقاه المترجم (عن طريق السماع غالبا) و يترجمه شفاهة، ليصل سماعا أيضا إلى المتلقي."[2]

" المشكل الوحيد الذي يتلقاه المترجم أثناء نقل نص من لغة إلى أخرى هو التقريب بين منظومتين لسانيتين إحداهما معبر عنها وجامدة، والأخرى محتملة وقابلة للتكييف، وتكون نقطة انطلاقه من لغة المصدر أما نقطة وصوله فنطلق عليها تسمية لغة الهدف ومن خلال هاتين النقطتين يقوم بتقييم المحتوى بكل ما يتخلله من وصف وشعور وأفكار استخلصها منها، فيقوم بإعادة صياغة النص وتكوين النص الأصلي من أجل المحافظة على المعنى المتوخى إيصاله. ومن شروط ذلك أن يتوخى المترجم الدقة واحترام تسلسل الأفكار لأن الشرط الرئيسي للناقل أن

[1] نفس المرجع السابق، ص. 115.
[2] محمد أحمد منصور، مرجع سبق ذكره، ص. 27.

يكون أمينا قدر الإمكان مع أمرين جوهرين هما اللغة والأسلوب. ولا تتم الترجمة بطريقة واحدة، بل إن الترجمة نوعان: مباشرة وغير مباشرة، أي ترجمة حرفية وأخرى حرّة. فالترجمة المباشرة في هذا المجال تعني النقل من الأصل مباشرة، أما الترجمة غير المباشرة فتعني النقل من كتابة غير أصلية، أي بمعنى آخر غير مباشرة، بحيث يكون العمل المنقول عنه في ذاته مترجما، وهو أمر وارد في أعمال أدبية كثيرة"[1]. وحسب فيني وداربيلني Vinay et Darbelnet: " تتضمن هاتان الإستراتيجيتان سبعة مناهج، يخص المباشرة منها ثلاثة":

1.3. الترجمة المباشرة: La traduction directe

و تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي:

1.1.3. الترجمة بالإقتراض: L'emprunt

" وهو ما نسميه التعريب، أي إدخال الكلمة الأجنبية كما هي، ورسمها بحروف عربية، وهو ما نلجأ إليه في تعريب العلوم الطبيعية والمصطلحات التقنية. ويجري الإقتراض من العربية للغات الأخرى أيضا. فتكتب كلمة انتفاضة بحروف لاتينية وتجري مجرى الكلمات المستعارة في اللغات الأوروبية. ويطلق العلماء العرب على الألفاظ المقترضة مصطلح الدخيل، وقد يدخل هذا الدخيل بعد فترة في عداد الفصحى أو يظل في إطار العامية."[2]

ويسميه نيومارك بالتحويل ويعرفه كالآتي: "هو عبارة عن عملية تحويل كلمة في اللغة المصدر إلى نص في اللغة الهدف كإجراء ترجمة. إنها فكرة كاتفورد نفسها عن التحويل، وتتضمن التطبيع الذي يرتبط بتحويل الحروف الهجائية المختلفة للغات الأخرى."[3]

---

[1] زبير دراقي، **محاضرات في الأدب المقارن**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص. 48.
[2] محمد عناني، مرجع سبق ذكره، ص. 87.
[3] بيتر نيومارك، مرجع سبق ذكره، ص. 127.

- مثال: كلمة "صفر" العربية الأصل والتي انتشرت في أوروبا لتعود إليها بشكلها الأوروبي الجديد، أو كلمة "همبرغر" أو "ديكور" التي عادت لفظة عربية تستخدم في الكتابات وعلى اللافتات.

2.1.3. الترجمة بالنسخ أو المحاكاة: Le calque

حسب فيني وداربيلني: " هو نوع خاص من الاقتراض، ينقل فيه التعبير أو البناء عن طريق الترجمة الحرفية من اللغة المصدر إلى اللغة المستهدفة، مثلما نفعل في العربية عندما ننقل تعبيرا مثل: في التحليل الأخير in the final analyse بدلا من ترجمته إلى الفصحى المعيارية بتعبير في آخر المطاف أو المحصلة هي.. و قد تصبح مثل هذه الأبنية بعد فترة من الزمن جزءا لا يتجزأ من المصطلح اللغوي للغة المستهدفة، وقد توحي بمعنى غير المعنى المقصود فتصبح مضللة، وهو ما يطلق عليه مصطلح "الأصدقاء الخونة" les faux amis."[1] وهناك نوعان من المحاكاة هما كالآتي:

1.2.1.3. المحاكاة البنيوية: Le calque de structure

ويحترم البنية التركيبية للغة المصدر، ويفيد كثيرا في توليد المصطلحات العلمية والتقنية الجديدة. كالعبارة الإنجليزية science-fiction التي نجدها في الفرنسية حرفيا science-fiction و في العربية الخيال العلمي. فتوحي لنا العبارة أو الكلمة أنها مستنسخة كما تستنسخ الأوراق فتأتي مطابقة للأصل تماما.

2.2.1.3. المحاكاة التعبيرية: Le calque d'expression

" إضافة إلى المحاكاة البنيوية في الأسلوبية المقارنة هناك محاكاة تعبيرية، والتي أصبحت تستعمل بشكل عشوائي، خاصة من طرف أهل الصحافة وكذا في الأدب، الأمر الذي

[1] نفس المرجع السابق، ص. 88

أصبح يشكل خطرا حقيقيا يهدد بعض التعابير العربية التي تفيد معاني التعابير المحاكاة نفسها من لغات أخرى."[1]

- مثال: jouer un rôle لعب دورا.

Pleurer à chaudes larmes بكى بكاء حارا.

3.1.3. الترجمة الحرفية: La traduction littérale

" الترجمة الحرفية هي نقل النص حرفيا مع ما يقابله في النص الهدف، مع احترام قواعد اللغة المنقول إليها، ويحافظ على جانب المضمون الثابت (أي على المعنى)، بغية الحصول على نص صحيح تراكيبيا ومعنويا."[2]

- مثال:

- J’ai laissé mes lunettes sur la table en bas.

- تركت نظاراتي على المنضدة في الطابق الأسفل.

ولعل من المفيد التمييز بين الترجمة الحرفية والترجمة كلمة بكلمة traduction mot à mot، إذ تحوّل الترجمة كلمة بكلمة قواعد اللغة المصدر وترتيب كلماتها، وكذلك المعاني الأساسية لكلماتها جميعا. وتعتبر فعّالة عادة لجمل حيادية قصيرة وبسيطة وحسب[3].

- مثال:

- La petite fille a acheté une belle poupée.

- الصغيرة البنت اشترت جميلة دمية.

[1] إنعام بيوض، مرجع سبق ذكره، ص. 202.
[2] جمال محمد جابر، **منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق: النص الروائي نموذجا**، دار الكتاتب الجامعي، العين، 2005، ص، 158.
[3] بيتر نيومارك، مرجع سبق ذكره، ص. 107.

ولكن المترجم قد يجد أن الترجمة الحرفية غير مقبولة في الحالات التالية[1]:

- ✓ إذا أدت إلى معنى مختلف،
- ✓ أو لم يكن لها معنى،
- ✓ أو كانت مستحيلة لأسباب بنائية،
- ✓ أو إذا لم يكن هناك تعبير مقابل في إطار ثقافة اللغة المستهدفة،
- ✓ أو إذا كانت مقابلة لشيء على مستوى لغوي مختلف.

- مثال: لا نترجم "Il a du pain sur la planche" بـ : لديه خبز على الرف، إنما الترجمة الصحيحة هي: لديه عمل كثير.

وهكذا ينتهي فيني وداربلني إلى أنه إذا تعذر إخراج ترجمة حرفية، فعلى المترجم أن يلجأ إلى الترجمة غير المباشرة، وهي تتضمن أربعة مناهج أخرى[2]:

2.3. الترجمة غير المباشرة (الحرّة): La traduction oblique

" هي الترجمة التي تراعي نقل جانب المضمون الثابت مع مراعاة قوانين اللغة المترجم إليها ولكن بصورة بعيدة عن مكونات النص الأصلي الشكلية والدلالية، وتؤدي مثل هذه الترجمة إلى الإسهاب، ووصف موقع ما بطريقة ما بصرف النظر عن طريقة وصف هذا الموقف في النص الأصلي، وعيب الترجمة الحرّة هو أن معنى النص الأصلي لا ينتقل بدقة تامة، وأن قسما من المعلومات يضيع أثناء النقل الحر، نظرا لأن النص يتعرض لتحويلات (هو في غنى عنها أحيانا)، وعندئذ يوجد دوما خطر الانتقال إلى الدرجة التي تتحول فيها الترجمة في نهاية الأمر إلى نص من "عنديات" المترجم".[3]

[1] محمد عناني، مرجع سبق ذكره، ص. 89.
[2] نفس المرجع السابق. ص. 89.
[3] محمد أحمد منصور، مرجع سبق ذكره، ص. 36.

1.2.3. التكييف أو التحوير: La modulation

" هو استعمال عبارة ما في اللغة الهدف بالطريقة التي يستخدمها بها أصحاب تلك اللغة بحيث تخلق لديهم أثرا يجعلهم يحسون أن تلك العبارة ما كانت تصلح ترجمتها إلا بتلك الطريقة، ويشعرون بأنها من صميم لغتهم. ولذا انتقل ذلك التعبير من مجرد الاستعمال على مستوى الأفراد واندرج ضمن القاموس اللغوي، وخرج من دائرة التعديل الحرّ إلى التعديل الاضطراري."[1]

وبصيغة أبسط، هو قلب يطرأ على شكل الرسالة، وناتج عن تغيير في وجهة النظر إلى حقيقة لسانية واحدة، بمعنى تسليط الضوء عليها مع الحفاظ على المعنى العام.

- مثال: Nul n'est parfait الكمال لله.

2.2.3. الإبدال: La transposition

" ومعناه إبدال الصورة الصرفية للكلمة في النص الأصلي (المصدر) بصورة صرفية أخرى دون تغيير المعنى وقد يكون الإبدال لازما أو اختياريا، فهو لازم حين تقتضي أعراف اللغة المستهدفة ذلك، كترجمة التعبير الإنجليزي as soon as she got up بالعربي فور استيقاظها وبالفرنسي dès son réveil. واختياري هذا يتم عندما تسمح أعراف اللغتين بذلك، فقد نترجم التعبير العربي فور استيقاظها بتعبير the minute she got up أو بالفرنسي dés qu'elle s'est levé أو بالتعبيرين الإنجليزي والفرنسي السالفين."[2]

[1] إنعام بيوض، مرجع سبق ذكره، ص. 88.
[2] نفس المرجع السابق، ص. 89، 90.

3.2.3. التكافؤ: L'équivalence

" وهو الترجمة المماثلة ويعني إيجاد مضمون الأصل وشكله من جديد بوسائل اللغة المترجم إليها، وتتلخص الأهمية المنهجية العلمية لمسألة الترجمة المماثلة في أنها تتناول إمكانية التعبير عن المضمون بأمانة وبصورة تامة وكاملة، وعليه فالتعريف الأنسب للترجمة المماثلة هو النقل الوافي لمضمون الأصل، والمطابقة الوظيفية والأسلوبية لأنماط جمله وصيغه وتراكيبه مطابقة تسيغها اللغة المنقول إليها."[1]

" إن هذا الأسلوب يقتضي تصوير وضعية تعبر عن واقع واحد، وذلك باللجوء إلى وسائل أسلوبية وتراكيبية مختلفة تمام الاختلاف. ويستعمل هذا الأسلوب عادة في ترجمة الأمثال والحكم."[2]

- مثال: فإذا قلنا المثل الفرنسي L'habit ne fait pas le moine فإننا لا نترجم هذا المثل بشكل حرفي، فلا نقول: لا يصنع اللباس الراهب، بل نقول: لا تخدعنك المظاهر.

أما نيدا Nida فيقول أن هناك نوعين من التكافؤ هما التكافؤ الشكلي formal équivalence والتكافؤ الدينامي dynamique équivalence: " هناك في الأساس شكلان مختلفان من التكافؤ: الأول ويمكن أن يسمى التكافؤ الشكلي، والثاني يعتبر تكافؤا ديناميا بالدرجة الأولى."[3]

فأما التكافؤ الشكلي فإنه يقول عنه: " يركز التكافؤ الشكلي الانتباه على الرسالة نفسها في الشكل والمحتوى معا. ويهتم المرء، في مثل هذه الترجمة، بتلك الحالات من التطابق مثل مطابقة الشعر بالشعر والجملة بالجملة والمفهوم بالمفهوم. وعندما ينظر المرء إلى هذا الاتجاه

[1] محمد أحمد منصور، مرجع سبق ذكره، ص. 37.
[2] إنعام بيوض، مرجع سبق ذكره، ص. 104.
[3] يوجين نيدا، **نحو علم الترجمة**، تر: ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام، العراق، 1976، ص. 308.

الشكلي فإنه يبدي اهتماما من أجل وجوب موازنة الرسالة المنقولة إلى لغة المتلقي بالعناصر المختلفة في لغة المصدر بأدق درجة ممكنة."[1]

وأما عن الترجمة التي تتم عن طريق التكافؤ الدينامي فإنه يقول: " في مثل هذه الترجمة لا نهتم كثيرا بمكافأة الرسالة في لغة المتلقي بالرسالة في اللغة المصدر، حيث إنها تحاول ربط المتلقي بصيغ السلوك الملائمة ضمن بيئة ثقافته. وهي لا تصر على وجوب فهمه للأساليب الثقافية في بيئة لغة المصدر من أجل أن يستوعب الرسالة."[2]

4.2.3. التصرف: L'adaptation

" ومعناها الترجمة بتصرف حيث لا يحوّل المترجم نظره عن المؤلف، حتى لا تظل خطاه، ولكنه لا يتبع ألفاظه بالصرامة التي يتبع بها معناه، و هذا يقتضي تغيير عبارات كاملة، وهو منهج مواز تقريبا لما أصبح يسمى بالترجمة الأمينة أو ترجمة المعنى لا اللفظ."[3]

" ويقتضي باستبدال وضعية ثقافية معطياتها في اللغة المتن بما يؤدي وظيفتها في اللغة المستهدفة، و ذلك بما يصعب نقلها بحذافيرها، و ذلك إما بسبب عدم وجودها إطلاقا في ثقافة اللغة المنقول إليها، أو لمنافاتها لآداب وتقاليد متكلمي هذه اللغة وهذا ما يؤدي إلى التباس المعنى، ومن ثم عدم تذوق الصورة البيانية ويمثل الحد الأقصى للترجمة."[4]

- مثال: "البوم" يدل على الشؤم عند العرب، ولكن يضرب به المثل في الحكمة عند الغرب فقد يستبدل ويترجم بـ "الغراب" لأنه نذير شؤم بالنسبة لهم، فنترجمها بالفرنسية Le corbeau.

[1] نفس المرجع السابق، ص. 308.
[2] نفس المرجع السابق، ص. 309.
[3] محمد عناني، مرجع سبق ذكره، ص. 32.
[4] إنعام بيوض، مرجع سبق ذكره، ص. 118.

الفصل الثاني:

دراسة تحليلية وصفية لترجمة حكاية ذات القلنسوة الحمراء، والقط ذو الجزمتين، وذو اللحية الزرقاء

I. الحكاية الأولى : Le petit Chaperon rouge / ذات القلنسوة الحمراء

- **ملخص الحكاية:**

"Une fillette, est chargée par sa mère de porter à sa grand-mère malade, qui habite le village voisin, au delà de la forêt, une galette et un petit pot de beurre. En chemin, la petite fille, qui n'a pas été mise en garde par sa mère des dangers de la forêt, rencontre un loup qui est empêché de la dévorer par la présence de bûcherons. Pour assouvir sa faim, il tend un piège à la fillette, qui naïvement non seulement ne s'étonne pas que le loup veuille aller lui aussi rendre visite à sa grand-mère, mais lui indique son adresse et accepte de jouer avec le loup à celui qui arrivera le premier. Bien entendu, le loup arrive le premier, (il court tandis que la fillette prend tout son temps), il se fait passer pour le Chaperon rouge, et dévore la grand-mère. Quand le Chaperon arrive, le loup se fait passer pour la grand-mère, et dévora la fillette."[1]

كان يا ما كان، كان هناك فتاة قروية جميلة، تدعى ذات القلنسوة الحمراء التي خاطتها لها جدتها لمشدة تعلقها بها. وذات يوم طلبت منها أمها أن تذهب للاطمئنان على صحة جدتها وتأخذ لها بعض الفطائر والزبد.

سارعت الفتاة لعيادة جدتها، إلا أنها صادفت في طريقها الذئب الماكر الذي أراد التهامها، لكن وجود الحطابين حال بينه و بين أمنيته، فاقترب منها وسألها أين تريد الذهاب. فقالت له أنها ذاهبة لزيارة جدتها المريضة لتعطيها بعض الطعام. فسبقها الذئب واقتحم بيت الجدة المسكينة والتهمها في لحظة ثم أخذ مكانها.

بعد ذلك وصلت الصغيرة البيت ودقت بابه ودخلت، فرأت الذئب نائما في فراش جدتها مدعيا أنه هي وأن شكلها وصوتها تغيرا لأنها مريضة، و حينها هجم الذئب على ذات القلنسوة الحمراء وأكلها.

[1] http://elisabeth.kennel.perso.neuf.fr/resume_des_contes.htm

- **المثال 1:** عنوان الحكاية

Le petit Chaperon rouge ص.09

ذات القلنسوة الحمراء ص.49

كثيرا ما اعتدنا على ذكر وسماع هذه الحكاية تحمل عناوين شتى مثل: القبعة الحمراء الصغيرة أو صاحبة القبعة الحمراء الصغيرة أو الصغيرة ذات القبعة الحمراء، أي غالبا باستعمال لفظة قبعة رغم أن معناها بعيد نوعا ما عن المعنى الحقيقي للفظة الفرنسية Chaperon[1] التي تعني قلنسوة بفتح القاف وهو لباس أو غطاء للرأس وللكتفين مختلف الأنواع والأشكال[2] ، لذا فقد أصاب المترجم في تأدية المعنى كاملا حتى وإن كانت هذه اللفظة صعبة الفهم والإدراك لدى فئة من الأطفال غير المتعوّدين عليها، وربما لهذا السبب تم اللجوء إلى لفظة قبعة في أغلب الترجمات، وذلك لسهولة فهمها من قبل الجميع. كما توجد ترجمات أخرى استعملت فيها تارة عبارة ذات الرداء الأحمر وتارة أخرى العنوان ليلى والذئب.

وإذا انتقلنا إلى لفظة ذات، فمعناها صاحبة، وهي صفة صيغت ليُتوصل بها إلى الوصف بالأجناس والملكية[3]، وهي ترجمة دقيقة تعبر عن الحرف الأول الكبير الذي كتبت به كلمة Chaperon التي يُقصد بها في اللغة الفرنسية اسم علم دال على شخص.

أما فيما يخص الصفة petit فقد أهمل[4] ياسر عبد اللطيف ترجمتها دون أن يؤثر هذا الأمر كثيرا في المعنى نظرا لشهرة هذه القصة لدى الصغير كما الكبير. لكن إضافة الصفة الصغيرة كان بإمكانها أن تزيد وحدة معنوية أخرى للعنوان ألا وهي براءة وسذاجة ولطف صاحبة القلنسوة، وهذا ما نراه فعلا عند قراءتنا للحكاية.

---

[1] Ancienne coiffure commune aux hommes et aux femmes, en usage au moyen âge, enveloppant la tête et les épaules- syn. capuchon. **(Dictionnaire Hachette, édit 2008 - petit Larousse illustré, édit. 1991)**.

[2] **المعجم العربي الأساسي**، من تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ALESCO، لاروس، 1989.

[3] **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة**، الطاهر أحمد الزاوي، الجزء الثاني، ط 4، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1996.

[4] Traduction par omission.

- **المثال 2:**

" Il était une fois une fille de village, la plus jolie qu'on eût su voir …" p.11

" كان يا مكان، كان هناك فتاة قروية صغيرة في غاية الحسن..." ص.49

استعمل المترجم في الجزء الأول من الجملة أسلوب الإبدال، أي أحدث تغييرا في الفئات النحوية باستبدال حرف الجر[1] de والاسم village بالصفة قروية دون أن يخل بالمعنى، مع إضافة صفة ثانية هي صغيرة.

أما في الجزء الثاني من الجملة، فقد لخّص المترجم أسلوب التفضيل الفرنسي والجمال الملائكي للفتاة بمفردتين هما غاية والحُسن، فعوض أن يقوم بترجمة حرفية ممكنة على سبيل: الأجمل والتي لم يرى مثلها قط أو الأكثر جمالا حيث لم يُرى لها مثيل، لجأ إلى الاختصار المعنوي الناجح باختياره لفظة غاية التي تدل على الكثرة والشدة ولفظة الحُسن المرادفة للجمال.

- **المثال 3:**

" …sa mère en était folle, et sa mère-grand plus folle encore" p. 11

"... وكانت أمها شديدة التعلق بها، أما جدتها فكانت أكثر تعلقا بها من أمها" ص.49

إن العبارة الاصطلاحية[2] être fou (ou folle) de quelqu'un عادة ما يقصد بها في اللغة الفرنسية أن يحب الشخص شخصا آخر حبا جما، لذا استعمل المترجم في المقطعين عبارة التعلّق بالشخص وهي مكافئة في المعنى وسلسة تراكيبيا.

[1] Préposition.

[2] Expression idiomatique ou figée : formé au moyen de mots au sens figuré. Toutes sont imagées, certaines poétiques, d'autres familières. (Bentolila Alain & autres, **Les guides, le Robert & Nathan: Vocabulaire**, édit Nathan, Paris, 2002, p. 134.)

- **المثال 4:**

"En passant dans un bois, elle rencontra compère le loup…" p. 11

" وبينما هي تقطع الغابة صادفت في طريقها الذئب المكار..."

إن المعنى الأكثر تداولا للفظة compère هو الصديق الطيب والوفي[1]، لكن يوجد معنى آخر أقل شيوعا لهذه الكلمة[2] يتناسب مع طبيعة الذئب الماكرة والمخادعة وهو بالضبط ما قام به المترجم عندما استخدم الصفة مكّار مؤديا بالتالي المعنى الأصلي كاملا غير منقوص.

- **المثال 5:**

" Oh ! oui, dit le petit Chaperon rouge, c'est par-delà le moulin que vous voyez là-bas …» p. 11

" – نعم، خلف تلك الطاحونة التي تراها هناك ..." ص.50

للوهلة الأولى لا توجد مشكلة في ترجمة هذه الجملة، لكن إذا تمعنا النظر لوجدنا أن ظرف المكان par-delà[3] يدل على المكان البعيد بالنسبة للطاحونة، فلو كان الأمر عكس ذلك لاستعمل الكاتب لفظة derrière أي خلف. لهذا السبب، من المستحسن استعمال لفظة ما وراء الطاحونة التي تؤدي المعنى الأصلي على أتم وجه.

- **المثال 6:**

" Le loup se mit à courir de toute sa force par le chemin qui était le plus court …" p.12

" وسلك الذئب الطريق الأقصر، وقطعها جريا بكل ما أوتي من قوة." ص. 50

نلمح في هذا المثال إلى جودة ترجمة ياسر عبد اللطيف عندما مزج بين الترجمة الحرفية وأسلوب التقديم والتأخير، فتحصلنا على ترجمة سلسة ومتناسقة وشاملة للمعنى.

[1] Bon et fidèle camarade - **(Dictionnaire Hachette, édit 2008).**

[2] Personnes qui est de connivence avec un prestidigitateur, un bonimenteur, etc., et qui aide celui-ci à tromper le public - **(Dictionnaire Hachette, édit 2008).**

[3] Loc Au-delà, par-delà : encore plus, encore davantage, encore plus loin - **(Dictionnaire Hachette, édit 2008).**

- **المثال 7:**

" Le loup ne fut pas longtemps à arriver à la maison de la mère-grand…" p. 12

" ...فوصل الذئب قبلها لبيت الجدة..." ص. 50

استعمل المترجم في هذه الجملة أسلوب التحوير وذلك بإحداث تغيير في وجهة النظر بالنسبة لحقيقة لسانية واحدة ألا وهي سرعة وصول الذئب إلى بيت الجدة. فالجانب التراكيبي والدلالي للترجمة مختلف عن النص الأصلي، لكن الرسالة واحدة في اللغتين.

- **المثال 8:**

" Elle lui cria : tire la chevillette[1], la bobinette[2] cherra[3]." p. 12

" – اسحبي المزلاج وسينفتح الباب" ص. 52

تعمد المترجم في هذه الجملة عدم ترجمة chevillette[4] كونها جزء من المزلاج bobinette تجنبا للوقوع في صيغة ثقيلة تنعكس على جمالية الأسلوب وحفاظا على سلاسة العبارة. أما الفعل cherra الذي يعني سقط ووقع، فقد لجأ ياسر عبد اللطيف إلى نوع من التحوير وذلك بذكر نتيجة سقوط المزلاج أي انفتاح الباب عوض ترجمة الفعل مباشرة، وقد أصاب إلى حد كبير في ذلك.

- **المثال 9:**

" Il se jeta sur la bonne femme, et la dévora en moins que rien " p. 12

" وهجم على الجدة الطيبة فالتهمها في لحظة " ص. 52

[1] Pettite cheville en bois ou en métal, élement des anciennes fermetures de porte - **(petit Larousse illustré, édit. 1991)**.

[2] Petite pièce de bois mobile bloqué par la cheville, servant à bloquer les portes. Loquet - **(petit Larousse illustré, édit. 1991)**.

[3] Futur du verbe choir, tomber.

[4] مسمار المزلاج - **(Dictionnaire Larousse Al-Muhît, édit 2010)**.

هنا، ترجم ياسر عبد اللطيف الفعل se jeta بالفعل هجم وهو المقصود من ارتماء الذئب على الجدة، كما أن هجوم الذئب لا يتم إلا بالارتماء والقفز والوثوب. أما عبارة la dévora en moins que rien تكافؤها في العربية التهمها في لحظة، وهو عين الصواب.

- **المثال 10:**

"Le Loup lui cria, en adoucissant, sa voix" p. 12

" فرّد الذئب وقد تعمد تهذيب صوته قليلا" ص. 52

إن أصل ترجمة العبارة adoucir sa voix هو لطّف، ليّن صوته أو هدّأ، خفّف من نبرة صوته[1]، لكن المترجم اختار الفعل هذّب وهو أكثر رونقا وإيحاء للمعنى الأصلي. كما أن الإنسان المهذب أخلاقه رفيعة، ومن الأخلاق الحسنة الصوت اللطيف الهادئ الرزين.[2]

- **المثال 11:**

"Le petit Chaperon rouge se déshabille, et va se mettre dans le lit, où elle fut étonnée de voir comment sa mère-grand était faite en son déshabillé" p.12, 14

" خلعت ذات القلنسوة الحمراء ملابسها، ورقدت في الفراش، فاندهشت من جسد جدتها العاري" ص. 53

وقع المترجم لدى ترجمته لهذه الجملة في لُبس معنوي، وذلك عندما نقل لفظة déshabillé[3] التي تعني ثوب النوم (للنساء)[4] بجسد جدتها العاري. فلو كان جسد الجدة عاريا فعلا لتفطنت الفتاة لحيلة الذئب، لكن سبب اندهاشها هو ذلك الشكل الغريب لجدتها وهي ترتدي ثوب النوم، فسذاجتها منعتها من التعرف على الذئب المتنكر. كما أنه ليس من المعقول أن ترقد الفتاة إلى جانب جدتها وهي عارية بلا ثياب.

[1] **Dictionnaire Larousse Al-Muhît, édit 2010.**

[2] **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة.**

[3] Léger vêtement de nuit pour les femmes - **(Dictionnaire Hachette, édit 2008).**

[4] **Dictionnaire Larousse Al-Muhît, édit 2010.**

II. الحكاية الثانية : Le maître Chat, ou le Chat botté/ القط العارف أو القط ذو الجزمتين.

- **ملخص الحكاية:**

"À la mort d'un meunier, trois frères se partagent un héritage inégal. L'aîné reçoit le moulin, le deuxième obtient l'âne tandis que le benjamin doit se contenter d'un chat. Ce dernier, pour éviter d'être mangé, réclame un sac et une paire de bottes à son maître, lui promettant de faire sa fortune. Ainsi, le chat, à travers maintes astuces et autant de ruses, entraîne le roi à croire à l'existence d'un certain marquis de Carabas, habitant d'un riche château. Enfin ébloui, le roi cède ce qui lui est le plus cher, sa fille! Le chat a fait la fortune de son maître…. et la sienne!"[1]

يحكى أن هناك طحّانا لم يترك لأبنائه الثلاثة عند موته سوى طاحونة وحمارا و قطّا. فأخذ الابن الأكبر الطاحونة، والأوسط الحمار، وحصل الأصغر على القطّ. ظل هذا الأخير طوال الوقت حزينا، فقال له القطّ لا تقلق يا سيدي فقط أعطيني كيسا وجزمتين وسأجعلك سعيدا. عندما حصل القط على ما أراده، لبس الجزمتين وحمل الكيس وخرج إلى الحقل، اصطاد أرنبا وأخذه إلى الملك كهدية باسم سيده مركيز كاراباس كما يزعم. وراح القط يتردد على الملك حاملا إليه ما يصطاده في كل مرة.

وذات يوم وبينما كان الملك رفقة ابنته الأميرة الحسناء في نزهة، طلب القطّ من سيده الاستحمام في البحيرة، و ما إن رأى عربة الملك حتى صاح طالبا نجدة سيّده من الغرق متظاهرا بأن اللصوص سرقوا ثيابه، فأمر الملك له بثياب جميلة ودعاه في نزهة معه بالعربة. اندهش الملك بكل تلك الحقول التي يملكها الشاب مثلما زعم القط، كما دعاه لزيارة قصر سيده. أسرع القط إلى قصر الغول وفكر في طريقة للتخلص منه، حينها طلب منه تغيير شكله إلى فأر صغير لكي يتحقق من قدرته العجيبة في التحوّل، فقبل الغول مفتخرا، وبعد أن تحوّل إلى فأر صغير، انقض عليه القط وأكله. وعندما رأى الملك قصر مركيز كاراباس عجب لجماله ولثراء أثاثه، وزوّج له ابنته في ذلك اليوم، وعاشا عيشة سعيدة وبجوارهما القّط الذكي.

[1] http://caroljonesspectacleroulotte.blogspot.com/p/le-chat-botte-de-charles-perrault.html

- **المثال 1:** عنوان الحكاية

Le maître Chat, ou le Chat botté p.55

القط العارف أو القط ذو الجزمتين ص. 73

لا تحمل لفظة maître في عنوان هذه الحكاية معنى سيّد أو معلِّم أو مدرب أو أستاذ أو حتى مربِّ وإنما نقصد بها قطٌ ماهر، ذكي، بارع، أو عارف. لذا فقد أصاب المترجم في نقل المعنى الأصلي، ونفس الشيء قام به عندما استعمل أسلوب الإبدال وترجم الصفة botté بالصفة ذو التي تعني صاحب والاسم المثنى الجزمتين[1]، إذ لا نرى حلا آخر سواه.

- **المثال 2:**

" Mes frères, disait-il, pourront gagner leur vie honnêtement en se mettant ensemble ; quant à moi, lorsque j'aurai mangé mon chat, et que je me serai fait un manchon de sa peau, il faudra que je meure de faim." p.57

" فقال لنفسه: – يقدر شقيقاي أن يكسبا عيشهما بارتياح إذا عملا معا، أما أنا فحتى إذا أكلت قطّي وصنعت من جلده فراءً لكُمّيَّ فسوف أموت جوعا" ص.73

ترجمة حرفية جميلة لهذه الجملة مع بعض الروتوشات الصغيرة التي لا تؤثر كثيرا على المعنى، فمثلا الترجمة الحرفية لـ lorsque j'aurai mangé mon chat هي عندما أنتهي من أكل قطي أو عندما آكل قطّي. وبزيادة فحتى إذا يعني أن الأمر مجرد احتمال وتقابلها في الفرنسية عبارة et même si j'aurai mangé mon chat. أما لفظة manchon فتعني فروة اليدين وهي فروة أسطوانية الشكل، توضع في داخلها اليدان لتدفئتهما[2] وترجمها ياسر عبد اللطيف بفراء لكُمّيَّ، والكُمّ هو الجزء من الثوب الذي يغطي مقبض اليدين.

[1] Bottes, boots – **(Dictionnaire Larousse AS-SABIL arabe-français, édit 1983**).

[2] **Dictionnaire Larousse Al-Muhît, édit 2010.**

- **المثال 3:**

" Quoique le maître du Chat n'y crut guère, il lui avait vu faire tant de tours de souplesse, pour prendre des rats et des souris, comme quand il se pendait par les pieds ou qu'il se cachait dans la farine pour faire le mort, qu'il ne désespéra pas d'en être secouru dans sa misère." pp.57, 58

" ومع أن صاحب القطّ لم يعوِّل كثيرا على كلامه، إلا أنه شعر بالأمل في الخروج من بؤسه بعدما تذكر المرّات العديدة التي رأى فيها القطّ يقوم بمناورات رشيقة لقنص الفئران والجرذان، كأن يتعلق من قدميه، أو يختبئ في الطحين ويتظاهر بالموت." ص. 74

نلاحظ نفس الشيء بالنسبة لهذا المقطع، فهي ترجمة حرفية لطيفة ومنسجمة. لكن يكمن الفرق في استعمال المترجم لأسلوب التقديم والتأخير مع أسلوب التحوير أو التطويع للجملة المسطرة. بالفعل، أحدث ياسر عبد اللطيف قلبا في شكل الرسالة، فعوض أن يترجم العبارة ne désespéra pas باستعمال أسلوب النفي والحصول على لم ييأس، فضل الترجمة من زاوية مقابلة والحصول على ترجمة أحسن ألا وهي شعر بالأمل.

- **المثال 4:**

" Lorsque le Chat eut ce qu'il avait demandé, il se botta bravement ; " p. 58

" وعندما حصل القطّ على ما طلبه، لبس الجزمتين بثقة " ص. 74

إن القصد من ظرف الحال bravement[1] في الجملة il se botta bravement هي الأناقة، أي أن القطّ تنعل الجزمتين بأناقة التي ولدت له نوعا من الثقة، فترجمة ياسر عبد اللطيف لا تؤثر على المعنى العام، لكنه إما أنه لم يفهم المعنى القديم لهذه اللفظة، أو أنه فضّل الترجمة باستعمال الأثر الناتج عن انتعال الجزمتين، وهو هنا نوع من التصرف.

[1] *Vieilli* et *fam*. Synon. De *bien*. Elles sont bravement mises (Balzac, ***Le Père Goriot***, 1835, p. 150) - **(Dictionnaire électronique du Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales CNRTL).**

- **المثال 5:**

" Il mit du son et des lasserons dans son sac," p. 58

" وضع القطّ في كيسه شيئا من النخالة والنباتات الطريّة " ص. 74

تصرف المترجم بعض الشيء لدى ترجمته للفظة lasseron[1] التي تعني نبتة الصقلاب. فلو نقلها المترجم بهذه الصيغة إلى القارئ، صغيرا كان أو كبيرا، لما فهمها. لذلك فضّل استعمال إحدى خصائص النبتة المتمثلة في طراوتها مثل العشب الأخضر.[2]

- **المثال 6:**

" , étant entré il fit une grande révérence au roi," p. 58

" وما إن دخل القطّ حتى أبدى للملك آيات التوقير" ص. 74

أحسن المترجم في ترجمته لعبارة faire une grande révérence[3] التي تعني إبداء آيات التوقير أو الإجلال والإكرام والاحترام والإكبار[4]. ولكي تكون الصورة أكثر وضوحا، فإن الناس عندما يدخلون على الملوك أو الأمراء يقومون أمامهم بانحناءة تعكس مدى احترامهم وإكبارهم لهم وأيضا لجلب مودتهم ورضاهم، وهذا بالذات ما قام به القطّ الذكي في حضرة الملك.

- **المثال 7:**

" Voilà, sire, un lapin de garenne que M. le marquis de Carabas (c'était le nom qu'il lui prit en gré de donner à son maître), m'a chargé de vous présenter de sa part." p. 58

" – يا جلالة الملك، هذه إحدى الأرانب البرية، وقد أوصاني السيّد مركيز كاراباس (وهو الاسم الذي أطلقه القطّ بوحي من خياله على صاحبه ابن الطحّان) أن أقدّمها لجلالتكم." ص.74،

[1] Laiteron (plante herbacée) - **(Dictionnaire électronique du Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales CNRTL).**

[2] Herbacé. BOT. Qui a l'aspect, qui est de la nature de l'herbe - **(petit Larousse illustré, édit. 1991).**

[3] Salut respectueux qu'on fait en fléchissant plus ou moins les genoux - **(Dictionnaire Hachette, édit 2008).**

[4] **Dictionnaire Larousse Al-Muhît, édit 2010.**

لم يخطئ ياسر عبد اللطيف عندما ترجم un lapin de garenne[1] بإحدى الأرانب البرية، وهو المقصود. كما استعمل أسلوب الإبدال حينما نقل أداة النكرة un بالنعت العددي إحدى وأبدل المفرد lapin بصيغة الجمع الأرانب.

ومن جهة ثانية أصاب المترجم عندما استعمل أسلوب الاقتراض في اللفظة marquis مركيز، وهو من ألقاب النبلاء وملاّكي الأراضي والإقطاعات في أوروبا في العصور الوسطى. بينما استخدم أسلوب النقل الحرفي transcription في نقل اسم العلم الدال على السيّد Carabas كاراباس.

أما إذا انتقلنا إلى العبارة il lui prit en gré فهي تعني[2]vouloir, consentir volontiers أي القبول والموافقة طوعا على أمر ما. أما المترجم فقد تصرف نوعا ما واستعمل عبارة بوحي من خياله، وهي ترجمة لطيفة لا تطعن في المعنى الأصلي للعبارة، بل على العكس من ذلك تزيدها رونقا وجمالا، وتعكس سرعة بديهة القطّ وفطنته أمام حضرة الملك.

- **المثال 8:**

" …et comme les beaux habits qu'on venait de lui donner relevaient sa bonne mine (car il était beau, et bien fait de sa personne), la fille du roi le trouva fort à son gré, et le marquis de Carabas ne lui eut pas plutôt jeté deux ou trois regards fort respectueux et tendres, qu'elle en devint amoureuse à la folie." p. 59

" أظهرت الملابس الجميلة التي أتى بها حرّاس الملك للمركيز طلاقة محيّاه، إذ كان بهيَّ الطلعة قوي الشخصية.فأُعجبت به الأميرة أشدّ الإعجاب؛ وحدجها المركيز بنظرتين أو ثلاث ملؤها الاحترام والرقة، فوقعت في حبّه وولعت به." ص. 78

تعكس كل العبارات المسطّرة أسلوب الترجمة الحرفية الإبداعية مع شيء من التكافؤ الذي أبدع المترجم في إيجاده ووضعه في إطار لغة عربية سلسة وجميلة وعذبة؛ إذ لا نحس في الترجمة بأي تكلف أو تعقيد، بل حافظ ياسر عبد اللطيف على ذكاء ورونق اللغة العربية

[1] Lieu boisé où les lapins vivent à l'état sauvage - **(petit Larousse illustré, édit. 1991).**
[2] http://littre.reverso.net/dictionnaire-francais.

انطلاقا من جمالية الأسلوب الفرنسي المستعمل. فكان اختياره للعبارات بالعربية اختيارا سديدا وموفقا.

- **المثال 9:**

" Comment, M. le marquis, s'écria le roi, ce château est encore à vous ? Il ne se peut rien de plus beau que cette cour et que tous ses bâtiments qui l'environnent : voyons les dedans, s'il vous plait." p. 62

" فصاح الملك:

"– إيه أيها المركيز، هل هذا القصر أيضا من أملاكك؟ ما أجمل هذه الحدائق التي تحيط به وما أروع مبانيه! هل بإمكاننا أن نتفقده من الداخل أيضا؟" ص. 84

في الأصل، تعني عبارة cour d'un château فناء أو ساحة قصر، وهو المقصود على ما أظن، وليس الحدائق التي تعني jardins باللغة الفرنسية. ومع ذلك، لا تؤثر هذه الترجمة على المعنى الكلي للجملة، بل ربما كان قصد المترجم وراء هذا الاختيار تلك الحدائق الغنّاء التي غالبا ما تزيّن ساحات وأفنية القصور التي أصحابها من ذوي الجاه والسلطان على شاكلة الغول صاحب كل تلك الأملاك والثروة الفاحشة.

كما استعمل المترجم أسلوب الإبدال وذلك عندما نقل طلب الملك المهذب بالفرنسية على شكل جملة استفهامية في العبارة العربية.

- **المثال 10:**

" Le Chat devint grand seigneur, et ne courut plus après les souris que pour se divertir." p. 62

"أمّا القطّ فقد صار من النبلاء، وتوقف عن مطاردة الفئران والجرذان، إلاّ للتسلية." ص. 85

ترجمة حرفية جميلة لآخر جملة في الحكاية، مع استخدام أسلوب الإبدال في قلب المفرد grand seigneur جمعا نبلاء، وكذا قلب الفعل se divertir بالاسم تسلية.

III. الحكاية الثالثة: La Barbe bleue/ ذو اللحية الزرقاء

- **ملخص الحكاية:**

"Un riche roturier, enlaidi par sa barbe bleue, effrayait tout le monde. Un jour, il décide de demander en mariage une des filles de sa voisine et pour que chacune puisse choisir il invite la mère, ses filles, leurs amies, dans sa belle maison de campagne. Pendant huit jours ce ne sont que fêtes et festins, de sorte que la cadette décide de l'épouser en dépit de sa laideur.

Alors qu'il prétend devoir s'absenter six semaines pour affaire, il invite sa femme à profiter de cette liberté pour aller se divertir avec ses amies dans sa maison de campagne : elle pourra faire tout ce qu'elle veut, sauf ouvrir la porte d'un certain d'un cabinet dont il lui confie toutefois la clef. La jeune femme accepte mais c'est sans compter sur sa curiosité qui est bien plus forte que le serment qu'elle a fait à son mari. Quand elle ouvre le cabinet, elle découvre les corps ensanglantés des précédentes épouses de son mari. Le soir même (ce qui prouve bien que c'était un piège tendu à la jeune femme), son mari est de retour et demande que les clefs lui soient restituées. Mais la clef du cabinet était souillée de sang et malgré tous les efforts de la jeune femme, elle n'avait pu éliminer les preuves de sa curiosité (la clef était fée). Barbe bleue condamne sa fille à mourir et alors qu'il s'apprêtait à l'égorger, ses deux beaux frères arrivent et le tuent. Veuve, le jeune femme hérite de tous les biens de son défunt mari et vit désormais heureuse avec un mari aimant."[1]

كان يا مكان، كان هناك رجل ثري لديه الكثير من الممتلكات، ولكن لحيته الزرقاء تجعله قبيحا تفزع منه كل النساء. وكان له جارة لها بنتان جميلتان. فطلب منها أن تزوجه إحداهن، وافقت الأخت الصغرى بعد أخذ وردّ. ذات يوم قال ذو اللحية الزرقاء لزوجته أنه عليه أن يسافر لبضعة أيام، وأن القصر كله تحت تصرفها، وأعطاها مفاتيح كل الغرف، وحذّرها من دخول الغرفة الصغيرة الموجودة في نهاية الرواق وإلاّ غضب غضبا شديدا.

راحت الزوجة مع جاراتها يجوبون كل غرف القصر، لكن الزوجة الفضولية تسللت إلى تلك الغرفة المحّرمة، ووقفت مضطربة أمام الباب ثم فتحته لتصدم بأجساد نساء مقتولات

[1] http://elisabeth.kennel.perso.neuf.fr/resume_des_contes.htm

مصفوفات على الأرضية. فهمت أنهن زوجاته السابقات، ونظراً لشدة خوفها، سقط المفتاح من يدها وتلطخ بالدماء. أسرعت إلى غرفتها وأخذت تنظف المفتاح ولكن دون جدوى لأنه كان مسحورا. رجع ذو اللحية الزرقاء من سفره في اليوم نفسه مدعيا أن أشغاله كلّها انتهت لصالحه، وطلب المفاتيح فاضطربت الزوجة وهي تسديها إليه. فلاحظ أن المفتاح الصغير ملطخا بالدماء، سألها فتلعثمت، فقرر قتلها فورا. المسكينة استمهلته دقائق للتذرع لله فوافق، فطلبت مسرعة من أختها الصعود إلى أعلى البرج لانتظار شقيقيها المفترض وصولهما في ذلك اليوم. كانت بعد كل بضع لحظات تكرر سؤالها إذا كانت أختها آن تراهما وكان جوابها دائما بالنفي.

لم تفقد الزوجة الأمل رغم نداءاتها المتكررة، وإذا باللحية الزرقاء يصرخ عليها لكي تنزل إليه وهمّ بذبحها. حينها وصل شقيقيها في اللحظة الأخيرة وانقضا عليه وقاما بقتله، وأنقذا الفتاة المرعوبة من موت محقق.

- **المثال 1:**

" Il était une fois un homme qui avait de belles maisons à la ville et à la compagne, de la vaisselle d’or et d’argent, des meubles en broderie, et des carrosses tout dorés. " p. 115

" كان يا مكان، كان هناك رجل يملك بيوتا جميلة في المدينة والريف، أدوات المائدة فيها من الذهب والفضّة، وأثاثها مزخرف، وعرباته فيها مزيّنة بالنّضار؛" ص.57

ترجمة حرفية ممتازة لهذا الوصف الجميل، لكن من واجبي أن أبدي ملاحظة صغيرة فيما يخص ترجمة عبارة des carrosses tout dorés، حيث قام ياسر عبد اللطيف بإبدال ظرف الحال tout والصفة dorés بالصفة مزيّنة متبوعة بالجار والمجرور بالنّضار، إذ كان حريّا به أن يتبع الصفة مزيّنة بلفظة كلّها لكي تؤدي المعنى الكامل لـ tout، إذ أن العربات بمجملها كانت مزيّنة أو مطلية بالذهب. أما النّضار لغة هو الذهب أو الفضة[1]، وهي كلمة تراثية نوعا

[1] ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة.

ما، قد يصعب فهمها لمن ليس مطلّعا بمكنونات اللغة العربية، فما بالكم إذا تعلق الأمر بالناشئة. لذا من الأحسن استعمال كلمة الذهب الأكثر دقة والمعروفة لدى القاصي والداني.

- **المثال 2:**

" Une de ses voisines, dame de qualité[1]," p. 115

" وكان له جارة من أفاضل الناس،" ص.57

لقد تمكن المترجم من إيجاد مكافئ يناسب معنى dame de qualité والمتمثل في العبارة أفاضل الناس، دون أن يغوص في متاهات وحقب تاريخية (انظر التهميش). فالمعنى البديهي للعبارة الفرنسية هو أن الجارة تنتمي إلى عائلة شريفة ذات حسب ونسب وتعيش عيشة كريمة بعيدا عن الفقر والحاجة؛ وهذا بالذات ما نشعر به عند قراءتنا للترجمة العربية.

- **المثال 3:**

" Elles n'en voulaient point toutes deux, et se le renvoyèrent l'une à l'autre, ne pouvant se résoudre à prendre un homme qui eût la barbe bleue." p. 115

" ولم تقبل أيّ من الفتاتين الزواج منه، وأخذت الواحدة تردّه للأخرى دون أن تتوصّلا إلى قرار بشأن الزواج من رجل له لحية زرقاء." ص.57

على العموم، أدّت هذه الترجمة المعنى المقصود للجملة الأصلية، لكن بودّي أن أبدي ملاحظة بسيطة بخصوص المعنى الحقيقي للعبارة:

Ne pouvant se résoudre à faire telle où telle chose, où à accepter telle où telle situation.

[1] La femme de qualité est l'équivalent de la dame de qualité . A partir du XIXe siècle on n'emploie presque plus que l'expression 'femme de qualité', celle de 'dame de qualité' étant associée à l'ancien régime. Les femmes de qualité sont généralement de grandes protectrices des arts mais aussi des indigents. Comme l'écrit Restif de la Bretonne (1734-1806) dans *Les Nuits de Paris* (1788-1794) : « Une femme de qualité avait des vapeurs ; elle ne savait que faire d'elle-même et de sa fortune ; elle est devenue bienfaisante, et elle n'a plus de vapeurs. ». De nombreuses estampes représentant des femmes et dames de qualité sont éditées à la fin du XVIIe siècle et au début du XVIIIe. On utilise même des superlatifs pour les désigner : *Dame de la plus haute qualité* **;** *Dame de grande qualité en habit d'hiver* **;** *Femme Turque de grande qualité***. (http://www.lamesure.org/article-la-femme-et-l-homme-de-qualité.)**

في الواقع الترجمة الأكثر دقةّ لهذه العبارة هي أن الفتاتين لم تتقبلا أو لم تستوعبا فكرة الزواج من رجل له لحية زرقاء، أو حتى لم ترغبا البتة الزواج منه، وكلّها ترجمات أكثر قوّة ودلالة لدرجة نفور وقرف الفتاتين من هذا الرجل ذو المظهر المخيف.

- **المثال 4:**

" ; enfin tout alla si bien, que la cadette commença à trouver que le maître du logis n'avait plus la barbe si bleue,…" p. 115

" وسارت كلّ الأمور على ما يرام، حتى أن البنت الكبيرة بدأت ترى أن لحية المضيف الزرقاء ليست بهذه الفظاعة. " ص.58

نستغرب في هذه الجملة وقوع المترجم في خطأ ترجمة اللفظة la cadette[1] – التي تعني الأصغر من الأخوات[2] – بالبنت الكبرى، وهو خطأ جسيم إذ يقلب أدوار شخصيات الحكاية كما رواها لنا شارل بيرو. أما الجزء الثاني من الجملة، فقد استطاع ياسر عبد اللطيف نقل تلك الشحنة الإيحائية السلبية التي تدل على قبح وفظاعة الشخص والمعبّر عنها بظرف الحال si adverbe الذي يرادفه هنا معنى aussi أو tellement bleue وذلك بترجمة العبارة الفرنسية بـ ليست بهذه الفظاعة، فلو ترجمها ولم يطوّعها لتحصلنا على: حتى أن البنت الصغرى بدأت ترى أن لحية المضيف الزرقاء ليست بتلك الزرقة، وهذا لا يؤدي المعنى المنشود.

- **المثال 5:**

" Au bout d'un mois, la Barbe bleue dit à sa femme qu'il était obligé de faire un voyage en province, de six semaines au moins." p. 116

" وبعد شهر من الزواج، قال ذو اللحية الزرقاء لزوجته إنه مضطر لمغادرة المدينة لشأن هام في رحلة سيغيب فيها ستّة أسابيع على الأقّل " ص.58

[1] Chacun des enfants d'une famille nés après l'ainé ; dernier-né, benjamin- **(Dictionnaire Hachette, édit 2008)**.

[2] **المنهل** (قاموس فرنسي- عربي)، طبعة 2007.

ترجمة جيّدة وسلسة لهذه الجملة، إلا أنها ربما تحتاج إلى إضافة بسيطة فيما يخص كلمة province[1] التي تعني الريف في إطار سياق هذه الحكاية، لأنه وبكلّ بساطة لا توجد في حكايات شارل بيرو أسماء علم لمدن أو بلدات وإلا لكان معنى هذه اللفظة يشمل كلّ المناطق في فرنسا باستثناء العاصمة باريس.[2]

- **المثال 6:**

", que partout elle fît bonne chère[3]" p. 116

" وأن تولم لهنّ دوما " ص.58

أصاب ياسر عبد اللطيف في ترجمة معنى العبارة الاصطلاحية[4] faire bonne chère بالفعل ولّم له أي أقام وليمة لشرف ضيوف ما، حتى يمكننا اعتبار هذا الاختيار مكافئا معنويا لائقا.

- **المثال 7:**

", et voilà le passe-partout de tous les appartements." p. 116

" وهي ذي مفاتيح كلّ أجنحة البيت وحجراته " ص.58

لم يحسن ياسر عبد اللطيف في ترجمة le passe-parout[5] الذي هو في الأصل مفتاح واحد رئيسي أو عمومي[6] يفتح أبواب وأقفال متعددة، وليس مجموعة مفاتيح كما نلاحظه في المثال.

---

[1] Ensemble de toutes les régions de France à l'exception de Paris et sa banlieue - **(petit Larousse illustré, édit. 1991)**.

[2] **Dictionnaire Larousse Al-Muhît, édit 2010.**

[3] Le mot "chère" est issu de l'ancien français "chiere". Ce dernier est lui-même tiré du latin "cara", qui signifiait "visage". Par la suite, ce mot prit le sens d'"air". L'expression voulait donc dire "avoir l'air aimable, être accueillant". Le sens actuel de "bien manger" n'est apparu qu'au XVIIe siècle, sans doute à cause de l'homonyme "chair", qui représentait la viande – **(http://www.linternaute.com)**.

[4] Expression idiomatique ou banal.

[5] Clé faite de façon qu'elle puisse ouvrir plusieurs serrures différentes - **(Dictionnaire Hachette, édit 2008)**.

[6] **المنهل** (قاموس فرنسي- عربي)، طبعة 2007.

- **المثال 8:**

" Les voilà [les voisines] aussitôt à parcourir les chambres, les cabinets, les garde-robes, toutes plus belles et plus riches les unes que les autres. Elles montèrent ensuite aux garde-meubles, où elles ne pouvaient assez admirer le nombre et la beauté des tapisseries, des lits, des sofas, des cabinets, des guéridons, des tables et des miroirs, où l'on se voyait depuis les pieds jusqu'à la tête, et dont les bordures, les unes de glace, les autres d'argent et de vermeil doré, étaient les plus belles et les plus magnifiques qu'on euut jamais vues ;" p. 116

" وقد شرعن من فورهنّ بتفقّد الغرف والمقصورات وخزانات الملابس، وقد كانت كلّها غاية في الجمال والترف. ثمّ صعدن بعد ذلك نحو مخازن الأثاث حيث فتنهنّ جمال المفروشات والأسرّة والأرائك والخزانات والطاولات والمرايا ذات الحواف الفضية والذهبية المطرّزة بالعقيق والتي تعكس صورة المرء من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه " ص.60

ماذا عسانا أن نقول، فقد أبدع المترجم في نقل هذا الوصف الجميل والدقيق في آن واحد، مستعملا ذكاء وعبقرية اللغة العربية بشكل رائع – بما في ذلك أسلوب التقديم والتأخير– إذ لا نحسّ بتاتا أن الوصف ترجمة لنص فرنسي، بل إبداع أدبي من صنع المترجم ياسر عبد اللطيف.

- **المثال 9:**

" , elle descendit par un escalier dérobé, et avec tant de précipitation, qu'elle pensa[1] se rompre le cou deux ou trois fois." p. 117

" ونزلت عن طريق درج جانبي ضيّق، وكادت، بسبب تسرّعها، تصدم رأسها بالدّرج مرّتين أو ثلاثا. " ص.60

في هذا المثال، لم يكن المترجم دقيقا في نقل معنى الصفة dérobé[2] التي تعني في هذا السياق سرّيّ وخفيّ (لسلّم أو باب)[3]، ونجد كثيرا هذه الأنواع من الأبواب والأدراج السريّة – وإن

[1] Faillit.

[2] Secret, dissimulé - **(Dictionnaire Hachette, édit 2008)**.

[3] **Dictionnaire Larousse Al-Muhît, édit 2010.**

كانت فعلا ضيّقة – في القصور القديمة والكبيرة. إذ غالبا ما تستعمل لإخفاء بعض الحجرات السريّة أو الملاجئ والممرات التي تستخدم للاختباء أو الفرار أو الالتفاف أثناء الحروب أو إذا تعرض القصر لهجوم الأعداء.

ولدينا نفس الملاحظة بالنسبة للجزء الثاني من المثال، حيث ابتعد المترجم عن الدّقة التي عهدناه عليها، وذلك لأن المعنى الأدّق لعبارة se rompre le cou[1] هو السقوط الذي مآله الموت أو الإصابة بجروح بليغة، لذا أقترح الترجمة التالية:

" ... وكادت، بسبب تسرّعها، أن تسقط سقطة مميتة مرّتين أو ثلاثا."

- **المثال 10:**

" Pourquoi y a-t-il du sang sur cette clef ? – Je n'en sais rien, répondit la pauvre femme, plus pâle que la mort." p. 119

" – ما هذا الدّم على المفتاح؟ فقالت له المسكينة وقد ابيضّ وجهها من الفزع: – لا أعلم. "

ص.63

لقد استطاع المترجم إيجاد ترجمة جميلة لمعنى العبارة الاصطلاحية التي أتت على شكل تشبيه بليغ plus pâle que la mort[2]، لكن كان بإمكانه استعمال المكافئ العربي: " وقد كان وجهها أكثر شحوبا من الموت"، وهو أكثر دلالة على شدّة خوف وهلع الزوجة المسكينة من ردّة فعل زوجها التي لا شك ستكون قاسية للغاية.

[1] Se tuer ou se blesser grièvement en faisant une chute - **(petit Larousse illustré, édit. 1991)**.

[2] pâle comme un mort ; pâle comme une morte (fém.) - **(http://www.languefrancaise.net)**

- **المثال 11:**

" Il reconnut que c'était les frères de sa femme, l'un dragon[1] et l'autre mousquetaire[2], de sorte qu'il s'enfuit aussitôt pour se sauver ;" p. 119

" عرف هذا الأخير أنّهما شقيقا زوجته، وكان كلاهما من الفرسان، " ص.63

تجنب ياسر عبد اللطيف الخوض في ترجمة الألقاب العسكرية لتلك المرحلة التاريخية، بل اكتفى بالقول أن شقيقا زوجة ذو اللحية الزرقاء ينتميان إلى فرسان الجند التابعين للملك، وهذا هو الصواب حتى نبقي على روح الحكاية بعيدا عن الدقّة التاريخية التي لا نرى لها ضرورة في هذا المقام.

[1] Soldat d'un corps de cavalerie créé au XVIe siècle - **(petit Larousse illustré, édit. 1991)**.

[2] Gentilhomme d'une des deux compagnies à cheval de la maison du roi (XVIIe- XVIIIe s) - **(petit Larousse illustré, édit. 1991)**.

خاتمة

خاتمة:

إنّ الخوض في هذا الموضوع أمر شائك وشائق في آن واحد، والبحث فيه كان وسيلة من وسائل الكشف عن كيفية التعامل مع النصوص الأدبية. ولذلك وجدت نفسي مضطرة إلى العودة إلى مرحلة البدء وبالتحديد إلى مترجم كتاب "حكايات أمي الإوزة" (ياسر عبد اللطيف) الذي أحسن الترجمة إلى حدّ بعيد معتمدا على أسلوبه الفصيح القوي، ومستعينا بالكلمة المرحة. فكل هذه الخصائص من شأنها أن تساعد الطفل الذي يحتاج في كثير من الأحيان إلى وضوح الفكرة أكثر من سهولة الألفاظ وتداوليتها، خاصة إذا كان الطفل في مرحلة التعلّم.

وتدخل ترجمة الحكايات ضمن إطار الترجمة الأدبية التي هي من أصعب الأمور وأعقدها على المترجم والناقد معا. وتتميز النصوص الأدبية عن بقية النصوص الأخرى بشكلها وكثافة معانيها فيحتار المترجم في نقلها إلى عقول البشر. وتزداد هذه الصعوبة حين يتعلق الأمر بفئة عمرية أقل سنّا وأقل خبرة بشؤون الحياة، وإن كانت الكتابة للصغار أمر عصيّ على الكاتب نفسه لأنه يعبر عن أفكاره هو لهذه الفئة العمرية الهامة، فكيف بالمترجم الذي يقوم بمهمة صعبة تتمثل بنقل هذا النص إلى لغة أخرى؟ هذا الأمر هو ما دفعني لدراسة مثل هذه المسألة الشائكة. فما هي يا ترى الأساليب التي اتبعها المترجم لترجمة أدب الطفل؟

تطرقت في هذا البحث إلى قضية الترجمة، متتبعة بعض مسارها التاريخي الحافل والمتشعب ما بين العرب والغرب. وبعدها قدمت تعريفا لها بصفة عامة وللترجمة الأدبية بصفة خاصة، إذ تعد الترجمة الأدبية قديمة قدم الآداب القومية نفسها، ومرآة تعكس حضارة الشعوب وثقافتهم، كما تتميز الأعمال الأدبية بأسلوب فنيّ محكم وتعابير جميلة، لهذا لا بد أن تحافظ الترجمة الأدبية على ثقافة وحضارة اللغة المصدر.

كما تحدثت عن الأساليب الخاصة لترجمة النصوص الأدبية التي وضعها اللغويان فيني وداربلني وتتمثل في نوعين من الترجمة هما الترجمة المباشرة التي تشمل ثلاثة أساليب هي

الاقتراض والمحاكاة والترجمة الحرفية، والترجمة غير المباشرة التي تشمل الإبدال والتكييف والتكافؤ والتحوير.

وبناءا على التحليل الذي قمت به لثلاث قصص لبيرو هي ذات القلنسوة الحمراء، والقط ذو الجزمتين، وذو اللحية الزرقاء، وجدت أن المترجم لم يعتمد منهجا واحدا للترجمة، بل استعمل تقريبا كل أساليب الترجمة السابق ذكرها، مع وجود بعض الأخطاء والهفوات الطبيعية في كل عمل ترجمي. ويمكن أن نستخلص أن ترجمته كانت جيدة، بل رائعة في الكثير من المواضع، إذ اعتمد على خيال واسع في تعامله مع اللغة العربية وكذا على اطلاع وثقافة واسعة لمكنونات اللغة الفرنسية بشكل عام ولغة شارل بيرو بشكل خاص. ولقد تمكن البحث أيضا من الوصول إلى نتائج أخرى هي:

تختلف الترجمة الموجهة للأطفال عن الترجمة الموجهة لغيرهم من الفئات العمرية من حيث اللجوء إلى استخدام التبسيط في الأسلوب والتنميق اللغوي والاستعانة بكل ما هو جذاب ومرح وغير معقد ولكن في نفس الوقت غير مبسط لدرجة البلاهة، إذ أن مرحلة الطفولة هي أهم مرحلة لاكتساب مبادئ اللغة العربية بشكل سوي، وتعد القصص والحكايات المكتوبة بشكل سلس وجميل من أدوات هذا الاكتساب. ومن هنا تكمن الحاجة إلى مهارة أكبر وجهد مضاعف من المترجم لكونها أصعب من الترجمة المخصصة للكبار.

وعلاوة على ذلك، يواجه المترجم الأدبي صعوبات عند ترجمته للنص الأدبي عامة والموجه للأطفال خاصة فيعد التمكن من اللغة الهدف وإبداع المترجم فيها شرطا ضروريا لضمان نجاح الترجمة، كما ينبغي على المترجم أثناء نقله للنص الأصلي ألا يُثقل المعنى ولا يمحو نغمه ولا شاعريته.

كما توصلت من خلال هذه الدراسة أنه لا وجود لترجمة مثالية حتى لو سعى المترجم بكل إخلاص لذلك، وهذا سببه اختلاف الثقافات وتباعد الحضارات. فلا يمكن ترجمة الأمور

الثقافية إلا بما يناسب يناسب ثقافة لغة النص الهدف، بحيث يلتزم المترجم بالمظاهر الثقافية التي تغذي الطفل معرفيا، والتي تسمح بتوسيع فكره والذهاب بخياله بعيدا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **المدوّنة:**

- Charles Perrault, **Neuf contes**, collection "Un livre pour l'été ", édit du Centre national de documentation pédagogique, Paris, 2011.
- شارل بيرو، **حكايات أمي الإوزّة**، ، ترجمة ياسر عبد اللطيف، مختارات مشروع "كلمة" من الأدب الناشئة الفرنسي ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2013.

- **الكتب والمؤلفات:**

1. أحمد زلط، **أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1994.

2. أحمد زلط، **أدب الطفولة، أصوله ومفاهيمه**، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997.

3. أحمد زلط، **معجم الطفولة، مفاهيم لغوية ومصطلحات**، د.ت، القاهرة، مصر، 2000.

4. أحمد نجيب، **أدب الأطفال علم وفن**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1991.

5. إسماعيل عبد الفتاح، **أدب الأطفال في العالم المعاصر**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2000.

6. إنعام بيوض، **الترجمة الأدبية مشاكل وحلول**، منشورات الأبيار، الجزائر، 2003.

7. إيناس أبو سيف وهبة سعد، **مبادئ الترجمة وأساسياتها**، تكنولوجيا التعليم، القاهرة، 2005.

8. بيتر نيومارك، **الجامع في الترجمة**، تر: حسن غزالة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2006.

9. جمال محمد جابر، **منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق: النص الروائي نموذجا**، دار الكتاتب الجامعي، العين، 2005.

10. حسن شحاتة، **أدب الطفل العربي (دراسات و بحوث)**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1994.

11. زبير دراقي، **محاضرات في الأدب المقارن**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992.

12. سالم العيسى، **الترجمة في خدمة الثقافة الجماهرية، تاريخها وتطورها**، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999.

13. سرجيو سابيني، **التربية اللغوية للطفل**، ترجمة فوزي عيسى وعبد الفتاح عبد الفتاح، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1991.

14. عبد الحكيم العبد، **حركة الترجمة الحديثة**، كتب عربية، تونس، طبعة 2007.

15. عبد الفتاح أبو معال، **أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005.

16. عبد الله أبو هيف، **الهوية القومية في أدب الطفل العربي**، منشورات منظمة طلائع البعث، دمشق، 1982.

17. عز الدين محمد نجيب، **أسس الترجمة**، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، 2005.

18. العيد جلولي، **النص الأدبي للأطفال في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2003.

19. محمد أحمد منصور، **الترجمة بين النظرية والتطبيق**، دار الكمال للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2006.

20. محمد رفعت، **الطفل عناية وتربية**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986.

21. محمد عناني، **فن الترجمة**، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، القاهرة، مصر، 2000.

22. محمد عناني، **نظرية الترجمة الحديثة**، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، مصر، 2003.

23. نجلاء نصير بشور، **أدب الأطفال العرب**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2012.

24. نيكولاس تاكر، **الطفل والكتاب (دراسة أدبية نفسية)**، ترجمة: مها حسين بحبوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1990.

25. هادي نعمان الهيتي، **أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه**، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1977.

26. يوجين نيدا، **نحو علم الترجمة**، تر: ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام، العراق، 1976.

27. Bentolila Alain & autres, **Les guides, le Robert & Nathan: Vocabulaire**, édit Nathan, Paris, 2002.

28. Marc SORIANO, **Les Contes de Perrault, Culture savante et tradition populaire**, Gallimard, Paris, édition 1978.

- **المجلات والدوريات:**

1. عادل زيتون، **بيت الحكمة رمز للحوار بين الحضارات**، "مجلة العربي"، عدد 543، مطابع الشروق، القاهرة، مصر، 2004.

- **المعاجم والقواميس:**

1. **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة**، الطاهر أحمد الزاوي، الجزء الثاني، ط 4، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1996.

2. **المعجم العربي الأساسي**، من تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ALESCO، لاروس، 1989.

3. **المنهل**، قاموس فرسي عربي، سهيل إدريس، الطبعة 38، دار الأداب، بيروت، 2007.

4. **Dictionnaire Hachette**, édit 2008, Paris.

5. Dictionnaire électronique du Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales CNRTL.

5. **Dictionnaire Larousse Al-Muhît**, français - arabe, Bassam Baraké, Beirut, édit 2010.

6. **Dictionnaire Larousse AS-SABIL**, arabe - français, Daniel Reg, Paris, édit 1983.

7. **Petit Larousse illustré 1991**, Canada.

- **المراجع والمواقع الإلكترونية:**

1. http://elisabeth.kennel.perso.neuf.fr/resume_des_contes.htm

2.http://caroljonesspectacleroulotte.blogspot.com/p/le-chat-botté-de-charles-perrault.html

3. http://www.lamesure.org/article-la-femme-et-l-homme-de-qualité.
4. http://www.languefrancaise.net
5. http://www.linternaute.com
6. http : // lyceescheurerkestner.fr/IMG/pdf/Cours sur les Contes de Perrault.pdf

Charles Perrault – *Contes*

1 Ouverture

1.1 Un livre qui échappe à la littérature

« C'est une oeuvre d'art digne de ce nom. » (Marc SORIANO[1]) : les *Contes* méritent d'être lu pour eux-mêmes en raison de leurs qualités esthétiques et de l'écriture de Perrault.

Paradoxalement leur étude ne peut se contenter des outils habituels de la critique littéraire : par leur forme comme par leurs sujet, ils entrent dans le champ des sciences humaines.

Les *Contes* sont aussi un livre qu'on connaît ou qu'on croit connaître depuis la petite enfance.

1.2 Un livre pour enfants ?

Les *Contes* appartiennent simultanément à deux sous-genres dépréciés, qui sont la littérature populaire et la littérature pour la jeunesse. Mais le livre de Perrault est-il vraiment un livre pour enfants ? A-t-il une valeur pédagogique ou moralisatrice ? Les horreurs y abondent en effet : enfants dévorés, père incestueux, épouse persécutée, fillette agressée dans les bois… Il faut néanmoins rappeler que les *Fables* de La Fontaine ont vu aussi leur valeur éducative mise en doute par J.-J. Rousseau.

Comment se fait-il que Perrault, qui est le chef de file des Modernes dans la « Querelle des Anciens et des Modernes » compose un recueil de ces histoires venues d'un obscur passé ?

Comment se fait-il également que ce grand bourgeois, commis de Colbert, aille chercher le sujet d'un livre au sein du peuple ?

1.3 Les instruments de l'étude

Quelle aide les sciences humaines peuvent-elles apporter à l'étude des contes ? Quel peut être l'apport de l'histoire, du structuralisme, de l'ethnologie, de la sociologie et de la psychanalyse ? Du point de vue de la psychanalyse, quelles sont, dans les *Contes*, les parts respectives de l'inconscient collectif, celui des archétypes, et de l'inconscient individuel, celui de l'expérience unique et propre à Charles Perrault. C'est en étudiant les contes populaires russes que Vladimir Propp[1] a constitué sa « morphologie du conte », dont les acquis et la méthode peuvent être appliqués aux *Contes* de Perrault.

1.4 Le livre d'une époque

« c'est une expression particulièrement nette des « superstitions » du passé qui apparaît précisément au moment d'une « crise de la conscience européenne [2]». (Marc SORIANO)

Les *Contes* sont liés à la société de leur époque : comme l'a montré Philippe Ariès[3], la fin du XVIIe siècle voit s'amorcer un mouvement qui va mettre l'enfant au centre de la cellule familiale. D'autre part, se plaçant dans la ligne de la Contre-Réforme et dans la vague de pruderie de la fin du règne de Louis XIV, Perrault a censuré dans ses propres récits des épisodes proposés par la version populaire des contes ; dans certains de ceux-ci, par exemple, le Petit Chaperon Rouge se déshabille avant de se mettre au lit avec le loup…

Perrault introduit des réalités de son temps dans les *Contes*. Par exemple *Le Petit Poucet* évoque la famine de 1693. On est en présence du phénomène de l'actualisation : pour intéresser son

[1] Marc SORIANO, spécialiste de la littérature pour enfants, est l'auteur d'un livre qui a fait date : *Les Contes de Perrault, Culture savante et tradition populaire »,* paru en 1968. C'est l'édition de 1978, rééditée chez Gallimard dans la collection Tel que nous citons ici.

auditoire ou son public, le conteur intègre des éléments contemporains. En effet, pour traverser le temps, le conte doit être assumé et recréé par chaque nouvelle génération de conteurs. Il s'agit d'un « processus de particularisation » (Marc SORIANO).

Voir aussi *Grisélidis,* dédicace *à Monsieur*, où Perrault montre ce qu'il a ajouté pour rendre le conte vivant et intéressant.

1.5 Les deux cultures

Les *Contes* posent le problème des relations entre culture savante et culture populaire. D'ailleurs qu'est-ce que la culture populaire ?

L'influence entre les deux peut être réciproque : après qu'ils aient reçu une forme écrite et imprimée, certains contes sont retournés à l'oralité et se sont intégrés à la culture dite populaire. Le phénomène se retrouve dans le domaine de la musique : certaines danses et musiques folkloriques sont en fait des danses et des musiques de cour.

Les contes sont à la mode dans les années 1690 ; cependant il faut distinguer entre ceux qui appartiennent à la culture savante, écrits par des dames et reconnaissables à l'importance du féerique, et ceux qui proviennent de la tradition populaire, dont le meilleur exemple est ceux de Perrault.

1.6 Les choix de Perrault

Perrault a fait un choix dans l'énorme masse des contes populaires ; en particulier, il a écarté les contes animaliers ; *Le Petit Chaperon Rouge* est l'exception qui confirme la règle, le loup étant plus un vilain monsieur qui s'en prend aux fillettes qu'un carnassier. D'après Marc Soriano, Perrault privilégie les contes à personnages humains parce qu'il peut y projeter son propre inconscient, alors que La Fontaine, du moins dans ses *Fables,* préfère l'univers animalier qui se prête mieux à la satire politique, cf. *Les Animaux malades de la peste.*

1.7 D'où viennent les contes ?

On peut poser aussi la question de l'origine des contes. Les réponses ont été nombreuses et souvent extravagantes. On y a même vu la transposition narrative de rituels religieux. Pour d'autres les contes et leurs personnages, les fées et les ogres, seraient les derniers avatars d'une mythologie païenne, plus ou moins gauloise.

Parmi ces hypothèses prédomine celle des frères Grimm : tout comme la plupart des langues de l'Europe moderne sont issues d'une langue commune, l'indo-européen, les contes seraient la forme prise en différents lieux par des récits prototypes, d'où la tentative des deux philologues de rassembler le corpus des contes populaires allemands, trace pour eux du lointain passé germanique.

Effectivement *Le Petit Poucet* n'est pas loin de rappeler certains épisodes de la légende de Thésée ou de celle de Tristan.

[1] Vladimir Propp, *Morphologie du conte*, 1923

[2] Allusion à un livre de Paul Hazard, *La crise de la conscience européenne*, paru en 1928, qui étudie le changement des mentalités à la fin du XVIIe siècle, en prélude au Siècle des Lumières.

[3] Philippe Ariès, *L'Enfant et la vie familiale sous l'Ancien Régime*, 1960.

2 Charles Perrault, le « grand commis » et l'écrivain

2.1 Une vie bien documentée

Peu avant de mourir, en 1703, Charles Perrault a rédigé ses *Mémoires* à l'intention de ses fils et de ses neveux. Ces *Mémoires* ont servi de base à la plupart des biographes de Perrault, attitude critiquée à juste titre par Marc Soriano, qui y voit « un plaidoyer *pro domo* ».

D'autre part les faits et gestes de Perrault, personnage public en tant à la fois qu'académicien et que commis de l'État, sont bien connus.

2.2 Les origines et la famille

Les Perrault sont lontainement originaires de Touraine.

Charles Perrault est issu d'une famille de grands bourgeois. Il appartient à cette classe qui se détourne de plus en plus de ses origines marchandes pour se tourner vers des fonctions juridiques et politiques, les « offices ».

Les parents des frères Perrault	
Pierre Perrault	Pâquette Leclerc
? - 1652	? - 1657
avocat au Parlement de Paris	

Les frères Perrault				
	né	mort	profession	remarques
Jean		1669[2]	avocat	
Pierre	1608	1680	receveur général des finances de Paris[3]	débute comme commis d'un magistrat aux côtés de Colbet
Nicolas	1611	1662	théologien	janséniste
Claude	1613	1688	anatomiste et architecte	traducteur de Vitruve ; architecte de la colonnade du Louvre et de l'Observatoire ; inspecteur des monuments historiques ; écrit un *Traité des différents ordres de colonnes* et des *Essais de physique* ; meurt infecté après avoir disséqué un chameau au jardin des Plantes
Charles	1628	1703	commis de Colbert de 1663 à 1682	

[2] à Bordeaux

[3] il a acheté sa charge en 1654, avec l'aide de sa famille

2.3 L'éducation et les études

Chaque soir con père demande à Charles de résumer ses leçons en latin.

1636-1644 Études secondaires assez brillantes, au Collège de Beauvais, qu'il quittera après une querelle avec son professeur de philosophie. Perrault termine ses études en autodidacte, en travaillant avec un de ses amis, beaurain.

« J'aimais mieux faire des vers[4] que de la prose et les faisais quelquefois si bons que mes régents[5] me demandaient qui me les avait faits » (Perrault, cité par Marc Soriano)

« Je prenais tant de plaisir à disputer en classe que j'aimais autant les jours où on y allait que les jours de congé. » (Perrault, cité par Marc Soriano)

La famille Perrault a des sympathies pour le jansénisme. Elle figure parmi les premiers lecteurs des *Provinciales*[6] de Pascal.

1651 Perrault, licencié en droit civil et en droit canon à l'université d'Orléans[7], est reçu avocat.

2.4 La vie privée de Charles Perrault

Le 1er mai 1672 Perrault épouse Marie Guichon, née en 1653.

Les enfants de Charles Perrault et Marie Guichon			
	né	mort	remarques
Mlle Perrault[8]	1673		
Charles Samuel	25 mai 1675		
Charles	28 octobre 1676		
Pierre	21 mars 1678	1700	Connu sous le nom de Pierre d'Armancour ou Darmancour ; lieutenant au régiment du Dauphin.

Pierre Perrault d'Armancour est son quatrième enfant. On ignore pourquoi il s'appelle d'Armancour. Il signe sous le nom de « Pierre Darmancour » les *Histoires et contes du temps passé.* Début avril 1697, Pierre d'Armancour tue un jeune homme en duel. Il meurt à l'armée en 1700.

La présence d'une fille est attestée par la dédicace que fait Mlle Lhéritier de son conte *Marmoisan* à Mlle Perrault et par le frontispice de l'édition originale des *Contes.* Quand est-elle née ? En septembre 1673 Charles Perrault accompagne sa femme à Troyes, où se trouve la famille de celle-ci, car elle souffre des suites d'une fausse-couche. Mlle Perrault n'a donc pu naître qu'en janvier ou février 1673 ou bien en juin 1674. La fille aurait donc cinq ans de plus que Pierre Darmancour. Or cette différence d'âge correspond aux enfants représentés sur le frontispice de l'édition originale. On comprend ainsi que Mlle Lhéritier ait écrit une dédicade si en 1693 la jeune fille a une vingtaine d'années.

[4] des vers en latin, évidemment.
[5] mes professeurs
[6] 18 lettres écrites en 1656-1657 à un correspondant de province pour défendre le jansénisme.
[7] l'université de Paris n'enseignait que le droit canon. C'est Louis XIV qui y rétablira le droit civil en 1679.
[8] prénom inconnu

L'épouse de Perrault est décédée le 14 octobre 1678, victime de la « petite vérole », ancien nom de la variole[9]. Perrault va alors se consacrer à l'éducation de ses enfants, profitant des loisirs que sa disgrâce politique lui laisse. Comme le remarque Soriano, ses enfants ont alors « l'âge des contes ».

2.5 La carrière publique

En 1654, Charles Perrault est d'abord commis de son frère Pierre, receveur général des finances.

Il fréquente Fouquet ; mais, à la chute de celui-ci en 1661, il s'engage résolument au côté de Colbert (1619-1683). C'est à Charles Perrault que Colbert a dicté son rapport sur Fouquet. Il est possible d'ailleurs que Pierre et Charles Perrault aient fourni à Colbert des pièces et des renseignements qui lui permettront d'accabler Fouquet.

Charles Perrault devient premier commis[10] des bâtiments, Colbert lui-même étant surintendant des bâtiments, puis contrôleur des finances ; Perrault occupe son poste jusqu'en 1680, année où Colbert l'atribue à son propre fils, d'Ormoy.

Charles Perrault loge chez Colbert à l'Hôtel de la Surintendance ; on va juqu'à lui offrir des terrains à bâtir à Versailles.

Les activités de Perrault auprès de Colbert, dont il est « le bras droit » sont variées : il va jusqu'à s'occuper de problèmes d'adduction d'eau. Mais l'essentiel de sa tâche concerne ce que dans un état moderne on appellerait la propagande. Perrault se consacre notamment à assurer la gloire de Louis XIV en composant devises et légendes pour les décorations royales. Il organise aussi la vie littéraire et artistique de façon à ce qu'elle serve la gloire du monarque. Perrault s'occupe également d'architecture : on érige les arcs de triomphe de la porte Saint-Denis en 1673 et de la porte Saint-Martin en 1674. Colbert lui-même fonde une série d'Académies dont la fonction est de noyauter l'activité des savants aussi bien que des écrivains et des artistes.

Perrault accorde semble-t-il un certaine attention au menu peuple : faut-il y voir un rapport avec la rédaction des *Contes* ? Par exemple, il fait accorder au public le droit de se promener dans les jardins de Tuileries et écrit dans ses *Mémoires* : « les jardins des Rois ne sont si grands et si spacieux qu'afin que tous leurs enfants puissent s'y promener. » Mais il ajoute une raison tout utilitaire : « car l'herbe n'en revient pas si aisément dans les allées. » Il obtient d'autre part qu'au Palais Royal on donne des représentations d'opéra destinées au public populaire.

2.6 La carrière littéraire

2.6.1 Au temps du baroque

La première partie de la carrière littéraire de Charles Perrault s'inscrit dans le courant baroque.

2.6.1.1 La période burlesque

1646 Première oeuvre, *L'Énéide burlesque,* un poème de quelque 3000 vers. Perrault donne, avec son compagnon d'études Beaurain et son frère Nicolas, une adaptation en vers burlesques du livre VI de l'*Énéide* de Virgile. Il s'agit du chant où Énée aborde en Italie et, guidé par la Sibylle de Cumes, descend aux Enfers, où son défunt père Anchise lui révèle l'avenir glorieux que les dieux lui réservent, ainsi qu'à Rome. Les jeunes gens y déchaînent leur verve gauloise et on est encore loin de la délicatesse des *Contes,* par exemple dans cette évocation de la Sibylle consultée par Énée :

> « Elle toussait, elle rotait,
> Elle ventait, elle pétait,

[9] aucun cas attesté par l'OMS depuis 1977.
[10] équivalent d'un secrétaire d'État de nos jours.

Tâchant d'une mine effroyable
De vomir ou chier le Diable. »

Autre échantillon de *L'Énéide burlesque*, l'évocation de Charon, le nocher des Enfers :

« Or ce passeur était bien vieux
Car dès le temps que dans ce lieu
Pluton amena Proserpine
Sa barbe allait jusqu'à sa pine.
Il ne laissait pas, le vieillard
De se montrer vert et gaillard
Soit à vider une feuillette
Soit à baiser une fillette. »

Scarron (1610-1660) a publié en 1644 un poème burlesque, *Typhon,* qui raconte le combat des dieux et des géants. C'est seulement en 1648-1659 qu'il donnera son *Virgile travesti,* parodie burlesque elle aussi de l'épopée romaine.

La vogue du burlesque dans ces années-là peut s'expliquer par une révolte d'écrivains qui sont des lettrés et de leur public, qui l'est aussi, contre l'enseignement reçu dans les collèges, à base exclusive de culture gréco-latine. C'est aussi, quand on se moque de la mythologie et de ses dieux, la seule façon de manifester une forme de révolte contre la religion et le sacré. Ce mouvement est peut-être à rapprocher d'une tendance semblable sous le Second Empire, telle que Zola l'a décrite quand il fait jouer le rôle de « la blonde Vénus » dans un opéra-bouffe par Nana, l'héroïne du roman qui porte son nom ; voir aussi *La Belle Hélène* ou *Orphée aux Enfers* d'Offenbach.

1653 *Les Murs de Troie ou l'origine du Burlesque* par Charles Perrault et ses frères. Leur but avoué est de « secouer l'accoutumance qui nous a rendu la manière des anciens poètes supportable et même agréable. » Ils ajoutent de façon impertinente : « Notre burlesque serait quelque chose de fort élégant s'il était traduit en latin, de même que le latin des poètes les plus sérieux deviendrait bulesque en français.

2.6.1.2 La période précieuse

1659-1661 Perrault écrit de petites oeuvres dans le goût précieux, comme le *Dialogue de l'Amour et de l'Amitié* (1660), que Fouquet fait copier sur du vélin et orner de dorure et de peinture, honneur qu'il accordait à ses poèmes préférés. Charles Perrault a en effet sans doute fréquenté la cour de Fouquet, qu'il a connu par l'intermédiaire de son frère Pierre. Le *Dialogue de l'Amour et de l'Amitié* correspond à un jeu la mode dans les salons précieux : il s'agissait de répondre à la question « Peut-on concilier l'amour et l'amitié ? » Autre jeu des Précieux, très à la mode ces années-là, le portrait, qui donne à Perrault l'occasion décrire le *Portrait d'Iris* et la *Voix d'Iris,* Iris étant le pseudonyme donné à une certaine Mme Bordier, femme d'un intendant des finances.

C'est sans doute dans les salons littéraires qu'il fréquente et au contact des Précieux que Perrault acquiert l'idée que la littérature est un jeu mondain où il s'agit d'entrer en une élégante compétition avec ses rivaux. Il faut rappeler que Mlle Lhéritier qui joue un rôle non négligeable dans l'élaboration des *Contes* est le successeur de Mlle de Scudéry.

Dans les *Contes,* l'influence de la préciosité se retrouve d'abord dans le raffinement du langage ; elle se retrouve ensuite dans l'ambivalence de l'image qu'il donne de la femme : tantôt il s'inscrit dans une tradition comique de dénigrement de la femme qu'on trouve par exemple dans *Les Souhaits ridicules* ; tantôt au contraire il exalte la vertu et le courage de femmes comme *Grisélidis* ou bien l'épouse de Berbe bleue. D'après Marc Soriano, la présence des ces remarques sur les femmes serait, à l'intérieur même du texte des *Contes*, la signature de Charles Perrault et la preuve qu'il est directement intervenu dans leur composition, peut-être sous la forme d'une réécriture.

Il produit également des odes sur différents événements comme le traité des Pyrénées en 1659, le mariage du roi en 1660 et la naissance du Dauphin en 1661.

2.6.2 La carrière officielle

1663 Perrault est secrétare de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres[11] que Colbert vient de fonder

1671 Perrault entre à l'Académie française, dont il devient chancelier en 1672.

1681 Perrault est directeur de l'Académie française.

2.6.3 Les oeuvres chrétiennes

1683 À la mort de Colbert, Perrault perd sa charge ; il est dépouillé de ses charges par Louvois et le nom de Perrault est rayé de la liste des gens de lettres qui reçoivent une pension. Charles Perrault jouit alors d'une liberté qui lui permet de s'adonner à sa passion des belles-lettres.

Il écrit des oeuvres chrétiennes comme son poème épique et hagiographique *Saint Paulin*, paru en 1686, qui raconte en vers la vie d'un saint des temps mérovingiens.

2.6.4 La Querelle des Anciens et des Modernes

Le 27 janvier 1687, alors que Louis XIV vient d'être opéré de la fistule et pour célébrer sa guérison, Perrault lit à l'Académie française le poème qu'il a écrit sur *Le Siècle de Louis le Grand.* Perrault y oppose les écrivains du règne de Louis XIV à ceux de l'Antiquité et il exprime sa préférence pour ses contemporains, les « Modernes ».

> « La belle Antiquité fut toujours vénérable
> Mais je ne crois jamais qu'elle fut adorable
> [...]
> Et l'on peut comparer sans craindre d'être injuste
> Le Siècle de Louis au beau Siècle d'Auguste. »
>
> « Platon qui fut divin du temps de nos aïeux
> Commence à devenir quelquefois ennuyeux [...] »

Ce fut l'origine de la fameuse « Querelle des Anciens et des Modernes ». Boileau[12] juge l'oeuvre de Perrault injurieuses pour les Anciens et il répond par des épigrammes. Fontenelle publie sa *Digression sur les Anciens et les Modernes* et Perrault son *Parallèle des Anciens et des Modernes* (1688-1698).

Du côté des Modernes on trouve Perrault et Fontenelle ; du côté des Anciens Boileau, Racine, La Fontaine. La Querelle s'acheva, en 1694, par la réconciliation de Boileau et de Perrault.

Les Modernes revendiquent en fait une culture et une littérature qui soient authentiquement françaises. (Marc SORIANO p 300-301) C'est aussi la croyance en une possiblité de progrès qui apparaît.

Le troisième dialogue du *Parallèle des Anciens et des Modernes*, paru en 1690, contient une allusion aux « contes de *Peau d'Âne* et de *Ma mère l'Oye* », qui conviennent mieux à l'époque moderne que les contes des Anciens comme les « contes milésiens », car il correspondent à notre mentalité et à la morale chrétienne.

2.6.5 L'époque des *Contes*

1691 *Grisélidis* est lue à l'Académie française.

---

[11]Nommée d'abord « Petite Académie » ; l'Académie Française elle-même a été fondée par Richelieu en 1634.

[12]Il a donné en 1674 une synthèse des principes de l'art classique dans son *Art poétique.*

1693 *Les Souhaits ridicules* paraissent dans *Le Mercure galant*[13].

1694 *Grisélidis, Peau d'Âne* et *Les Souhaits ridicules* paraissent en librairie.

1694 Boileau publie sa *Satire* X, *Cntre les femmes* ; Perrault lui répond par son *Apologie des femmes.*

1697 Publication des *Histoires ou Contes du temps passé.*

1699 Perrault publie sa traduction des *Fables* de l'écrivain italien Faërne.

1699 Perrault commence la rédaction de ses *Mémoires* à l'intention de ses fils et de ses neveux.

3 La question de l'auteur

« Aucune des éditions parues du vivant de Charles Perrault ne porte son nom. » (Marc SORIANO) Ils sont parus sous le nom de Pierre Darmancour, le troisième fils de Charles Perrault.

Il existe une contradiction entre la personnalité de Charles Perrault et les *Contes* eux-mêmes.

Le problème de l'attribution de se pose pas pour les contes en vers, dont des lectures publiques ont été faites et qui sont réunis par Charles Perrault sous son nom en 1694.

Les *Histoires ou Contes du temps passé avec des moralités* paraissent en janvier 1697 sans nom d'auteur, mais avec privilège du roi accordé « au sieur Darmancour » en octobre 1696. Celui-ci est aussi le signataire de l'épître dédicatoire à Mademoiselle, où il évoque « son jeune âge ».

« Mademoiselle », Élisabeth-Charlotte d'Orléans, est la petite-nièce de Louis XIV, fille de la Princesse Palatine et de Philippe d'Orléans, qui deviendar Régent en 1715. Elle est née en 1676. En 1697 elle épouse le duc de Lorraine et tient sa cour à Lunéville et à Nancy.

Pierre Darmancour est né le 21 mars 1678. On possède le témoignage de Mlle Lhéritier[14], nièce de Charles Perrault, qui raconte que Pierre Perrault Darmancour écrit des « contes naïfs » ; « ces contes naïfs qu'un de se jeunes élèves a mis depuis peu sur le papier » ; ainsi qu'une lettre de cette même personne à la soeur de Pierre Perrault Darmancourt qui permet de dater la rédaction des *Contes* entre 1693 et 1695.

À partir de 1697 il n'y a plus de contes : est-ce dû au duel de Pierre Darmanacour ? Devenu lieutenant, il est mort « aux armées » en 1700.

Deux témoignages sont particulièrement précieux :
- celui de Mlle Lhéritier : « les contes naïfs qu'un des ses [Perrault] jeunes *élèves* a mis depuis peu sur le papier avec tant d'agréments. »
- celui de l'abbé Dubos : « ce sont bagatelles auxquelles il s'est amusé autrefois pour réjouir ses enfants. »

En 1953, on a découvert un manuscrit des *Contes* en prose daté de 1695 et relié en maroquin aux armes de Mademoiselle. Cependant n'y figurent pas *Cendrillon, Riquet à la houppe et Le Petit Poucet.* Ce manuscrit est de la main du copiste habituel de Perrault, à qui il arrivait souvent de faire recopier et enluminer ses oeuvres avant leur impression.

[13]Journal littéraire, créé en 1672 par Donneau de Visé. Il parut jusqu'en 1832.
[14]Marie-Jeanne Lhéritier de Villandon, 1664-1734

4 Les *Contes* et leurs sources

4.1 Problématique

Les *Contes* sont un « arrangement » (Marc SORIANO). Perrault appartient à une époque et à un milieu qui privilégie l'imitation. Un auteur ne cherche pas à être original par le sujet qu'il traite, mais par la manière dont il le traite ; il vise à faire mieux que ses confrères et consoeurs. La question des sources de Perrault est donc peut-être moins importante qu'il n'y paraît. Certains de ses sujets étaient dans l'air du temps.

Les *Contes* posent des questions :

- pourquoi le recueil est-il si court, avec ses huit contes en prose seulement ? Perrault avait le talent et le succès : pourquoi n'a-t-il pas étendu sa collecte et sa réécriture des contes de tradition orale, comme le feront plus tard les frères Grimm ou Andersen ?
- pourquoi Perrault a-t-il précisément choisi ces contes-là et non d'autres ?

4.2 Les sources possibles

4.2.1 Les auteurs italiens

Gian Francesco **Straparola**, dont le nom a été francisé en Straparole, est un écrivain italien de la première moitié du XVIe siècle. Son oeuvre la plus connue a pour titre *Le Tredici Piacevolissime Notte*, qu'on nomme en français *Les Facécieuses Nuits ou bien* les *Nuits agréables* ; il s'agit d'un recueil de soixante-quinze histoires, inspirées de récits transmis par la tradition orale ou écrite. Ces *Nuits ont été* traduites dès le XVIe siècle par Jean Louveau et Pierre de Larivey ; Molière y a puisé certaines situations et Perrault y a peut-être trouvé l'idée de certains de ses contes.

Giambattista **Basile** (1566 ou 1575 ? - 1632) est l'auteur d'un recueil de contes rédigés en dialecte napolitain, *Lo cunto de li cunti overo lo trattenemiento de peccerille* (« Le conte des contes ou le divertissement des petits enfants »), publiés en 1634 et 1636 par sa soeur Adriana. basile a, semble-t-il, recueilli des contes issus de la tradition crétoise et vénitienne. *Lo cunto* est connu sous le nom de *Pentamerone*, titre utilisé pour la première fois dans l'édition de 1674, titre qui fait allusion au *Decameron* de Boccace (1353)

4.2.2 La littérature de colportage

Ou bibliothèque bleue, à cause de la couleur du papier de couverture ; de l'aveu même de Perrault, c'est de là que provient *Griselidis.*

4.2.3 La tradition orale

Perrault est lui-même un des premiers à concevoir l'idée de la tradition orale ; il écrit dans *Le Mercure Galant* de janvier 1697 : « [ce] nombre infini de Pères, de Mères, de Grand'Mères, de Gouvernantes et de grand'Amies qui depuis peut-être plus de mille ans y ont ajouté en enchérissant toujours les uns sur les autres beaucoup d'agréables circonstances.[15] » Le manuscrit de 1695 contient d'ailleurs des indications sur la façon de dire certaines répliques, qui disparaîtront dans l'édition de 1697.

Tout donne à croire que les *Contes* de Perrault sont issus de la tradition orale et que leur étude doit passer par une comparaison avec cette tradition. Or les contes populaires n'ont été recueillis de façon systématique par les folkloristes qu'à partir du XIXe siècle, à une époque où la tradition s'était déjà dégradée. De plus cette tradition orale a subi elle-même l'influence du prestigieux recueil de Perrault et de la version qu'il donne de ces récits.

[15] Cité par Marc SORIANO.

4.3 Les sources des différents contes et leur adaptation par Perrault[16]

4.3.1 Grisélidis

Le récit figure dans le *Décameron* de Boccace ainsi que dans un manuscrit du XIVe siècle, mais Perrault a trouvé le sujet de *Grisélidis* dans un livret de colportage paru pour la première fois en 1546 et réédité au XVIIe siècle. Il déclare en effet dans sa lette « À Monsieur en lui envoyant *Grisélidis* » : « J'aurais mieux fait de n'y pas toucher et de le laisser dans son papier bleu. »

Grisélidis est une réponse anticipée à la satire que Boileau est en train d'écrire sur les femmes.

Dans le conte populaire dont s'inspire Perrault, ainsi que dans celui de Boccace, Grisélidis a deux enfants, un garçon et une fille. Peerault supprime le garçon, mais crée un nouveau personnage, le jeune prince qui est amoureux de Griselidis.

Dans le conte populaire, le prince renvoie Grisélidis chez elle nue et celle-ci demande une chemise pour prix de sa virginité. Or Perrault a supprimé l'épisode et Grisélidis reprend simplement ses habits de bergère.

4.3.2 Peau d'Âne

Peau d'Âne a plusieurs sources : l'*Histore de Thibaud, prince de Salerne* de Straparole, ainsi que l'*Histoire de la belle Hélène*, livret de colportage paru à Troyes au XVIe siècle. Mais dans ce conte Perrault semble imiter principalement une nouvelle de l'Italien Basile, *Orsa,* écrite en dialecte napolitain et qu'il a pu connaître par son frère aîné Pierre.

Il en existe également une version française due à Bonaventure des Périers au XVIe siècle.

En fait *Peau d'Âne* est un conte bien connu dès avant Perrault. Molière y fait allusion dans *Le Malade imaginaire,* Acte II, scène 8 :

« LOUISON : Qu'est-ce que vous voulez, mon papa ? Ma belle-maman m'a dit que vous me demandez.
ARGAN : Oui, venez çà, avancez là. Tournez-vous, levez les yeux, regardez-moi. Eh!
LOUISON : Quoi, mon papa ?
ARGAN : Là.
LOUISON : Quoi ?
ARGAN : N'avez-vous rien à me dire ?
LOUISON : Je vous dirai, si vous voulez, pour vous désennuyer, le conte de Peau d'âne, ou bien la fable du corbeau et du renard, qu'on m'a apprise depuis peu. »

De même La Fontaine l'évoque dans *Le Pouvoir des Fables* (Fables VIII, 4), publiée en 1678, donc avant l'ouvrage de Perrault :

« Si Peau d'âne m'était conté,
J'y prendrais un plaisir extrême,
Le monde est vieux, dit-on : je le crois, cependant
Il le faut amuser encor comme un enfant. »

Par rapport au conte de Basile, Perrault déplace le défilé des dames de la cour : chez Basile il suit le veuvage du roi père de Peau d'Âne, alors que chez Perrault ces dames se présentent pour essayer l'anneau trouvé dans le gâteau par le jeune prince. D'autre part Perrault a modifié la façon dont Peau d'Âne, dans sa fuite, transporte ses belles robes : dans les versions traditionnelles, elle utilise trois frutis, qui sont une noix, une noisette et une amande ; dans le conte de Perrault, la fée procure un bagage à lsa filleule :

« Voici, poursuivit-elle, une grande cassette

[16]D'après l'ouvrage de Marc Soriano.

Où nous mettrons tous vos habits,
Votre miroir votre toilette,
Vos diamants et vos rubis. »

En outre Perrault a supprimé la scène où Peau d'Âne fait semblant de s'épouiller en jetant des grains de sel dans le feu.

De plus chez Basile, la princesse, pour échapper à son père se transforme en ourse, *orsa* en italien. Dans *Peau d'Âne*, Perrault fusionne en effet deux contes différents, celui de la jeune fille poursuivie par un père incestueux et celui de l'âne dont le crottin est en or. Ce deuxième thème apparaît dans un autre conte de Basile, *La Fiaba dell'Orco* : « Arri, cacauro ![17] ». Intégrer ce motif de l'âne faiseur d'or correspondrait de la pat de Perrault à un certain goût pour la scatologie qu'il manifesterait aussi dans son *Énéide burlesque*.

C'est Perrault qui invente le stratagème qui consiste à revêtir la peau de l'âne dont la jeune fille a réclamé la mort pour se rendre repoussante. Les critiques se sont d'ailleurs étonnés que Perrault ne donne aucune prcision sur la façon dont Peau d'Âne emploie ce déguisement et la manière dont elle le porte. Il faudrait voir au contraire dans cette ellipse une volonté de Perrault d'imiter le style des contes populaires où on accepte l'invraisemblance sans chercher plus loin.

4.3.3 Les Souhaits ridicules

Perrault connaît les fables de Phèdre, ainsi que celle de La Fontaine VII 5 *Les Souhaits ridicules*. Il introduit d'ailleurs son conte par un rappel de la fable *La Mort et le Bûcheron*.

Le thème des souhaits qui tournent mal appartient au folklore universel. Par rapport aux versions populaires, Perrault a édulcoré son propre récit, éliminant notamment les violences excessives, car dans certaines versions le paysan assassine quasiment sa femme en lui plantant le pied d'un tabouret dans le corps.

Le boudin est une invention de Perrault et ne se trouve pas dans les versions antérieures du conte. Il donne volontairement un aspect populaire et obscène – ou gaulois, comme on voudra - à son récit.

Ce conte garde les traces d'une croyance archaïque, celle en la parole performative.

4.3.4 La Belle au bois dormant

Tout comme dans *Peau d'Âne*, Perrault rassemble dans *La belle au bois dormant* deux contes différents : d'une part celui de la jeune fille qui se pique avec son fuseau, s'endort pour cent ans et se réveille au baiser du Prince, d'autre part celui de l'Ogresse qui veut dévorer une mère et ses enfants.

Perrault s'est, là encore, inspiré d'un conte de Basile, *Le Soleil, la Lune et Thalie ;* chez Basile en effet, les deux récits sont déjà assemblés en un seul. De plus les noms des enfants de la Belle sont quasi identiques chez les deux écrivains : le Soleil et la Lune dans le conte italien, Aurore et Jour pour Perrault. Il existe également des versions françaises du XIVe siècle. Il ne semble pas qu'il existe pour ce conte une source orale.

Perrault se démarque de ses devanciers par une transformation radicale du conte : dans les anciennes versions, le Prince « Charmant » possède la Belle sans la réveiller et celle-ci accouchera en dormant toujours... Sans qu'il soit besoin d'évoquer la règle de la bienséance, il est possible que raconter ce viol ait répugné à Perrault, chez qui la Belle s'éveille dès qu'apparaît le Prince :

« Il s'approcha en tremblant et en admirant, et se mit à genoux auprès d'elle. Alors comme la fin de l'enchantement était venue, la Princesse s'éveilla ; et le regardant avec des yeux plus tendres qu'une première vue ne semblait le permettre : - Est-ce vous, mon Prince ? lui dit-elle, vous vous

[17] cité par Marc SORIANO

êtes bien fait attendre. » Certains critiques voient d'ailleurs dans cette modification une volonté de Perrault de prévenir tout rapprochement possible avec la conception de Jésus par la Vierge Marie, mais cette opinion reste discutable, le rapprochement n'ayant rien d'évident.

Mais, en se démarquant ainsi de son modèle, Perrault introduit une incohérence dans son récit : chez Basile le Prince est marié et, comme il revient assidûment visiter la Belle, c'est son épouse qui se prend de haine contre la Belle et ses enfants.

4.3.5 Le Petit Chaperon rouge

4.3.5.1 Le mélange des traditions

Ce conte appartient à la tradition orale et, avant Perrault, on n'en possède aucune trace écrite. La difficulté est que l'immense succès du conte de Perrault l'a répandu à son tour dans la tradition orale et il est parfois difficile de savoir exactement ce qu'était son prototype dans le folklore. Cependant on a pu recueillir des versions indépendantes de celles de Perrault au nord des Alpes, en Italie du nord et au Tyrol.

Le caractère oral du modèle de Perrault est attesté par une sorte de didascalie figurant dans le manuscrit de 1695 : « On prononce ces mots d'une voix forte pour faire peur à l'enfant comme si le loup l'allait manger. » De plus les archaïsmes lexicaux sont nombreux dans ce conte. Dans les versions orales, le loup peut devenir un « Drac » ou un « Dzou ».

Le spécialiste du conte populaire Delarue a remarqué : « [les] éléments communs qui manquent dans la version littéraire sont ceux qui auraient choqué la société de son époque. »

4.3.5.2 Un conte qui finit mal

Le Petit Chaperon rouge est le seul conte du recueil qui finit mal, contrairement à la version donnée par les Frères Grimm dans *Rotkäppchen*, où un chasseur tue le loup, ouvre son ventre et en retire le Petit Chaperon Rouge et sa grand'mère. En fait les Grimm ont eu pour informatrice une conteuse d'ascendance française qui leur a tout bonnement raconté le conte de Perrault. Dans certaines versions orales, la petite fille, constatant que ce n'est pas sa grand'mère qui est dans le lit, prétexte un besoin naturel pour sortir et échapper au loup, détail sans doute contraire à la bienséance. De même quand le Petit Chaperon Rouge pose une série de questions au loup travesti en grand-mère, Perrault a éliminé la question concernant les poils. En outre dans certaines versions orales, le loup a déposé sur la huche des morceaux de la grand-mère et il invite la fillette à les goûter. Enfin, quand le Petit Chaperon Rouge se déshabille avant de se mettre au lit, il demande au loup où il peut poser chacun de ses vêtements et une version recueillie dans le Nivernais fait dire au fauve :

« Jette-le au feu, mon enfant, tu n'en as plus besoin. »

4.3.5.3 L'adaptation de Perrault

Autre élément important des versions folkloriques éliminé par Perrault, la question que pose le loup à la petite fille sur le chemin qu'elle va prendre, celui des Épingles ou celui des Aiguilles, chacun des personnages empruntant ensuite l'un ou l'autre ; les noms de ces chemins peuvent d'ailleurs varier suivant les régions, mais leur point commun étant de désigner des objets qui font mal. Il s'agirait alors, d'après Marc Soriano (p 157) de l'amorce d'un jeu où le conteur intervenait peut-être par le geste suivant la réponse d'un de ses auditeurs.

Le fameux chaperon rouge est lui-même une invention de Perrault. L'expression éponyme « Le Petit Chaperon Rouge » apparaît onze fois dans le texte du conte, pourtant très court, deux page et demi en « livre de poche ». Le mot « chaperon » est lui-même déjà obsolète au temps de Perrault. De plus sa couleur rouge est insolite, les colorants étant très coûteux en ce temps-là et quasi ignoré du menu peuple qui est vêtu uniformément de tissus écrus. La couleur rouge

souligne la présence du personnage dans l'imaginaire du lecteur ; L'adjectif « petit » est lui-même une métonymie de l'âge tendre du personnage.

4.3.5.4 Précisions lexicales :

Dictionnaire de l'Académie française, 1694 :

CHAPERON. s. m. Coiffure de teste autrefois commune aux hommes & aux femmes. C'estoit un bonnet qui avoit un bourlet sur le haut & une queüe pendante sur les espaules. *Chaperon de drap, d'escarlatte. chaperon miparty de deux couleurs. il y a long-temps qu'on a quitté les chaperons. les Docteurs ont gardé le chaperon, mais ils le portent sur l'espaule. aux enterremens des Grands, ceux qui font le dueil, portent de grands chaperons à longue queuë traisnante par derriere.*

Chaperon. Bande de velours, de satin, de camelot, que les filles & les femmes qui n'estoient point Demoiselles[18], attachoient sur leur teste, il n'y a pas encore long-temps. *Chaperon estroit large. chaperon en pointe. c'estoit une femme à chaperon. j'ay connu sa mere qui portoit le chaperon. toutes les Bourgeoises ont quitté le chaperon.*

On appelle figur. *Grand chaperon,* Les femmes d'âge qui accompagnent les jeunes filles dans les compagnies, par bienseance & comme pour répondre de leur conduite.

Émile Littré, _Dictionnaire de la langue française,_ 1872-1877 :

BOBINETTE (bo-bi-nè-t') s. f. Pièce de bois qui servait jadis à fermer les portes dans les campagnes. Tirez la chevillette, la bobinette cherra, *le Petit Chaperon rouge*.
CHEVILLETTE (che-vi-llè-t', ll mouillées) s. f. Petite cheville. Broche de fer dont se servent les charpentiers. Morceau de cuivre plat et troué dont le relieur se sert pour attaquer les nerfs des livres. Clef de bois des anciennes fermetures. Tire la chevillette, et la bobinette cherra [tombera], Conte du *petit chaperon. rouge.*

4.3.5.5 Un sous-genre du conte

En fait *Le Petit Chaperon Rouge* appartient à une catégorie qu'un chercheur allemand, Marianne Rumpf, appelle « Schreckmärchen » ou « Warnmärchen ». Ce sont des récits destinés à faire feur aux enfants pour les mettre en garde contre certains dangers, en l'occurrence celui des loups. dans la France d'alors les loups sont un danger réel, car ils tuent chaque année plusieurs centaines d'enfants, et aussi d'adultes. En même temps les sous-entendus de la morale qui suit le conte mettent en garde les fillettes contre une autre sorte de danger, les pédophiles sévissant déjà au XVIIe siècle. Bien des aspects tendent d'ailleurs à montrer que le conte s'adresse d'abord aux enfants, par exemple la formule « petit pot de beurre » avec ses allitérations, qui correspondrait à ces phrases qu'on doit répéter sans se tromper comme « un chasseur sachant chasser sans son chien ». De même « Tire la chevillette, la bobinette cherra » joue sur la confusion possible entre « chevillette » et « bobinette ».

4.3.6 La Barbe bleue

Il n'est pas possible de trouver de source écrite à *La Barbe bleue* ; la tradition orale présente une forme dont l'oeuvre de Perrault est très proche dans ses grandes lignes : la femme qui visite la pièce interdite est délivrée par ses frères. Dans d'autres versions, ce sont trois soeurs qui sont les victimes successives de Barbe bleue, la troisième réussissant à se sauver et à ressusciter ses soeurs.

Dans les versions orales, la jeune femme prévient sa famille par l'intermédiaire d'un animal qui porte un message, chien ou oiseau. Chez Perrault, la venue des frères est fortuite, « Ma soeur Anne (car elle s'appelait ainsi), monte, je te prie, sur le haut de la Tour pour voir si mes frères ne viennent point; ils m'ont promis qu'ils me viendraient voir aujourd'hui [...] »

[18]C'est-à-dire une « Demoiselle » est une jeune fille ou une femme mariée issue de la noblesse.

En insistant sur le mobile de la curiosité qui pousse la jeune femme à ouvrir la pièce interdite, Perrault tend à masquer un archaïsme majeur du conte : la femme viole un tabou et, dvenue sacrilège, elle doit être éliminée.

Dans les versions populaires, la femme se retire dans sa chambre où elle revêts ses habits de noces, tandis qu'on entend Barbe bleue aiguiser son couteau. De plus elle fait ses adieux à chacune des pièces de son costume, tout en parlant avec un animal familier ou une servante. Ces procédés sont employés par les conteurs pour ménager un temps d'attente et faire monter l'angoisse de leurs auditeurs. Or Perrault actualise la scène : « Puisqu'il faut mourir, répondit-elle, en le regardant les yeux baignés de larmes, donnez-moi un peu de temps pour prier Dieu. » Aux yeux de certains critiques Perrault affadit le récit ; mais il appartient à une époque où le désir de la jeune femme de mourir en habits de noces n'est plus compris.

Enfin, par rapport aux versions qui mettent trois soeurs en scène, Perrault constitue une double phratrie : d'un côté l'héroïne et sa soeur, de l'autre leurs deux frères. Or chacune des deux soeurs à un moment ou à autre dit « **mes** frères », comme si elle était la seule fille ; de plus, Perrault ne dit pas pourquoi Anne apparaît dans le récit et elle donne l'impression d'habiter là elle aussi ; en outre, dans la dernière partie du conte le lecteur a parfois du mal à savoir laquelle des deux soeurs tient tel ou tel propos.

4.3.7 Le Maître chat ou le Chat botté

Il existe deux sources écrites pour ce conte, toutes deux italiennes, celle de Straparole et celle de Basile. Mais la version qu'en donne Perrault est assez éloignée de celles-ci pour qu'on puisse supposer qu'il s'inspire d'une source orale.

En effet le manuscrit de 1695 garde des traces de l'oralité que l'édition de 1697 a éliminées.

Perrault a éliminé un épisode qui figure dans beaucoup de versions, dont celle de Basile : à la fin du conte, le chat fait semblant d'être mort pour mettre son maître à l'épreuve et savoir juqu'où va sa reconnaissance.

Dans les versions les plus anciennes, le conte finit quand le chat met le feu à un tas de paille où les habitants du château se sont cachés. La fin que raconte Perrault, où le chat mange l'ogre qui s'est métamorphosé en souris, est imitée d'un autre conte, *Le Magicien et son élève,* où l'élève magicien, transformé en renard mange le maître transformé en graine.

D'ailleurs dans beaucoup de versions françaises du conte, l'animal n'est pas un chat, mais un renard, animal proverbialement rusé.

La modification la plus importante est apportée par la paire de bottes qui n'apparaît que dans le conte de Perrault auquel elle donne son nom. Elles ont une certaine importance, puisque le chat les réclame dès le début : « Ne vous affligez point, mon maître, vous n'avez qu'à me donner un Sac, et me faire faire une paire de Bottes pour aller dans les broussailles, et vous verrez que vous n'êtes pas si mal partagé que vous croyez. » Elles réapparaissent plus loin dans le récit : « il gagna aussitôt les gouttières, non sans peine et sans péril, à cause de ses bottes qui ne valaient rien pour marcher sur les tuiles. » On peut les rapporcher pour leur importance des bottes du *Petit Poucet.*

Dans *Le Chat botté* également Perrault joue avec la structure familiale : « Un Meunier ne laissa pour tous biens à trois enfants qu'il avait, que son Moulin, son âne, et son chat. Les partages furent bientôt faits, ni le Notaire, ni le Procureur n'y furent point appelés. Ils auraient eu bientôt mangé tout le pauvre patrimoine. L'aîné eut le Moulin, le second eut l'âne, et le plus jeune n'eut que le Chat. Ce dernier ne pouvait se consoler d'avoir un si pauvre lot. Mes frères, disait-il, pourront gagner leur vie honnêtement en se mettant ensemble ; pour moi, lorsque j'aurai mangé mon chat, et que je me serai fait un manchon de sa peau, il faudra que je meure de faim. » L'expression « en se mettant ensemble » tend à constituer une phratrie à deux membres : d'un côté le cadet, de l'autre les deux aînés perçus dans une unité fusionnelle.

4.3.8 Les Fées

Le thème de ce conte apparaît dans deux récits de Basile : *Le Tre Fate*[19] et *Doie Pizzelle*[20]. Dans la première ce ces nouvelles, l'héroïne descend dans un puits pour rependre le panier qu'elle y a laissé tomber et elle rencontre les trois fées. La seconde met en place le thème de la rencontre près de la fontaine.

En fait la rencontre d'une fée près d'une fontaine est un motif courant dans les contes de tradition orale. De plus le manuscrit de 1695 montrerait les traces d'une version orale que Perrault aurait recueillie, traces qui ont la forme de longueurs éliminées dans l'édition de 1697. Il donne également plus d'intensité au récit en remplaçant les couleuvres par des vipères. D'autre part, Perrault élimine les détails scatologiques des versions orales, où la deuxième fille laisse sortir de sa bouche non des vipères et crapauds, mais des pets !

Dans le manuscrit de 1695, les deux jeunes filles ont pour père un veuf remarié avec une veuve, alors que l'édition de 1697 réduit cette famille à une veuve avec ses deux filles. En outre Perrault souligne que l'aînée ressemble à sa mère, dont elle partage les défauts.

Le titre pose également un problème avec son pluriel *Les Fées,* alors que le conte n'en présente qu'une ; le conte populaire se nomme généralement *La Fée.*

Enfin, il faut signaler que Mlle Lhéritier a écrit un conte sur le même sujet, *Les Enchantements de l'Éloquence.*

4.3.9 Cendrillon ou la petite pantoufle de verre

Ce conte est encore absent du manuscrit de 1695. Le même sujet apparaît dans un conte de Basile, *Gatta Cenerentola.* Mais, d'après Marc Soriano, il est peu probable que Perrault se soit inspiré de l'auteur italien, car son récit est très différent par l'écriture et par le registre. Par exemple on y voit Cenerentola briser la colonne vertébrale de la premire marâtre au moyen du couvercle d'un coffre. Perrault a plutôt imité un conte de tradition orale, dont il respecte les épisodes.

Une transformation apparaît cependant dans le nombre des bals, qui sont multiples dans la tradition populaire, le nombre authentique étant sans doute trois. Perrault réduit ce nombre de bals à deux, car c'est en quittant le deuxième que Cendrillon perd sa pantoufle de verre. Mais l'écrivain rétablit le nombre de trois bals en montrant deux fois le premier, une première fois du point de vue de Cendrillon, une deuxième fois du point de vue de ses soeurs.

Perrault se plie à la bienséance en éliminant la scène des contes traditionnels où Cendrillon jette des grains de sel dans la cheminée pour faire croire qu'elle se débarrase de ses poux. Néanmoins, il ne craint pas de reproduire le sobriquet de « Cucendron », tout en le soulignant. D'autre part Perrault élimine certains traits féeriques comme les trois fruits où la fée place les robes qu'elle procure à Cendrillon. Par contre il introduit la métamorphose des animaux :

« Ensuite elle alla regarder dans sa souricière, où elle trouva six souris toutes en vie; elle dit à Cendrillon de lever un peu la trappe de la souricière, et à chaque souris qui sortait, elle lui donnait un coup de baguette, et la souris était aussitôt changée en un beau cheval ; ce qui fit un bel attelage de six chevaux, d'un beau gris de souris pommelé. Comme elle était en peine de quoi elle ferait un Cocher : « Je vais voir, dit Cendrillon, s'il n'y a point quelque rat dans la ratière, nous en ferons un Cocher. - Tu as raison, dit sa Marraine, va voir. » Cendrillon lui apporta la ratière, où il y avait trois gros rats. La Fée en prit un d'entre les trois, à cause de sa maîtresse barbe, et l'ayant touché, il fut changé en un gros Cocher, qui avait une des plus belles moustaches qu'on ait jamais vues. Ensuite elle lui dit : « Va dans le jardin, tu y trouveras six lézards derrière l'arrosoir, apporte les-moi. » Elle ne les eut pas plus tôt apportés que la Marraine les changea en six Laquais, qui

[19] « les trois fées »

[20] « deux galettes », cf. *pizza*

montèrent aussitôt derrière le carrosse avec leurs habits chamarrés, et qui s'y tenaient attachés, comme s'ils n'eussent fait autre chose toute leur vie. La Fée dit alors à Cendrillon : « Hé bien, voilà de quoi aller au Bal, n'es-tu pas bien aise ? »

La pantoufle de verre est également une invention de Perrault, même si, au XIXe siècle, Balzac d'abord et Littré à sa suite ont prétendu qu'il s'agissait d'une pantoufle de vair, nom d'une fourrure. Cette hypothèse ne tient pas, car on ne va pas au bal avec un soulier fourré ; cette fourrure n'a d'ailleurs jamais servi à cet usage. De plus l'expression « pantoufle de verre » apaprâit quatre fois dans l'édition de 1697, trois fois dans le texte et une fois dans le titre lui-même du conte, ce qui exclut la coquille. Il faut au contraire voir dans cette « pantoufle de verre » un trait purement féerique destiné à rappeler que dans l'univers de contes tout est possible.

4.3.10 Riquet à la houppe

4.3.10.1 Des sources complexes

Pour ce conte, la question des sources se pose de façon complexe :

On rapproche parfois *Riquet à la houppe* d'un type de conte populaire où l'amour d'une jeune fille transforme un animal ou un monstre en prince charmant. Ce type trouvera sa forme la plus achevée au XVIIIe siècle dans *La Belle et la Bête* de Mme Leprince de Beaumont ; la forme la plus rudimentaire est celle où une jeune fille ramasse un crapaud et lui donne un baiser qui entraîne sa transformation. Le conte de Perrault serait une instanciation de ce type avec une transposition au niveau psychologique, ce que semble confirmer la morale :

« Quelques-uns assurent que ce ne furent point les charmes de la Fée qui opérèrent, mais que l'amour seul fit cette Métamorphose. Ils disent que la Princesse ayant fait réflexion sur la persévérance de son Amant, sur sa discrétion, et sur toutes les bonnes qualités de son âme et de son esprit, ne vit plus la difformité de son corps, ni la laideur de son visage [...] »

Dans son récit Perrault réduit la féerie au pouvoir de l'amour.

Autre hypothèse, soutenue notamment par Littré : « Riquet » serait le diminutif de « henriquet », qui, en dialecte normand, aurait le sens de « contrefait, bossu ».

Mlle Bernard, nièce de Fontenelle, insère dans son roman Ines de Cordoue, dont l'achecé d'imprimer est du 10 mai 1696, un conte intitulé lui aussi Riquet à la Houppe. Dans ce récit Riquet est le roi des gnomes.

En 1706 Mlle Lhéritier, nièce de Perrault lui-même, publie dans *La Tour ténébreuse et les jours lumineux* un conte intitulé *Ricdin-Ricdon*. Il est possible que la rédaction de ce conte soit plus ancienne et date d'une époque où les trois écrivains échangeaient leurs idées.

4.3.10.2 Points communs aux trois contes :

- le nom du personange éponyme : Riquet pour Perrault et Mlle Bernard, Ricdin-Ricdon pour Mlle Lhéritier ; les trois commencent donc par la syllabe Ric-.
- chez les trois auteurs, il a une relation avec le monde souterrain : diable chez Mlle Lhéritier, roi des gnomes chez Mlle Bernard, ses cuisiniers et ses marmitons sortent de dessous terre chez Perrault.
- les trois exploitent le thème de l'oubli

On aurait à faire à une type de conte connu sous le nom de « Rumpelstilzchen », ou « Nom de l'Aide Surnaturel » où l'héroïne oublie une promesse faite à un être démoniaque. La version de Perrault serait la plus éloignée de l'original.

4.3.10.3 L'adaptation de Perrault

Perrault fait néanmoins allusion à l'aspect non humain de Riquet, que sa mère elle-même constate : « Tout cela consola un peu la pauvre Reine, qui était bien affligée d'avoir mis au monde un si vilain marmot. » L'emploi de ce dernier terme doit être éclairé par la définition qu'en donne le *Dictionnaire* de l'Académie française en 1694 :

« MARMOT MARMOT. s. m. Espece de singe qui a barbe &. longue queüe. *Gros marmot. laid comme un marmot*.
Marmot, signifie aussi, Petite figure grotesque de pierre, de bois *&c. Il a bien des marmots dans son cabinet*.
On dit fig. *Croquer le marmot,* pour dire, Attendre long-temps. *Que voulez-vous que je fasse là à croquer le marmot? il luy a fait croquer le marmot deux heures durant*.
On appelle fig. par mespris Un petit garçon, *Un marmot,* Une petite fille, *Une marmote. Vous estes un beau marmot. »*

Curiosités :

L'image simiesque est reprise un peu plus loin dans le conte, quand la cadette, laide mais spirituelle, est délaissée au profit de son aînée, que Riquet a rendue spirituelle : « elle ne paraissait plus auprès d'elle qu'une Guenon fort désagréable. » De plus, c'est à partir du moment où la cadete est qualifiée de « guenon » qu'elle disparaît du conte.

Riquet est constamment caractérisé par la houppe de cheveux qu'il porte sur la tête depuis sa naissance.

Les deux soeurs sont jumelles, « elle eut quelques moments après un bien plus grand chagrin, car la seconde fille dont elle accoucha se trouva extrêmement laide. » Cette gémellité n'empêche pas Perrault d'appeler respectivement « aînée » et « cadette » les deux filles[21]. Marc Soriano remarque que le mot « jumelles » n'apaprâit pourtant pas dans le texte de Perrault. Ces jumelles n'apparaissent pas dans les versions de Mlle Bernard et de Mlle Lhéritier.

Riquet à la houppe « se présente à nous comme une sorte de message chiffré dont il faut découvrir la clé. » (Marc Soriano)

4.3.11 Le Petit Poucet

Le thème central du conte, celui des enfants perdus dans la forêt, apparaît dans un conte de Basile, *Nennillo e Nennilla.* Mais chez l'auteur italien les deux enfants sont abandonnés parce que leur marâtre les détestent. Le récit de *Perrault* est si éloigné de *Nennillo e Nennilla* qu'on pense qu'il ne l'a pas connu.

Il semblerait que Perrault a fusionné deux prototypes de récits :

- le premier est celui des enfants abandonnés dans la forêt, où la petitesse du personnage éponyme ne joue aucun rôle, seule intervenant son ingéniosité. Dans ce type de conte, la phratrie est nombreuse et le héros est le plus jeune et, par conséquent, le plus petit.
- le deuxième est celui du héros de taille minuscule, le « Poucet » ; la comparaison peut varier : pouce, poing, graine, etc. Dans ce deuxième type, le personnage est généralement un enfant unique et s avenue au monde a été désirée par ses parents

Perrault n'exploite qu'une seule fois la petitesse de son personnage, au moment où celui-ci se cha sous « l'escabelle » de son père pour écouter la conversation de ses parents. Cette péripétie ne figure pas dans les versions orales du premier type de conte.

[21]Perrault inverse d'ailleurs les habitudes de son époque, puisque, en cas de naissance gémellaire, on croyait que l'enfant qui venait au jour en second était l'aîné, pour avoir été conçu en premier.

Alors que les versions populaires se contentent d'appeler le personnage Poucet ou Pouçot, Perrault insiste avec une sorte de pléonasme : « Petit Poucet ». La petitesse serait exprimée seulement par l'adjectif « petit », alors que « Poucet » ferait seulement allusion à la position du pouce parmi les autres doigts, qui est le premier ou le dernier, suivant le sens de la numération.

Perrault a supprimé un épisode des versions orales : dans celles-ci, les parents accrochent un sabot à une branche et, faisant semblant d'être effrayés par les coups que celui-ci donne sur le tronc, en profitent pour s'enfuir et abandonner leurs enfants en pleine forêt.

Il a supprimé également une scène où on voit les parents accablés du remords d'avoir abandonné leurs enfants au moment où ils mangent leur plat de bouillie. Il la remplace par une autre scène qui tend à montrer l'incohérence des comportements, aussi bien chez les pauvres que chez les riches : « Dans le moment que le Bûcheron et la Bûcheronne arrivèrent chez eux, le Seigneur du Village leur envoya dix écus qu'il leur devait il y avait longtemps, et dont ils n'espéraient plus rien. Cela leur redonna la vie, car les pauvres gens mouraient de faim. Le Bûcheron envoya sur l'heure sa femme à la Boucherie. Comme il y avait longtemps qu'elle n'avait mangé, elle acheta trois fois plus de viande qu'il n'en fallait pour le souper de deux personnes. Lorsqu'ils furent rassasiés, la Bûcheronne dit, hélas! où sont maintenant nos pauvres enfants? Ils feraient bonne chère de ce qui nous reste là. »

Autre épisode modifié par Perrault, celui où Poucet échange les couronnes d'or des filles de l'Ogre contre son propre bonnet et ceux de ses frères, les versions orales faisant état en général d'un échange de bonnets rouges contre des bonnets blancs. Dans d'autres versions il s'agit d'un échange de bagues : bagues d'or ou d'argent aux doigts des filles de l'Ogre, bagues de « balai », c'est-à-dire de genêt ou de paille pour les petits garçons. La modification opérée par Perrault correspond sans doute à un désir de rationalité – de cartésianisme, disent certains : il fait nuit, et à tâtons Poucet peut quand même distinguer couronnes et bonnets.

De plus des animaux doués de pouvoirs magiques interviennent dans plusieurs versions : tantôt l'ogre chevauche une truie, tantôt un chien lappe l'eau d'une rivière pour offrir un passage à Poucet et ses frères – puis la régurgite... Perrault a préféré renoncer à ces ornements qui auraient nui à la densité narrative de son oeuvre.

Enfin, le conte oppose très fortement un fils aîné qui a les préférences de la mère : « [...] et toi Pierrot, comme te voilà crotté, viens que je te débarbouille. Ce Pierrot était son fils aîné qu'elle aimait plus que tous les autres, parce qu'il était un peu rousseau, et qu'elle était un peu rousse. » et un fils cadet qui est une victime mal-aimée : « Ce pauvre enfant était le souffre-douleur de la maison, et on lui donnait toujours le tort. »

Les bottes de sept lieues ont, quant à elles, des points communs avec celles du Chat botté : tout comme elles assurent la réussite de ce dernier, elles permettent au Petit Poucet de s'emparer de la fortune de l'Ogre. De plus, ainsi que le Chat botté assure la prospérité de son maître grâce à ses bottes, ce n'est pas la sienne propre que crée Poucet, mais celle de sa famille.

4.4 Classement des *Contes*

Marc Soriano répartit les onze contes du double recueil en deux catégories, certains apprtenant simultanément à ces deux catégories :

– les contes de la revanche d'un héros handicapé :

« *I. Le Petit Poucet.* Le petit dernier qui devient le premier, à cause de son esprit et de ses bottes.

II. Riquet à la houppe. Le petit laid qui devient le grand beau, grâce à son esprit et à ses dons.
III. Le Chat botté. Le cadet d'un meunier, déshérité, au sens exact du mot, devient roi à cause de son chat et des bottes de ce chat.
IV. Cendrillon. Une cadette maltraitée et « Cucendron » devient reine grâce à sa patience et à sa

marraine.
V. Les Fées. Une cadette maltraitée reçoit d'une fée un don merveilleux qui la fait aimer d'un prince.
VI. La Barbe-Bleue. Une cadette, en tuant son méchant mari avec l'aide de sa aceur, fait le bonheur de sa famille.
VII. Peau-d'Ane. Une princesse, à qui sa vertu vaut divers ennuis, finit par vaincre toutes les difficulté et épouse un fils de roi.
VIII. La Belle au bois dormant. Une princesse, victime d'une malchance indépendante de sa volonté, après de nombreux déboires, retrouve son mari et ses enfants.[22] »

– les contes sur les dangers de l'amour

« *I. Le Petit Chaperon rouge.* Une fillette sans méfiance écoute le Loup, entre dans son lit et se fait croquer.
II. Les Souhaits ridicules. Un dieu exauce en vain les voeux d'un pauvre homme. La sottise et le mauvais caractère de sa femme lui font manquer la chance de sa vie.
III. Grisélidis. Un prince misogyne aime sa femme mais la soumet à de terribles épreuves.
IV. La Barbe-Bleue. Un fou sanglant s'amuse à éprouver la curiosité de ses femmes successives et tue celles qui se laissent tenter.
V. Peau-d'Ane. Une princesse est obligée de se déguiser en souillon pour échapper aux ardeurs de son propre père.
VI. La Belle au bois dormant. Une princesse parait avoir trouvé le bonheur avec son Prince Charmant. Mais sa bellemère est une ogresse.
VII. Riquet à la houppe. Un homme laid et spirituel s'éprend d'une femme belle et sotte au point de lui donner (ou de lui prêter) de l'esprit. Mais elle s'empresse de l'oublier.[23] »

5 L'actualisation du contexte des récits

5.1 Définition

On peut grouper sous ce terme tous les moyens qu'emploie le conteur pour relever l'intérêt de son récit en l'ancrant dans la réalité que connaît son public. Chez Perrault, le procédé se traduit par une très grand fréquence des allusions à la réalité de son temps. On verra néanmoins que l'image que l'écrivain donne de la société du XVIIe siècle est très incomplète et il conviendra de se damander la raison des choix opérés par Perrault.

5.2 Le cadre géographique, châteaux et forêt.

Seul *Grisélidis* présente une localisation précise :

> « Au pied des célèbres montagnes
> Où le Pô s'échappant de dessous ses roseaux,
> Va dans le sein des prochaines campagnes
> Promener ses naissantes eaux [...] »

Il arrive que Perrault évoque la campagne, par exemple dans *Le Petit Chaperon Rouge*, où il est question d'un moulin, ou bien dans *Le Maître Chat ou le Chat botté*, mais dans l'ensemble l'univers des contes se résume à deux lieux privilégiés qui sont le château et la forêt.

La forêt est encore, comme au moyen âge, à la fois le lieu de tous les dangers et un espace qui échappe à la société et à ses normes. C'est le l'endoit où vivent les loups, les voleurs, les bandits, les déserteurs, ainsi que des professions qu'on craint en raison de leur aspect comme les

[22]Marc SORIANO p 211-212
[23]Marc SORIANO p 212

charbonniers :

> « En passant dans un bois elle rencontra compère le Loup, qui eut bien envie de la manger ; mais il n'osa, à cause de quelques Bûcherons qui étaient dans la Forêt. » (*Le Petit Chaperon* Rouge)

De même, dans *Le Petit Poucet* on est conscient du danger que représentent les loups et la mère des enfants abandonnés s'exclame :

> « Hélas ! mon Dieu, les Loups les ont peut-être mangés ! »

Dans *La Belle au bois dormant,* la forêt qui pousse autour du château où la Belle est endormie constitue la meilleure des défenses pour celui-ci :

> « il crût dans un quart d'heure tout autour du parc une si grande quantité de grands arbres et de petits, de ronces et d'épines entrelacées les unes dans les autres, que bête ni homme n'y aurait pu passer. »

La forêt est aussi le lieu de la non-société où Fanchon, la bonne jeune fille des *Fées* trouve refuge pour échapper à sa mère qui veut la battre et où elle va rencontrer son prince :

> « La pauvre enfant s'enfuit, et alla se sauver dans la Forêt prochaine. Le fils du Roi qui revenait de la chasse la rencontra et la voyant si belle, lui demanda ce qu'elle faisait là toute seule et ce qu'elle avait à pleurer. »

À l'inverse, la forêt est le lieu où la mauvaise sœur des *Fées* va se réfugier pour mourir :

> « Pour sa soeur elle se fit tant haïr que sa propre mère la chassa de chez elle ; et la malheureuse, après avoir bien couru sans trouver personne qui voulût la recevoir alla mourir au coin d'un bois. »

5.3 Une société hiérachisée, mais réduite

Les *Contes* de Perrault donnent une image assez complète de la société de la fin du XVIIe siècle, mais cette société se réduit à quelques classes : souverains et grands seigneurs, domestiques, paysans. En fait il nous montre une sociiété archaïque d'où est absente la classe sociale qui a le vent en poupe et qui est la sienne, à savoir la bourgeoisie.

Dans *Peau d'Âne* Perrault se livre à un inventaire des femmes de la cour qui est aussi un parcours vertical des rangs sociaux :

> « L'essai fut commencé par les jeunes Princesses,
> Les Marquises et les Duchesses ;
> Mais leurs doigts quoique délicats,
> Étaient trop gros et n'entraient pas.
> Les Comtesses, et les Baronnes,
> Et toutes les nobles Personnes,
> Comme elles tour à tour présentèrent leur main
> Et la présentèrent en vain.
> Ensuite vinrent les Grisettes,
> Dont les jolis et menus doigts,
> Car il en est de très bien faites,
> Semblèrent à l'anneau s'ajuster quelquefois.
> Mais la Bague toujours trop petite ou trop ronde
> D'un dédain presque égal rebutait tout le monde.
>
> Il fallut en venir enfin
> Aux Servantes, aux Cuisinières,

Aux Tortillons, aux Dindonnières,
En un mot à tout le fretin,
Dont les rouges et noires pattes,
Non moins que les mains délicates,
Espéraient un heureux destin.
Il s'y présenta mainte fille
Dont le doigt, gros et ramassé,
Dans la Bague du Prince eût aussi peu passé
Qu'un câble au travers d'une aiguille. »

Perrault s'amuse avec cette hiérarchie, qu'il parcourt dans *La Belle au bois dormant* depuis le roi juqu'au chien de l'héroïne :

> « Elle toucha de sa baguette tout ce qui était dans ce Château (hors le Roi et la Reine), Gouvernantes, Filles d'Honneur, Femmes de Chambre, Gentilshommes, Officiers, Maîtres d'Hôtel, Cuisiniers, Marmitons, Galopins, Gardes, Suisses, Pages, Valets de pied ; elle toucha aussi tous les chevaux qui étaient dans les Écuries, avec les Palefreniers, les gros mâtins de basse-cour et la petite Pouffe, petite chienne de la Princesse, qui était auprès d'elle sur son lit. »

La hiérarchie des domestiques apparaît aussi dans *Riquet à la houppe* à propos de ceux qui servent dans les cuisines :

> « Dans le temps qu'elle se promenait, rêvant profondément, elle entendit un bruit sourd sous ses pieds, comme de plusieurs personnes qui vont et viennent et qui agissent. Ayant prêté l'oreille plus attentivement, elle ouït que l'on disait apporte-moi cette marmite, l'autre donne-moi cette chaudière, l'autre mets du bois dans ce feu. La terre s'ouvrit dans le même temps, et elle vit sous ses pieds comme une grande cuisine pleine de Cuisiniers, de Marmitons et de toutes sortes d'Officiers nécessaires pour faire un festin magnifique. Il en sortit une bande de vingt ou trente Rôtisseurs, qui allèrent se camper dans une allée du bois autour d'une table fort longue, et qui tous, la lardoire à la main, et la queue de Renard sur l'oreille, se mirent à travailler en cadence au son d'une chanson harmonieuse. »

5.4 Une société bipartie

La société que présente Perrault dans les *Contes* est composée de deux extrêmes : d'un côté le roi et les grands seigneurs, de l'autre les gens du peuple, souvent à la limite de la misère. Il n'est donc pas étonnant que le seul bonheur qu'envisage le bûcheron dans *Les Souhaits ridicules* soit d'être roi :

> « Je pourrais bien, disait-il à part soi,
> [...]
> Tout d'un plein saut me faire Roi.
> Rien n'égale, il est vrai, la grandeur souveraine ; »

L'opposition entre grands seigneurs et menu peuple se reflète de façon très nette dans l'opposition entre maîtres et domestiques, qu'on perçoit dans les vies opposées de Cendrillon et de ses soeurs :

> « Elle la chargea des plus viles occupations de la Maison: c'était elle qui nettoyait la vaisselle et les montées, qui frottait la chambre de Madame, et celles de Mesdemoiselles ses filles ; elle couchait tout au haut de la maison, dans un grenier, sur une méchante paillasse, pendant que ses soeurs étaient dans des chambres parquetées, où elles avaient des lits des plus à la mode, et des miroirs où elles se voyaient depuis les pieds jusqu'à la tête. »

De même l'existence d'esclave que mène Peau d'Äne dans son exil est particulièrement avilissante :

> « Elle alla donc bien loin, bien loin, encor plus loin ;
> Enfin elle arriva dans une Métairie
> Où la Fermière avait besoin
> D'une souillon, dont l'industrie
> Allât jusqu'à savoir bien laver des torchons
> Et nettoyer l'auge aux Cochons. »

5.5 Richesse et pauvreté

5.5.1 Les formes de la richesse

Un conte comme *La Barbe bleue* montre ce qu'est la richesse à l'époque où Perrault situe les contes :

> « Il était une fois un homme qui avait de belles maisons à la ville et à la Campagne, de la vaisselle d'or et d'argent, des meubles en broderie, et des carrosses tout dorés. »

D'une part cette richesse est avant tout immobilière, d'autre part elle consiste en biens qui servent les apparences, comme on le voit encore quand, dans le même conte, les jeunes femmes profitent de l'absence du maitre de céans pour visiter la maison :

> « Elles montèrent ensuite aux gardes-meubles, où elles ne pouvaient assez admirer le nombre et la beauté des tapisseries, des lits, des sophas, des cabinets, des guéridons, des tables et des miroirs, où l'on se voyait depuis les pieds jusqu'à la tête et dont les bordures, les unes de glaces, les autres d'argent et de vermeil doré, étaient les plus belles et les plus magnifiques qu'on eût jamais vues. »

La richesse s'exprime aussi par le luxe des toilettes et des parures, par exemple quand les soeurs de Cendrillon s'apprêtent à aller au bal :

> « Moi, dit l'aînée, je mettrai mon habit de velours rouge et ma garniture d'Angleterre. Moi, dit la cadette, je n'aurai que ma jupe ordinaire; mais en récompense, je mettrai mon manteau à fleurs d'or et ma barrière de diamants, qui n'est pas des plus indifférentes. On envoya quérir la bonne coiffeuse, pour dresser les cornettes à deux rangs, et on fit acheter des mouches de la bonne Faiseuse »

La richesse est également dans les objets qui entourent la vie quotidienne, par exemple, dans *Riquet à la houppe,* à propos de la jeune fille que Riquet épousera plus tard, il faut noter la présence de porcelaines et aussi celle d'un verre d'eau, alors que Perrault précise dans d'autres contes comme *Grisélidis* que les pauvres boivent dans des « tasses » :

> « Elle était avec cela si maladroite qu'elle n'eût pu ranger quatre Porcelaines sur le bord d'une cheminée sans en casser une, ni boire un verre d'eau sans en répandre la moitié sur ses habits. »

5.5.2 Extrême pauvreté

Dans *Les Fées* :

> « Il fallait entre autres choses que cette pauvre enfant allât deux fois le jour puiser de l'eau à une grande demi lieue du logis, et qu'elle en rapportât plein une grande cruche. »

Plus malheureux encore que les paysans, les bûcherons :

> « Il était une fois un pauvre Bûcheron
> Qui las de sa pénible vie,
> Avait, disait-il, grande envie
> De s'aller reposer aux bords de l'Achéron : »

Dans *Le Petit Poucet* l'enfant est perçu comme une bouche inutile :

> « Ils étaient fort pauvres, et leurs sept enfants les incommodaient beaucoup, parce qu'aucun d'eux ne pouvait encore gagner sa vie. »

Autres habitants de la forêt, les charbonniers, évoqués dans *La Belle au bois dormant* :

> « Le Prince lui dit qu'en chassant il s'était perdu dans la forêt, et qu'il avait couché dans la hutte d'un Charbonnier, qui lui avait fait manger du pain noir et du fromage. »

Le menu peuple laisse parfois s'exprimer son désespoir :

> « L'époux plus d'une fois, emporté de colère,
> Pensa faire tout bas le souhait d'être veuf,
> Et peut-être, entre nous, ne pouvait-il mieux faire :
> Les hommes, disait-il, pour souffrir sont bien nés ! » (*Les Souhaits ridicules*)

Mais la pauvreté du menu peuple va de pair avec son imprévoyance et son incapacité à gérer ses affaires :

« Le Bûcheron envoya sur l'heure sa femme à la Boucherie. Comme il y avait longtemps qu'elle n'avait mangé, elle acheta trois fois plus de viande qu'il n'en fallait pour le souper de deux personnes. » (*Le Petit Poucet*)

Cette extrême pauvreté reflète, dans *Le Petit Poucet* la famine de l'hiver 1693-1694. Elle pousse les miséreux à l'abandon d'enfant, qui était une réalité dans la société du XVIIe siècle :

> « Il vint une année très fâcheuse, et la famine fut si grande, que ces pauvres gens résolurent de se défaire de leurs enfants. Un soir que ces enfants étaient couchés, et que le Bûcheron était auprès du feu avec sa femme, il lui dit, le coeur serré de douleur :
> Tu vois bien que nous ne pouvons plus nourrir nos enfants ; je ne saurais les voir mourir de faim devant mes yeux, et je suis résolu de les mener perdre demain au bois, ce qui sera aisé, car tandis qu'ils s'amuseront à fagoter, nous n'avons qu'à nous enfuir sans qu'ils nous voient. »

5.5.3 Valeurs bourgeoises

Ces valeurs, qui sont celles de la classe à laquelle appartient Perrault lui-même, apparaissent à la fin du conte *La Barbe bleue*, dans la façon dont sa veuve gère les biens qu'elle a reçus :

> « Il se trouva que la Barbe bleue n'avait point d'héritiers, et qu'ainsi sa femme demeura maîtresse de tous ses biens. Elle en employa une grande partie à marier sa soeur Anne avec un jeune Gentilhomme, dont elle était aimée depuis longtemps; une autre partie à acheter des Charges de Capitaine à ses deux frères ; et le reste à se marier elle-même à un fort honnête homme, qui lui fit oublier le mauvais temps qu'elle avait passé avec la Barbe bleue. »

Le Petit Poucet lui-même, après avoir fait fortune grâce aux bottes de sept lieues, a le talent de gérer très prudemment et très bourgeoisement ses intérêts, d'une telle façon qu'il assurera

l'élévation sociale de sa famille :

> « Après avoir fait pendant quelque temps le métier de courrier, et y avoir amassé beaucoup de bien, il revint chez son père, où il n'est pas possible d'imaginer la joie qu'on eut de le revoir. Il mit toute sa famille à son aise. Il acheta des Offices de nouvelle création pour son père et pour ses frères ; et par là il les établit tous, et fit parfaitement bien sa cour en même temps. »

5.6 Le monarque

Dans *Grisélidis*, le portrait du Prince est celui de Louis XIV et Perrault développe les argumets et les images habituels dans les éloges du Roi-Soleil :

> « un jeune et vaillant Prince,
> Les délices de sa Province :
> Le ciel, en le formant, sur lui tout à la fois
> Versa ce qu'il a de plus rare,
> Ce qu'entre ses amis d'ordinaire il sépare,
> Et qu'il ne donne qu'aux grands Rois.
> Comblé de tous les dons et du corps et de l'âme,
> Il fut robuste, adroit, propre au métier de Mars,
> Et par l'instinct secret d'une divine flamme,
> Avec ardeur il aima les beaux Arts.
> Il aima les combats, il aima la victoire,
> Les grands projets, les actes valeureux,
> Et tout ce qui fait vivre un beau nom dans l'histoire ;
> Mais son coeur tendre et généreux
> Fut encor plus sensible à la solide gloire
> De rendre ses Peuples heureux. » (*Grisélidis*)

Dans *Peau d'Âne* le portrait du roi correspond aussi à celui de Louis XIV et s'inspire également des éloges que poètes et écrivains lui décernent :

> « Il était une fois un Roi,
> Le plus grand qui fût sur la Terre,
> Aimable en Paix, terrible en Guerre,
> Seul enfin comparable à soi :
> Ses voisins le craignaient, ses États étaient calmes,
> Et l'on voyait de toutes parts
> Fleurir, à l'ombre de ses palmes,
> Et les Vertus et les beaux Arts. »

Toujours dans *Grisélidis,* la journée du Prince est remplie suivant comme celle de Louis XIV :

> « Ainsi, quand le matin, qu'il donnait aux affaires,
> Il avait réglé sagement
> Toutes les choses nécessaires
> Au bonheur du gouvernement,
> Que du faible orphelin, de la veuve oppressée,
> Il avait conservé les droits,
> Ou banni quelque impôt qu'une guerre forcée
> Avait introduit autrefois,
> L'autre moitié de la journée
> À la chasse était destinée, » (*Grisélidis*)

La monarchie de Louis XIV cherche à en imposer par la splendeur de son apparence, comme on le voit dans *Grisélidis* avec cette évocation des fêtes royales :

> « Dans la Ville avec diligence,
> Pour l'Hymen dont le jour s'avance,
> On voit travailler tous les Arts :
> Ici se font de magnifiques chars
> D'une forme toute nouvelle,
> Si beaux et si bien inventés,
> Que l'or qui partout étincelle
> En fait la moindre des beautés.
> Là pour voir aisément et sans aucun obstacle
> Toute la pompe du spectacle,
> On dresse de longs échafauds,
> Ici de grands Arcs triomphaux
> Où du Prince guerrier se célèbre la gloire,
> Et de l'Amour sur lui l'éclatante victoire.
> Là, sont forgés d'un art industrieux,
> Ces feux qui par les coups d'un innocent tonnerre,
> En effrayant la Terre,
> De mille astres nouveaux embellissent les Cieux.
> Là d'un ballet ingénieux
> Se concerte avec soin l'agréable folie,
> Et là d'un Opéra peuplé de mille Dieux,
> Le plus beau que jamais ait produit l'Italie,
> On entend répéter les airs mélodieux. » (*Grisélidis*)

La splendeur royale se manifeste également par des collectons d'oiseaux rares

> « en cette grande Métairie
> D'un Roi magnifique et puissant
> Se faisait la Ménagerie,
> Que là, Poules de Barbarie,
> Râles, Pintades, Cormorans,
> Oisons musqués, Canes Petières,
> Et mille autres oiseaux de bizarres manières,
> Entre eux presque tous différents,
> Remplissaient à l'envi dix cours toutes entières. » (*Peau d'Âne*)

Le souci de la succession est important dans une monarchie :

> « Cependant ses sujets que leur intérêt presse
> De s'assurer d'un successeur
> Qui les gouverne un jour avec même douceur,
> À leur donner un fils le conviaient sans cesse.
> Un jour dans le Palais ils vinrent tous en corps
> Pour faire leurs derniers efforts ;
> Un Orateur d'une grave apparence,
> Et le meilleur qui fût alors,
> Dit tout ce qu'on peut dire en pareille occurrence.
> Il marqua leur désir pressant
> De voir sortir du Prince une heureuse lignée

Qui rendît à jamais leur État florissant ; » (*Grisélidis*)

5.7 L'armée

Elle est évoquée par Perrault à propos des frères de l'héroïne de *La Barbe bleue* qui appartiennent tous les deux aux troupes de cavalerie :

> « on vit entrer deux Cavaliers, qui mettant l'épée à la main, coururent droit à la Barbe bleue. Il reconnut que c'était les frères de sa femme, l'un Dragon et l'autre Mousquetaire. »

On trouve aussi çà et là, par exemple dans *La Belle au bois dormant*, des allusions aux gardes suisses, que Perrault désigne simplement par « les Suisses ». En fait les personnages de militaires n'apparaissent que très peu dans les *Contes* parce que l'armée elle-même est peu présente sous les yeux de la population : la conscription n'existe pas, seuls les nobles sont concernés par des carrières militaires et la France de ce temps-là n'est pas envahie, c'est elle qui envahit ses voisins...

5.8 Présence du clergé

Sous l'Ancien Régime le clergé régulier est très important en nombre et il se montre très présent dans la vie sociale :

> « Près de la Ville était un Monastère,
> Fameux par son antiquité,
> Où des Vierges vivaient dans une règle austère,
> Sous les yeux d'une Abbesse illustre en piété. » (*Grisélidis*)

Quand, dans *Peau d'Âne,* le roi décide d'épouser sa fille, Perrault se moque des casuistes, déjà fustigés par Pascal dans les *Provinciales* dont les Perrault, sympathisans du jansénisme, furent parmi les premiers lecteurs :

> « Il trouva même un Casuiste
> Qui jugea que le cas se pouvait proposer. »

5.9 Les divertissements

5.9.1 La chasse

Le divertissement favori du roi et des grands seigneurs reste la chasse. Dans *Grisélidis,* Perrault donne la description d'une partie de chasse :

> « Après avoir passé des prés et des guérets,
> Il trouve ses Chasseurs couchés sur l'herbe verte ;
> Tous se lèvent et tous alertes
> Font trembler de leurs cors les hôtes des forêts.
> Des chiens courants l'aboyante famille,
> Deçà, delà, parmi le chaume brille,
> Et les limiers à l'oeil ardent
> Qui du fort de la Bête à leur poste reviennent,
> Entraînent en les regardant
> Les forts valets qui les retiennent.
> S'étant instruit par un des siens
> Si tout est prêt, si l'on est sur la trace,
> Il ordonne aussitôt qu'on commence la chasse,
> Et fait donner le Cerf aux chiens.
> Le son des cors qui retentissent,
> Le bruit des chevaux qui hennissent

Et des chiens animés les pénétrants abois,
Remplissent la forêt de tumulte et de trouble,
Et pendant que l'écho sans cesse les redouble,
S'enfoncent avec eux dans les plus creux du bois. » (*Grisélidis*)

Dans *Peau d'Âne* également, le Prince est chasseur :

« Le Fils du Roi dans ce charmant séjour
Venait souvent au retour de la Chasse
Se reposer boire à la glace[24]
Avec les Seigneurs de sa Cour. »

Tout comme le Prince dans *La Belle au bois dormant* :

« Au bout de cent ans, le Fils du Roi qui régnait alors, et qui était d'une autre famille que la Princesse endormie, étant allé à la chasse de ce côté-là, demanda ce que c'était que ces Tours qu'il voyait au-dessus d'un grand bois fort épais. »

5.9.2 Les divertissements de la cour

La Barbe bleue donne une image des divertissements de la cour :

« La Barbe bleue, pour faire connaissance, les mena avec leur Mère, et trois ou quatre de leurs meilleures amies, et quelques jeunes gens du voisinage, à une de ses maisons de Campagne, où on demeura huit jours entiers. Ce n'était que promenades, que parties de chasse et de pêche, que danses et festins, que collations : on ne dormait point, et on passait toute la nuit à se faire des malices les uns aux autres. »

De même dans *Cendrillon* :

« Il arriva que le Fils du Roi donna un bal, et qu'il en pria toutes les personnes de qualité. »

5.10 La femme dans les *Contes*

5.10.1 Types féminins du XVIIe siècle

Perrault emploie dans *Griselidis* un stéréotype féminin, la bergère :

« C'était une jeune Bergère
Qui filait aux bords d'un ruisseau,
Et qui conduisant son troupeau,
D'une main sage et ménagère
Tournait son agile fuseau. » (*Grisélidis*)

Perrault met en scène dans *Grisélidis* quelques types féminins du XVIIe siècle :

« L'une d'humeur chagrine, et que rien ne récrée,
Devient une Dévote outrée,
Qui crie et gronde à tous moments ;
L'autre se façonne en Coquette
Qui sans cesse écoute ou caquette,

[24]Noter l'expression « boire à la glace ». Le XVIIe siècle emploie déjà la glace pour rafrapichir les boissons. Littré cite Boileau : « Par le chaud qu'il faisait nous n'avions point de glace ; Point de glace, bon Dieu ! dans le fort de l'été, Au mois de juin !... » BOILEAU, *Satire* III.

Et n'a jamais assez d'Amants ;
Celle-ci des beaux Arts follement curieuse,
De tout décide avec hauteur
Et critiquant le plus habile Auteur
Prend la forme de Précieuse ;
Cette autre s'érige en Joueuse,
Perd tout, argent, bijoux, bagues, meubles de prix,
Et même jusqu'à ses habits. » (*Grisélidis*)

Perrault évoque également l'existence misérable d'une fille de ferme :

« Elle alla donc bien loin, bien loin, encor plus loin ;
Enfin elle arriva dans une Métairie
Où la Fermière avait besoin
D'une souillon, dont l'industrie
Allât jusqu'à savoir bien laver des torchons
Et nettoyer l'auge aux Cochons.
On la mit dans un coin au fond de la cuisine
Où les Valets, insolente vermine,
Ne faisaient que la tirailler
La contredire et la railler ;
Ils ne savaient quelle pièce lui faire,
La harcelant à tout propos ;
Elle était la butte ordinaire
De tous leurs quolibets et de tous leurs bons mots. » (*Peau d'Âne*)

5.10.2 Misogynie

Elle s'exprime à travers le personnage du Prince dans *Grisélidis* :

« Le fréquent usage du monde,
Où l'on ne voit qu'Époux subjugués ou trahis, » (*Grisélidis*)

Perrault rejoint ici les plaisanteries traditionnelles sur les maris trompés.

Cette misogynie s'en prend même aux jeunes filles :

« Observez bien toutes les jeunes filles ;
Tant qu'elles sont au sein de leurs familles,
Ce n'est que vertu, que bonté,
Que pudeur que sincérité,
Mais sitôt que le mariage
Au déguisement a mis fin
Et qu'ayant fixé leur destin
Il n'importe plus d'être sage,
Elles quittent leur personnage,
Non sans avoir beaucoup pâti,
Et chacune dans son ménage
Selon son gré prend son parti. » (*Grisélidis*)

5.11 Les paysans

Masse innombrable et redoutable, ils sont réputés pour leur misère apparente. Ils se livrent, surtout pendant la première moitié du siècle à des révoltes souvent sanguinaires. Beaucoup savent signer de leur nom et lire des prières. Quelques uns peuvent lire aux autres les productions de la

littérature de colportage : almanachs, « canards » diffusant des nouvelles aussi horribles que fausses, récits fantastiques qui sont souvent des sous-produits de la « grande » littérature. Au XVIIe siècle les pratiques de la sorcellerie sont endémiques dans les campagnes. La vieille religion païenne subsisterait même sous la forme de quelques pratiques et surtout dans les innombrables saints préposés aux diverses protections.

Marc Soriano définit ainsi le folklore : « ensemble des manifestations artistiques de cette paysannerie : danses, cérémonies, chansons et naturellement contes [...] Il s'agit d'un art *vital*[25], d'un art qui a un rôle réel dans la structuration de la vie.[26] » Dans cette culture paysanne, la finalité des contes n'est pas seulement esthétique : le conte reflète les contradictions et les angoisses de son public.

Les noms que donne Perrault à ses gens du peuple sont marqués comme populaires : dans *Les Souhaits ridicules,* le bûcheron et sa femme s'appellent respectivement Blaise et Fanchon. Fanchon est également le prénom de la jeune fille qui a bon cœur dans *Les Fées*. Le frère aîné du Petit Poucet se nomme quant à lui Pierrot.

L'habitat paysan est rudimentaire ; dans *Grisélidis* on trouve les mots de « case » et de « cabanes » pour le désigner. De même le logis du bûcheron dans *Les Souhaits ridicules* est plutôt précaire : « en entrant sous son toit de fougère ».

La vie paysanne se contente d'objets eux aussi très rudimentaires :

> « le vase d'argile
> Que la Bergère lui donna. » (*Grisélidis*)

L'économie paysanne est autosuffisante :

> « Il sut qu'elle n'a plus que son Père avec elle,
> Que Griselidis on l'appelle,
> Qu'ils vivent doucement du lait de leurs brebis,
> Et que de leur toison qu'elle seule elle file,
> Sans avoir recours à la ville,
> Ils font eux-mêmes leurs habits. » (*Grisélidis*)

Le pain est l'aliment de base :

> « c'est par-delà le moulin que vous voyez tout là-bas » (*Le Petit Chaperon Rouge*)
> « Mets la galette et le petit pot de beurre sur la huche » (*ibidem*)

L'homme du peuple se contente de plaisirs simples :

> « Mais va tirer du vin derrière ces fagots.
> À son retour il but, et goûtant à son aise
> Près d'un grand feu la douceur du repos,
> Il dit, en s'appuyant sur le dos de sa chaise :
> Pendant que nous avons une si bonne braise,
> Qu'une aune de Boudin viendrait bien à propos ! » *(Les Souhaits ridicules)*

5.12 L'enfant et l'éducation

Perrault vit à une époque charnière, où la place de l'enfant dans la société commence à évoluer pour devenir prépondérante dans le courant du XVIIIe sicècle ; on est en train de passer d'une société archaïque et patriarcale, encore attestée dans la fable « Le Laboureur et ses enfants » de La Fontaine, où c'est le vieillard qui occupe la place centrale, à un autre type de société où c'est

[25]souligné par l'auteur.
[26]Marc SORIANO p. 95

l'enfant qui va occuper celle-ci.

On voit, par exemple dans *Grisélidis,* que l'enfant commence à prendre une place importante dans la cellule familiale :

> « Elle venait de donner la mamelle
> Au tendre objet de son amour ardent,
> Qui couché sur son sein se jouait avec elle,
> Et riait en la regardant : » (*Grisélidis*)

De même le Petit Chaperon Rouge est un objet d'adoration pour sa mère et pour sa grand-mère :

> « Il était une fois une petite fille de Village, la plus jolie qu'on eût su voir ; sa mère en était folle, et sa mère-grand plus folle encore. »

Par ailleurs Perraut critique, bien avant que Rousseau ne le fasse dans *Émile*, la mode des nourices, car Grisélidis veut nourrir son enfant elle-même :

> « Elle voulut la nourrir elle-même :
> Ah ! dit-elle, comment m'exempter de l'emploi
> Que ses cris demandent de moi
> Sans une ingratitude extrême ?
> Par un motif de Nature ennemi
> Pourrais-je bien vouloir de mon Enfant que j'aime
> N'être la Mère qu'à demi ? » (*Grisélidis*)

Il s'ensuit que des usages anciens comme l'abandon des enfants ne sont plus compris, surtout par des gens comme Perrault, issus de la classe montante de la bourgeoisie, qui est aussi une classe de progrès :

> « Il vint une année très fâcheuse, et la famine fut si grande, que ces pauvres gens résolurent de se défaire de leurs enfants. » (*Le Petit Poucet*)

5.13 Perrault, homme de lettres et polémiste

Le tempérament combatif que Perrault manifeste dans la Querelle des Anciens et des Modernes se manifeste dans les *Contes* par quelque scoups de bec. Il se livre par exmeple dans *Grisélidis* à une satire des orateurs et de la rhétorique :

> « Le plus content fut l'Orateur,
> Qui par son discours pathétique
> Croyait d'un si grand bien être l'unique Auteur
> Qu'il se trouvait homme de conséquence !
> Rien ne peut résister à la grande éloquence,
> Disait-il sans cesse en son coeur. » (*Grisélidis*)

Au début de *Peau d'Âne* Perrault défend le genre qu'il pratique, alors que le conte est considéré comme un genre mineur. En effet les contes de fées sont à la mode entre 1685 et 1700 ; cette période voit paraître, outre ceux de Perrault, les contes de Mme d'Aulnoy et de Mlle Lhéritier. :

> « Il est des gens de qui l'esprit guindé,
> Sous un front jamais déridé,
> Ne souffre, n'approuve et n'estime
> Que le pompeux et le sublime ;
> Pour moi, j'ose poser en fait
> Qu'en de certains moments l'esprit le plus parfait
> Peut aimer sans rougir jusqu'aux Marionnettes ;

Et qu'il est des temps et des lieux
Où le grave et le sérieux
Ne valent pas d'agréables sornettes.
Pourquoi faut-il s'émerveiller
Que la Raison la mieux sensée,
Lasse souvent de trop veiller,
Par des contes d'Ogre et de Fée
Ingénieusement bercée,
Prenne plaisir à sommeiller ?
Sans craindre donc qu'on me condamne
De mal employer mon loisir,
Je vais, pour contenter votre juste désir,
Vous conter tout au long l'histoire de Peau-d'âne. »

Perrault, champion des Modernes, prête quand même des usages antiques à ses personnages :

« Cependant pour l'Hymen les Seigneurs invités,
Arrivèrent de tous côtés ;
Dans une magnifique salle
Où le Prince les assembla
Avant que d'allumer la torche nuptiale, » (*Grisélidis*)

Dans *Les Souhaits ridicules* Perrault se moque des Précieuses et de leur délicatesse :

« Une aune de Boudin en fournit la matière.
Une aune de Boudin, ma chère !
Quelle pitié ! c'est une horreur
S'écriait une Précieuse,
Qui toujours tendre et sérieuse
Ne veut ouïr parler que d'affaires de coeur. »

6 L'incipit des *Contes*

- La célèbre formule « Il était une fois... » sert d'ouverture à la totalité des contes en vers et en prose, sauf deux, qui sont *Griselidis* et *Le Maître Chat ou Le Chat botté* .

- *Grisélidis* est le seul conte à être localisé par une précision d'ordre géographique, qui lui sert d'incipit :

« Au pied des célèbres montagnes
Où le Pô s'échappant de dessous ses roseaux,
Va dans le sein des prochaines campagnes
Promener ses naissantes eaux [...] »

Rappelons au passage que la plaine padane évoquée ici est le pays natal du mantovan Virgile et sert de décor à ses *Bucoliques*...

- *Le Maître Chat ou Le Chat botté* quant à lui commence à la façon d'une fable de La Fontaine :

« Un Meunier ne laissa pour tous biens à trois enfants qu'il avait, que son Moulin, son âne, et son chat. »

- L'expression traditionnelle « il était une fois » a une fonction précise et il convient d'analyser chacun de ses termes.

D'abord l'emploi de l'impersonnel « il était » affirme que le récit que le conteur s'apprête à dire est une réalité extérieure à lui-même qui ne lui appartient pas. En même temps il pose explicitement les données du récit qui va suivre.

D'autre part l'emploi de l'imparfait, bien qu'il connote le passé et renvoie hors de l'époque actuelle, a une fonction de négation. Pour comprendre celle-ci il faut renvoyer à l'analyse sur Jean-Paul Sartre a donnée, dans son essai intitulé *Qu'est-ce que la littérature ?* de l'emploi de l'imparfait par les romanciers réalistes et naturalistes du XIXe siècle : Sartre rappelle que l'imparfait est le temps qui exprime la néagtion du présent. On perçoit pleinement cette signification dans l'expression de l'irréel du présent : « Si j'étais roi, je serais heureux. » La protase de cette phrase hypothétique revient à affirmer que je ne suis pas roi et qu'être roi est dans mon cas contraire à toute réalité. Ainsi, pour Sartre, si les auteurs précités, qui appartiennent eux-mêmes à la bourgeoisie, rédigent entièrement leurs romans à l'imparfait et aux autres temps du passé alors que les situations décrites sont affirmées comme contemporaines, ce n'est pas pour les situer en une époque révolue, mais bel et bien pour les rejeter dans le néant et nier l'existence des réalités décrites tout en les exposant, car ces réalités concernent un prolétatriat que les écrivains et leurs lecteurs veulent oublier une fois le livre refermé.

On peut donc analyser cet imparfait de « il était », tout comme l'emploi subséquent des temps du passé dans les contes, comme une façon d'affirmer que ce qu'on raconte n'existe pas et donc que tout y est possible.

7 L'écriture de Perrault

7.1 L'art des conteurs traditionnels

Le conteur traditionnel est soumis à une double contrainte : il doit d'une part employer des clichés, des lieux communs et des types tout faits de personnages pour être compris de son public ; d'autre part, il doit en même temps éveiller et maintenir la curiosité de son public en multipliant des traits singuliers et qui ont l'air inédits.

Perrault procède de la même manière, mais ses références son différentes et les traits originaux dont il parsème les contes appartiennnent à d'autres référentiels, très différents de ceux de l'homme du peuple. « Le conteur alterne avec adresse la technique des lieux communs et des traits généraux et celle qui au contraire multiplie les détails concrets et les précisions historiques. » (Marc Soriano p 146)

7.2 Distanciation

La **distanciation** est le recul que prend un écrivain pour parler de ce qu'il écrit comme s'il était lui-même en dehors de ce texte et pour faire entendre sa propre voix d'écrivain. Par exemple, Stendhal, dans *La Chartreuse de Parme,* pour évoquer les émotions de Fabrice sur le champ de bataille de Waterloo, écrit « Nous avouerons que notre héros était fort peu héros en ce moment. » dans cette phrase on voit que la distanciation s'accommode bien de l'ironie.

C'est ainsi que Perrault pratique fréquemment une sorte de distanciation par rapport à ce qu'il écrit, par exemple, dans *Peau d'Âne,* où il fait en même temps allusion à la tradition orale :

> « Il n'est pas besoin qu'on vous die
> Ce qu'était une Fée en ces bienheureux temps ;
> Car je suis sûr que votre Mie[27]
> Vous l'aura dit dès vos plus jeunes ans. »

Autre exemple dans *Peau d'Âne* de distanciation, où Perrault se montre critique à propos de son propre récit :

> « Le Conte de Peau-d'âne est difficile à croire,
> Mais tant que dans le Monde on aura des Enfants,

[27]La « Mie », diminutif de « Amie », désigne la femme qui a charge de garder un jeune enfant.

Des Mères et des Mères-grands,
On en gardera la mémoire. »

Dans *Les Souhaits ridicules* Perrault pratique la même forme de distanciation, qui juge les contes au nom de la raison, comme si le rationalisme du XVIIe siècle avait du mal à accepter le contenu souvent irrationnel des contes

« Si vous étiez moins raisonnable,
Je me garderais bien de venir vous conter
La folle et peu galante fable
Que je m'en vais vous débiter. »

Perrault prend également ses distances de façon plaisante par exemple à propos de bottes du Chat botté :

> « Le Chat fut si effrayé de voir un Lion devant lui, qu'il gagna aussitôt les gouttières, non sans peine et sans péril, à cause de ses bottes qui ne valaient rien pour marcher sur les tuiles. »

7.3 L'archaïsme

L'archaïsme est une figure de rhétorique qui consiste à employer des tournures, des formes grammticales ou des mots appartenant à un état de langue antérieur à celui de l'auteur.

Il apparaît surtout dans *Le Petit Chaperon Rouge* où Perrault se plaît à employer des mots et des expressions déjà désuets à son époque, par exemple « mère-grand », « cuire[28] » employé de façon intransitive au sens de « faire la cuisine », « chaperon », à quoi il faut ajouter la formule « Tire la chevillette, la bobinette cherra », où « cherra » est le futur du verbe « choir », maintenant défectif. Ce jeu avec les archaïsmes est à rapprocher de celui que La Fontaine pratique dans ses *Fables,* par exemple dans « La Grenouille et le Rat » :

« Tel, comme dit Merlin, cuide engeigner autrui,
Qui souvent s'engeigne soi-même. »

7.4 Une source sur l'art de Perrault

La lette « À Monsieur *** en lui envoyant *Grisélidis »* nous fournit des renseignements de première main sur la technique de l'écrivain. Perrault y rapporte en effet les critiques qu'on a faites de son ouvrage au nom du bon goût, pour conclure spirituellement que tout ne peut pas plaire à tout le monde.

7.5 Un écrivain prudent

Dans *Peau d'Âne* Perrault emploie curieusement le terme d'« Infante » pour désigner la princesse héroïne du conte. Or ce terme d'infante s'emploie seulement pour les princesses de la famille royale d'Espagne et jamais pour une fille de France. A-t-il voulu éviter à tout prix qu'on puisse assimiler le roi de *Peau d'Âne* à un roi de France et imaginer que celui-ci puisse avoir les mêmes penchants criminels que le souverain du conte ?

« Ni la Cour en beautés fertile,
Ni la Campagne, ni la Ville,
Ni les Royaumes d'alentour
Dont on alla faire le tour
N'en purent fournir une telle ;

[28]« ayant cuit et fait des galettes » peut aussi s'interpréter comme la figure de rhétorique nommée *hystérologie* ou bien « hystéron prôtéron », « le dernier en premier », qui inverse l'ordre chronologique des actions.

L'Infante seule était plus belle
Et possédait certains tendres appas
Que la défunte n'avait pas. » (*Peau d'Âne*)

L'effet de surprise

- Dans *Grisélidis,* quand le prince annonce qu'il va se marier une deuxième fois, il ne dit pas avec qui.
- Dans *Le Petit Chaperon Rouge,* Perrault partique la surprise en brisant un effet de répétition dans le dialogue final du loup et de la fillette :

« Ma mère-grand, que vous avez de grands bras ? C'est pour mieux t'embrasser, ma fille.
Ma mère-grand, que vous avez de grandes jambes ? C'est pour mieux courir, mon enfant.
Ma mère-grand, que vous avez de grandes oreilles? C'est pour mieux écouter, mon enfant.
Ma mère-grand, que vous avez de grands yeux ? C'est pour mieux voir, mon enfant.
Ma mère-grand, que vous avez de grandes dents ? C'est pour te manger. »

On attendrait à la place de la denière réplique « C'est pour mieux manger, mon enfant » ; mais Perrault a préféré anticiper la sauvagerie de la suite par la formule « C'est pour **te** manger ».

7.6 Intertextualité

Le début des *Souhaits ridicules* est une récriture de la fable de La Fontaine *La Mort et le Bûcheron.*

7.7 L'amplification

Dans *Grisélidis*, Perrault décrit les réactions de la cour quand le prince annonce son intention de se marier la première fois, or son modèle populaire ne dit rien là-dessus. Même procédé dans la réponse du prince aux délégués du peuple qui sont venus le trouver pour le décider à se marier.

7.8 Le jeu avec les registres

7.8.1 Le registre tragique

Quand la paysanne des *Souhaits ridicules*, affublée d'un boudin sur son nez, se demande quel voeu elle doit prononcer, Perrault parodie le registre des tragédies, notamment celui des stances où le héros tragique, Le Cid par exemple, est confronté à un dilemme ; il faut aussi rappeler que ce dilemme, qui résume le conflit entre le devoir moral et le penchant personnel ou la passion, est le thème majeur de toutes les tragédies classiques :

« Je pourrais bien, disait-il à part soi,
Après un malheur si funeste,
Avec le souhait qui me reste,
Tout d'un plein saut me faire Roi.
Rien n'égale, il est vrai, la grandeur souveraine ;
Mais encore faut-il songer
Comment serait faite la Reine,
Et dans quelle douleur ce serait la plonger
De l'aller placer sur un trône
Avec un nez plus long qu'une aune.
Il faut l'écouter sur cela,
Et qu'elle-même elle soit la maîtresse
De devenir une grande Princesse
En conservant l'horrible nez qu'elle a,

Ou de demeurer Bûcheronne
Avec un nez comme une autre personne. »

7.8.2 Les références à l'Antiquité

Paradaxolement, elles snt multiples sous la plume du champion des Modernes. Il faut sans doute y voir une habitude rhétorique et aussi un goût de la dérision.

Par exemple, quand le prince, qui se nomme d'ailleurs **Céphale**, découvre Peau d'Âne :

> « Il s'enquit quelle était cette **Nymphe** admirable »

Au début des *Souhaits ridicules* Perrault mélange religion grecque et religion chrétienne :

> « Il était une fois un pauvre Bûcheron
> Qui las de sa pénible vie,
> Avait, disait-il, grande envie
> De s'aller reposer aux bords de l'Achéron :
> Représentant, dans sa douleur profonde,
> Que depuis qu'il était au monde,
> Le Ciel cruel n'avait jamais
> Voulu remplir un seul de ses souhaits.
>
> Un jour que, dans le Bois, il se mit à se plaindre,
> À lui, la foudre en main, Jupiter s'apparut. »

7.8.3 Le registre épique

Dans *Peau d'Âne,* il se manifeste par l'amplification, au moment où le père enfin calmé convie ses confrères monarques aux noces de sa fille :

« Pour l'Hymen aussitôt chacun prit ses mesures ;
Le Monarque en pria tous les Rois d'alentour,
Qui, tous brillants de diverses parures,
Quittèrent leurs États pour être à ce grand jour
On en vit arriver des climats de l'Aurore,
Montés sur de grands Éléphants ;
Il en vint du rivage More,
Qui, plus noirs et plus laids encore,
Faisaient peur aux petits enfants ;
Enfin de tous les coins du Monde,
Il en débarque et la Cour en abonde. »

Dans *La Barbe bleue,* Perrault n'est pas loin de parodier l'épopée quand il fait répéter à son héroïne la formule « Anne, ma soeur Anne », qui n'était pas sans rappeler à son public[29] l'apostrophe « Anna soror » que lance Didon dans l'*Énéide* de Virgile.

7.8.4 Le parler et les façons du peuple

À l'opposé Perrault prête aux deux personnages des *Souhaits ridicules* un certain nombre d'expressions populaires.

7.8.5 L'ironie

- Perrault emploie l'ironie par exemple à propos de la fée qui est la marraine de Peau d'Âne, la brave femme ignorant bien des malices de ce monde, notamment les excès où mène la passion amoureuse :

[29]Les lecteurs de Perrault savaient le latin et avaient lu Virgile.

« Cette Fée était bien savante,
Et cependant elle ignorait encor
Que l'amour violent pourvu qu'on le contente,
Compte pour rien l'argent et l'or. »

- Il arrive que Perrault joue avec le feu, par exemple, quand il décrit au début de *Peau d'Âne* le monarque qui va tomber amoureux de sa fille, le lecteur ne peut s'empêcher de penser à Louis XIV, pour qui ce genre d'éloge était courant :

« Il était une fois un Roi,
Le plus grand qui fût sur la Terre,
Aimable en Paix, terrible en Guerre,
Seul enfin comparable à soi :
Ses voisins le craignaient, ses États étaient calmes,
Et l'on voyait de toutes parts
Fleurir, à l'ombre de ses palmes,
Et les Vertus et les beaux Arts. »

L'ambiguïté est d'autant plus grande que le roi perd son épouse, tout comme Louis XIV prématurément veuf de la reine Marie-Thérèse[30] en 1683.

- Perrault emploie aussi l'ironie dans la narration à propos de ses propres personnages, par exemple dans *Le Petit Chaperon Rouge,* où l'ironie prépare les sous-entendus de la morale qui suit le conte :

« la pauvre enfant, qui ne savait pas qu'il est dangereux de s'arrêter à écouter un Loup [...] »

- Dans ce même conte, Perrault est d'ailleurs à la limite de la grivoiserie :

« Le Petit Chaperon rouge se déshabille, et va se mettre dans le lit, où elle fut bien étonnée de voir comment sa Mère-grand était faite en son déshabillé. »

- Perrault ironise sur la naïveté de la jeune fille qui va finir par épouser Barbe bleue :

« la Cadette commença à trouver que le Maître du logis n'avait plus la barbe si bleue, et que c'était un fort honnête homme. »

- Dans l'incipit du *Petit Poucet* :

« sept enfants tous Garçons. L'aîné n'avait que dix ans, et le plus jeune n'en avait que sept. On s'étonnera que le Bûcheron ait eu tant d'enfants en si peu de temps; mais c'est que sa femme allait vite en besogne, et n'en faisait pas moins que deux à la fois. »

- Humour noir dans *Le Petit Poucet* avec le portrait des filles de l'Ogre :

« Ces petites Ogresses avaient toutes le teint fort beau, parce qu'elles mangeaient de la chair fraîche comme leur père ; mais elles avaient de petits yeux gris et tout ronds, le nez crochu et une fort grande bouche avec de longues dents fort aiguës et fort éloignées l'une de l'autre. Elles n'étaient pas encore fort méchantes ; mais elles promettaient beaucoup, car elles mordaient déjà les petits enfants pour en sucer le sang. »

- Perrault emploie de façon ambigüe des verbes qui sont aussi des termes de cuisine, « mortifier », qui veut dire attendrir une viande, et « habiller », qui signifie la préparer pour

[30] Marie-Thérèse d'Autriche (Madrid, 1638 — Versailles, 1683). Fille du roi d'Espagne Philippe IV, elle épousa en 1660, conformément au traité des Pyrénées, Louis XIV.

la cuisson[31] :

« Que voulez-vous faire à l'heure qu'il est? n'aurez-vous pas assez de temps demain matin ? Tais-toi, reprit l'Ogre, ils en seront plus mortifiés. »

« L'Ogre s'étant éveillé dit à sa femme : « va-t'en là-haut habiller ces petits drôles d'hier soir. »

7.8.6 L'humour et le burlesque

Il se manifeste par exemple dans la façon dont la fée équipe le carrosse de Cendrillon :

« Ensuite elle alla regarder dans sa souricière, où elle trouva six souris toutes envie; elle dit à Cendrillon de lever un peu la trappe de la souricière, et à chaque souris qui sortait, elle lui donnait un coup de baguette, et la souris était aussitôt changée en un beau cheval ; ce qui fit un bel attelage de six chevaux, d'un beau gris de souris pommelé. Comme elle était en peine de quoi elle ferait un Cocher : « Je vais voir, dit Cendrillon, s'il n'y a point quelque rat dans la ratière, nous en ferons un Cocher. - Tu as raison, dit sa Marraine, va voir. » Cendrillon lui apporta la ratière, où il y avait trois gros rats. La Fée en prit un d'entre les trois, à cause de sa maîtresse barbe, et l'ayant touché, il fut changé en un gros Cocher, qui avait une des plus belles moustaches qu'on ait jamais vues. Ensuite elle lui dit : « Va dans le jardin, tu y trouveras six lézards derrière l'arrosoir, apporte les-moi. » Elle ne les eut pas plus tôt apportés que la Marraine les changea en six Laquais, qui montèrent aussitôt derrière le carrosse avec leurs habits chamarrés, et qui s'y tenaient attachés, comme s'ils n'eussent fait autre chose toute leur vie. La Fée dit alors à Cendrillon : « Hé bien, voilà de quoi aller au Bal, n'es-tu pas bien aise ? »

7.8.7 La satire

- Elle est présente dans *Cendrillon*, quand la fée métamorphose les lézards du jardin en laquais, Perrault insinuant une certaine propension à la paresse de ces derniers.

- Un des thèmes favoris de Perrault est la frivolité féminine. Par exmple, dans *Cendrillon* :

  « Toutes les Dames étaient attentives à considérer sa coiffure et ses habits, pour en avoir dès le lendemain de semblables, pourvu qu'il se trouvât des étoffes assez belles, et des ouvriers assez habiles. »

- Dans *Peau d'Âne,* les dames de la cour font tout pour que l'anneau trouvé dans le gâteau par le prince puisse aller à leur doigt :

« Le bruit ayant couru que pour prétendre au Prince,
Il faut avoir le doigt bien mince,
Tout Charlatan, pour être bienvenu,
Dit qu'il a le secret de le rendre menu ;
L'une, en suivant son bizarre caprice,
Comme une rave le ratisse ;
L'autre en coupe un petit morceau ;
Une autre en le pressant croit qu'elle l'apetisse ;
Et l'autre, avec de certaine eau,
Pour le rendre moins gros en fait tomber la peau ;
Il n'est enfin point de manoeuvre
Qu'une Dame ne mette en oeuvre,
Pour faire que son doigt cadre bien à l'anneau. »

[31] On dit aussi « parer ».

- Satire des courtisans dont la flatterie fait que les souverains ignorent leurs propre défauts. le bûcheron, dont la femme a un boudin sur le nez, pense que son épouse passera quand même pour belle si elle devient reine après son troisième voeu :

« [...] quand on est couronnée,
On a toujours le nez bien fait ; » (*Les Souhaits ridicules*)

- Dans *Le chat botté,* Perrault se moque de la cupidité des gens de justice : « Un Meunier ne laissa pour tous biens à trois enfants qu'il avait, que son Moulin, son âne, et son chat. Les partages furent bientôt faits, ni le Notaire, ni le Procureur n'y furent point appelés. Ils auraient eu bientôt mangé tout le pauvre patrimoine. L'aîné eut le Moulin, le second eut l'âne, et le plus jeune n'eut que le Chat. Ce dernier ne pouvait se consoler d'avoir un si pauvre lot. »

- Dans *Peau d'Âne* Perrault se moque de l'inconstance des sentiments humains :

« La Reine entre ses bras mourut,
Et jamais un Mari ne fit tant de vacarmes.
À l'ouïr sangloter et les nuits et les jours,
On jugea que son deuil ne lui durerait guère,
Et qu'il pleurait ses défuntes Amours
Comme un homme pressé qui veut sortir d'affaire.
On ne se trompa point. Au bout de quelques mois
Il voulut procéder à faire un nouveau choix. »

- Dans *Peau d'Âne,* Perrault se livre à la satire de la médecine

« [...] ni la Faculté qui le Grec étudie,
Ni les Charlatans ayant cours,
Ne purent tous ensemble arrêter l'incendie
Que la fièvre allumait en s'augmentant toujours. »

- De même, quand le prince est malade dans *Peau d'Âne* :

« Les Médecins sages d'expérience,
En le voyant maigrir de jour en jour,
Jugèrent tous, par leur grande science,
Qu'il était malade d'amour. »

- Dans *Peau d'Âne,* quand le mariage du roi et de sa fille est annulé en raison de la fugue de celle-ci, l'affliction des courtisans a des raisons qui ne sont pas désintéressées :

« Partout se répandit un triste et noir chagrin ;
Plus de Noces, plus de Festin,
Plus de Tarte, plus de Dragées ;
Les Dames de la Cour toutes découragées,
N'en dînèrent point la plupart ;
Mais du Curé surtout la tristesse fut grande,
Car il en déjeuna fort tard,
Et qui pis est n'eut point d'offrande. »

- Satire des femmes et de leurs bavardages :

« Cet ornement en cette place
Ne faisait pas un bon effet ;
Si ce n'est qu'en pendant sur le bas du visage,
Il l'empêchait de parler aisément,
Pour un époux merveilleux avantage,
Et si grand qu'il pensa dans cet heureux moment
Ne souhaiter rien davantage. » (*Les Souhaits ridicules*)

- Au début de *La Belle au bois dormant* Perrault met sur un même plan usage des eaux thermales, superstition et religion, suivant un procédé d'amalgame qui n'est pas sans rappeler ce que pratique à la même époque son ami Fontenelle dans l'*Histoire des oracles* et qu'on retrouvera chez les philosophes du XVIIIe siècle :

« Ils allèrent à toutes les eaux du monde ; voeux, pèlerinages, menues dévotions, tout fut mis en oeuvre, et rien n'y faisait. »

- Les gardes suisses sont soupçonnés d'ivrognerie

« Il reconnut pourtant bien au nez bourgeonné et à la face vermeille des Suisses, qu'ils n'étaient qu'endormis, et leurs tasses où il y avait encore quelques gouttes de vin montraient assez qu'ils s'étaient endormis en buvant. » (*La Belle au bois dormant*)

- Dans *Le Maître Chat ou Le Chat botté* Perrault se moque de la cupidité des gens de loi à propos des héritages et des droits de succession :

« Les partages furent bientôt faits, ni le Notaire, ni le Procureur n'y furent point appelés. Ils auraient eu bientôt mangé tout le pauvre patrimoine. »

- Satire traditionnelle de l'infidélité féminine :

« Le petit Poucet rapporta des nouvelles dès le soir même, et cette première course l'ayant fait connaître, il gagnait tout ce qu'il voulait ; car le Roi le payait parfaitement bien pour porter ses ordres à l'Armée, et une infinité de Dames lui donnaient tout ce qu'il voulait pour avoir des nouvelles de leurs Amants, et ce fut là son plus grand gain. Il se trouvait quelques femmes qui le chargeaient de lettres pour leurs maris, mais elles le payaient si mal, et cela allait à si peu de chose, qu'il ne daignait mettre en ligne de compte ce qu'il gagnait de ce côté-là. »

7.8.8 Le réalisme de Perrault

- Il se manifeste par exemple dans *Cendrillon* :

« c'était elle qui nettoyait la vaisselle et les montées, qui frottait la chambre de Madame, et celles de Mesdemoiselles ses filles ; elle couchait tout au haut de la maison, dans un grenier, sur une méchante paillasse, pendant que ses soeurs étaient dans des chambres parquetées, où elles avaient des lits des plus à la mode, et des miroirs où elles se voyaient depuis les pieds jusqu'à la tête. »

- ce réalisme se manifeste également dans *Peau d'Âne* où Perrault donne pratiquement une recette de pâtisserie :

« Peau-d'âne donc prend sa farine
Qu'elle avait fait bluter exprès
Pour rendre sa pâte plus fine,
Son sel, son beurre et ses oeufs frais ;
Et pour bien faire sa galette,
S'enferme seule en sa chambrette. »

7.8.9 L'oralité

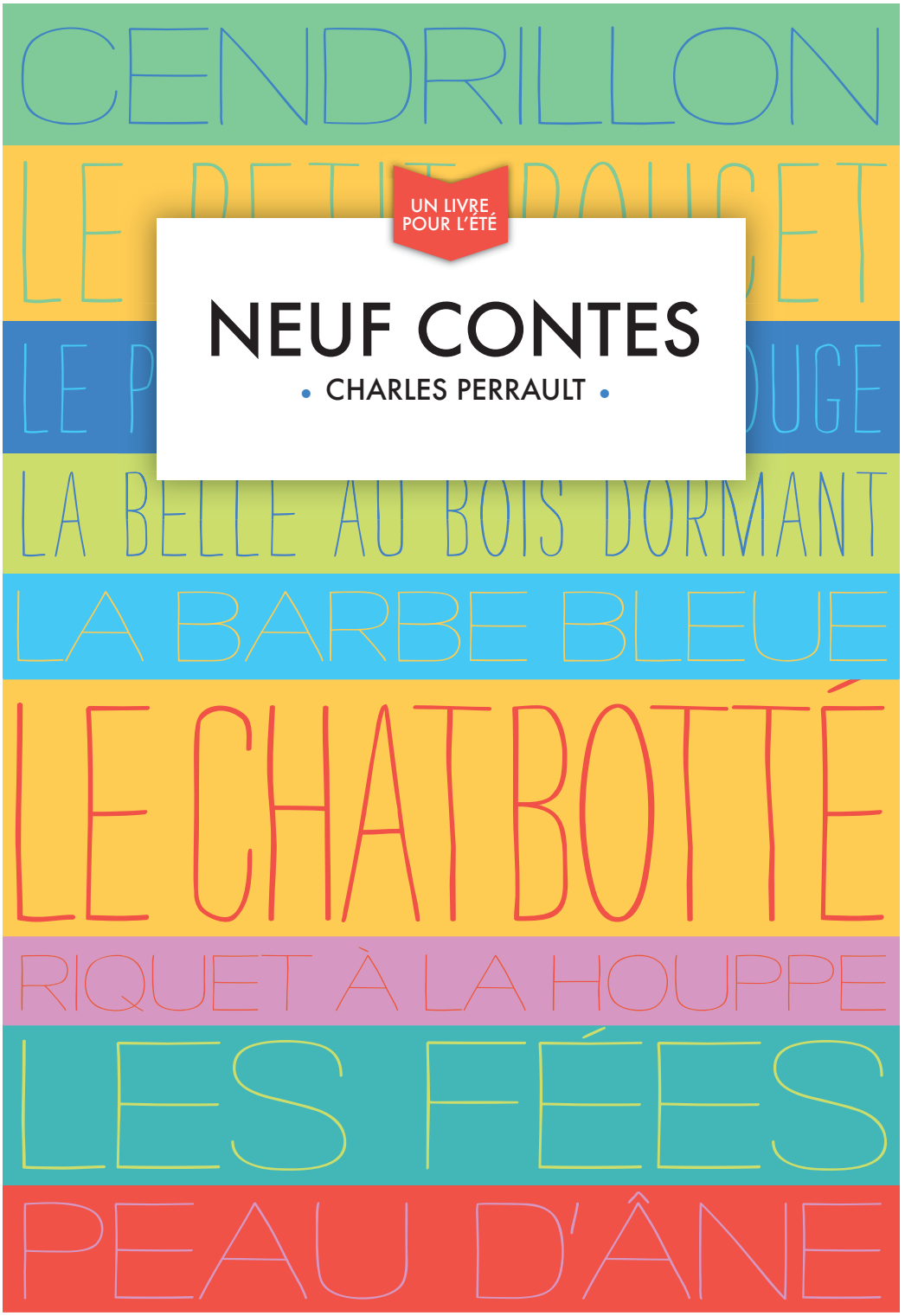
Il arrive que Perrault cherche à imiter la voix du conteur et les procédés qu'on emploie pour raconter un conte aux petits enfants.

Ainsi neuf contes sur onze débutent par la fameuse formule « Il était une fois ».

L'oralité se marque par des répétitions et des formules d'insitance :

« Elle alla donc bien loin, bien loin, encor plus loin » (*Peau d'Âne)*

à suivre...



UN LIVRE POUR L'ÉTÉ

NEUF CONTES

• CHARLES PERRAULT •

UN LIVRE POUR L'ÉTÉ

NEUF CONTES

• CHARLES PERRAULT •

PRÉFACE

Pour sa deuxième édition, l'opération « Un livre pour l'été » se tourne vers le merveilleux.

L'an passé, 180 000 élèves de CM1 ont pu découvrir en fin d'année et tout au long de l'été des Fables de Jean de La Fontaine, magnifiquement illustrées par Marc Chagall.

Cette année, tous les élèves de CM1, soit plus de 800 000 élèves de France, vont pouvoir découvrir, lire, relire ce recueil de neuf contes de Charles Perrault, accompagnés d'images d'Épinal. L'École touche au cœur de sa mission, éducative mais aussi civique, quand elle fait partager un même ouvrage à toute une génération.

Symbole du lien entre l'École et les parents, ce livre sera remis aux élèves de CM1 au sein de l'institution scolaire. Mais c'est à la maison, en famille, qu'ils le liront tout au long des vacances, avant de retrouver, à la rentrée, le chemin de la classe et de partager, d'approfondir leurs impressions de lecture avec leurs professeurs, avec leurs camarades.

Avec ce « livre pour l'été », notre École affirme son attachement à la lecture. Elle n'a pas seulement pour mission d'apprendre à lire aux enfants de la République. Son rôle est aussi de leur faire partager, pour la vie, le goût de la lecture, le respect des livres, le plaisir des mots et la passion du texte. Donner envie de lire, inciter à la réflexion, inviter l'esprit à s'évader au fil des pages, faire comprendre à chaque élève que la lecture ne s'arrête pas aux portes de l'École, voilà la noble mission à laquelle s'attachent les professeurs dans chacune de nos écoles. Et c'est précisément pour les accompagner dans cette mission qu'en 2011 cette opération est reconduite avec la remise à toute une génération d'écoliers d'un livre pour l'été, un livre qu'ils emporteront chez eux, un beau livre qu'ils garderont.

Avec ce « livre pour l'été », grâce à la plume de Perrault et à celle des illustrateurs d'Épinal, les classiques de l'enfance sont une nouvelle fois mis à l'honneur. Ils incarnent ce patrimoine littéraire que nous avons reçu en héritage et que nous devons transmettre à notre tour. Nous y sommes d'autant plus attachés que, depuis des générations, l'École et les familles ont su allier leurs forces pour le faire découvrir et aimer aux jeunes générations. En réaffirmant cette mission, l'École réaffirme l'intemporalité du plaisir de lire. Un plaisir intime et partagé, qui doit être pour nos enfants un premier pas dans le monde de la littérature, un appel à la découverte, une invitation à se tourner vers les grands textes et vers toutes les formes de littérature.

Avec ce « livre pour l'été », c'est donc un classique de l'enfance, mais aussi un texte profondément moderne que vont découvrir les écoliers de France. Perrault n'est-il pas le premier de nos Modernes, lui qui sut s'emparer de la prose pour retranscrire des récits populaires et en dégager toute la portée symbolique et éducative ? Car n'oublions pas que c'est dans une perspective pédagogique, à destination d'abord de ses enfants, qu'il écrivit ses *Contes de ma mère l'oye*. Dans une langue simple mais travaillée, il sut y marier l'instruire et le plaire de la plus réussie des manières et faire de ses contes bien plus que des « bagatelles » : des leçons, renfermant « une morale utile » dans « un récit enjoué […] choisi pour les faire entrer plus agréablement dans l'esprit et d'une manière qui instruisît et divertît tout ensemble » (préface des *Contes en vers*).

La force de ce désormais classique mais indémodable conteur a considérablement et durablement influencé notre littérature et notre imaginaire. Tout le monde croit aujourd'hui connaître ses *Contes* mais peu en connaissent la version première. C'est à ce voyage vers le texte originel, vers des histoires d'une grande profondeur et des récits d'une immense richesse, que nous invitons tous nos écoliers de CM1 cette année.

En cette fin d'année scolaire, à l'orée des vacances, je souhaite donc beaucoup de plaisir aux élèves de CM1 qui vont lire ces contes, mais aussi à tous ceux qui vont redécouvrir avec eux, la profonde modernité de l'œuvre de Charles Perrault.

Luc Chatel,
Ministre de l'éducation nationale,
de la jeunesse et de la vie associative

SOMMAIRE

9 **LE PETIT CHAPERON ROUGE**

15 **LE PETIT POUCET**

29 **LA BELLE AU BOIS DORMANT**

43 **CENDRILLON,**
OU LA PETITE PANTOUFLE DE VERRE

55 **LE MAÎTRE CHAT, OU LE CHAT BOTTÉ**

65 **RIQUET À LA HOUPPE**

77 **PEAU D'ÂNE**

107 **LES FÉES**

113 **LA BARBE BLEUE**

123 **POUR EN SAVOIR PLUS**

QUI EST L'AUTEUR
DES CONTES DE PERRAULT ? **124**

LES IMAGES DES CONTES **130**

1

LE PETIT CHAPERON ROUGE



IL ÉTAIT UNE FOIS...

... une petite fille de village, la plus jolie qu'on eût su voir ; sa mère en était folle, et sa mère-grand plus folle encore. Cette bonne femme lui fit faire un petit chaperon[1] rouge, qui lui seyait[2] si bien, que partout on l'appelait le petit Chaperon rouge. Un jour, sa mère ayant cuit et fait des galettes, lui dit : « Va voir comme se porte ta mère-grand, car on m'a dit qu'elle était malade, porte-lui une galette et ce petit pot de beurre. » Le petit Chaperon rouge partit aussitôt pour aller chez sa mère-grand, qui demeurait dans un autre village. En passant dans un bois, elle rencontra compère le Loup, qui eut bien envie de la manger ; mais il n'osa, à cause de quelques bûcherons qui étaient dans la forêt. Il lui demanda où elle allait ; la pauvre enfant, qui ne savait pas qu'il est dangereux de s'arrêter à écouter un loup, lui dit : « Je vais voir ma mère-grand, et lui porter une galette avec un petit pot de beurre que ma mère lui envoie. – Demeure-t-elle bien loin ? lui dit le Loup. – Oh ! oui, dit le petit Chaperon rouge, c'est par-delà le moulin que vous voyez tout là-bas, là-bas, à la première maison du village. – Eh bien, dit le Loup, je veux l'aller voir aussi ;

1. Ancienne coiffure enveloppant la tête et tombant sur les épaules (capuchon).
2. Allait.

je m'y en vais par ce chemin-ici, et toi par ce chemin-là, et nous verrons qui plus tôt y sera. »

Le Loup se mit à courir de toute sa force par le chemin qui était le plus court, et la petite fille s'en alla par le chemin le plus long, s'amusant à cueillir des noisettes, à courir après des papillons, et à faire des bouquets des petites fleurs qu'elle rencontrait.

Le Loup ne fut pas longtemps à arriver à la maison de la mère-grand ; il heurte[3] : Toc, toc. « Qui est là ? – C'est votre fille le petit Chaperon rouge (dit le Loup, en contrefaisant sa voix) qui vous apporte une galette et un petit pot de beurre que ma mère vous envoie. » La bonne mère-grand, qui était dans son lit à cause qu'elle se trouvait un peu mal, lui cria : « Tire la chevillette[4], la bobinette[5] cherra[6]. »

Le Loup tira la chevillette et la porte s'ouvrit. Il se jeta sur la bonne femme, et la dévora en moins de rien ; car il y avait plus de trois jours qu'il n'avait mangé. Ensuite il ferma la porte, et s'alla coucher dans le lit de la mère-grand, en attendant le petit Chaperon rouge, qui quelque temps après vint heurter à la porte : toc, toc. « Qui est là ? »

Le petit Chaperon rouge, qui entendit la grosse voix du Loup eut peur d'abord, mais croyant que sa mère-grand était enrhumée, répondit : « C'est votre fille le petit Chaperon rouge, qui vous apporte une galette et un petit pot de beurre que ma mère vous envoie. »

Le Loup lui cria, en adoucissant, un peu sa voix : « Tire la chevillette, la bobinette cherra. » Le petit Chaperon rouge tira la chevillette, et la porte s'ouvrit. Le Loup, la voyant entrer, lui dit en se cachant dans le lit sous la couverture : « Mets la galette et le petit pot de beurre sur la huche, et viens te coucher avec moi. » Le petit Chaperon rouge se déshabille, et va se mettre dans le lit, où elle fut bien étonnée de voir

3. Il frappe.
4. Petite cheville en bois ou métal utilisée pour boucher un trou.
5. Loquet de la porte fixé, bloqué par la cheville.
6. Futur du verbe choir, tomber.



comment sa mère-grand était faite en son déshabillé[7]. Elle lui dit : « Ma mère-grand, que vous avez de grands bras ! – C'est pour mieux t'embrasser, ma fille. – Ma mère-grand, que vous avez de grandes jambes ! – C'est pour mieux courir, mon enfant. – Ma mère-grand, que vous avez de grandes oreilles ! – C'est pour mieux écouter, mon enfant. – Ma mère-grand, que vous avez de grands yeux ! – C'est pour mieux voir, mon enfant. – Ma mère-grand, que vous avez de grandes dents ! – C'est pour te manger. »
Et en disant ces mots, ce méchant loup se jeta sur le petit Chaperon rouge, et la mangea.

MORALITÉ
On voit ici que de jeunes enfants,
Surtout de jeunes filles
Belles, bien faites, et gentilles[8],
Font très mal d'écouter toute sorte de gens,
Et que ce n'est pas chose étrange,
S'il en est tant que le loup mange.
Je dis le loup, car tous les loups
Ne sont pas de la même sorte ;
Il en est d'une humeur accorte,
Sans bruit, sans fiel et sans courroux,
Qui privés[9], complaisants et doux,
Suivent les jeunes demoiselles
Jusque dans les maisons, jusque dans les ruelles ;
Mais hélas ! qui ne sait que ces loups doucereux,
De tous les loups sont les plus dangereux.

7. Robe d'intérieur, vêtement de nuit.
8. Jolies.
9. Familiers.

2

LE PETIT POUCET



IL ÉTAIT UNE FOIS...

... un bûcheron et une bûcheronne qui avaient sept enfants, tous garçons ; l'aîné n'avait que dix ans et le plus jeune n'en avait que sept. On s'étonnera que le bûcheron ait eu tant d'enfants en si peu de temps ; mais c'est que sa femme allait vite en besogne, et n'en faisait pas moins de deux à la fois.

Ils étaient fort pauvres, et leurs sept enfants les incommodaient[1] beaucoup, parce qu'aucun d'eux ne pouvait encore gagner sa vie. Ce qui les chagrinait encore, c'est que le plus jeune était fort délicat et ne disait mot ; prenant pour bêtise ce qui était une marque de la bonté de son esprit. Il était fort petit, et quand il vint au monde, il n'était guère plus grand que le pouce, ce qui fit qu'on l'appela le petit Poucet.

Ce pauvre enfant était le souffre-douleur de la maison, et on lui donnait toujours tort. Cependant il était le plus fin et le plus avisé de tous ses frères, et s'il parlait peu, il écoutait beaucoup.

Il vint une année très fâcheuse, et la famine fut si grande, que ces pauvres gens résolurent de se défaire de leurs enfants. Un soir que ces enfants étaient couchés, et que le bûcheron était auprès du feu avec sa femme, il lui dit le cœur serré de douleur : « Tu vois bien que nous

1. Embarrassaient.

ne pouvons plus nourrir nos enfants ; je ne saurais les voir mourir de faim devant mes yeux, et je suis résolu d'aller les perdre demain au bois, ce qui sera bien aisé : car tandis qu'ils s'amuseront à fagoter[2] , nous n'avons qu'à nous enfuir sans qu'ils nous voient. – Ah ! s'écria la bûcheronne, pourrais-tu bien toi-même mener perdre tes enfants ? » Son mari avait beau lui représenter[3] leur grande pauvreté, elle ne pouvait y consentir ; elle était pauvre, mais elle était leur mère. Cependant ayant considéré quelle douleur ce lui serait de les voir mourir de faim, elle y consentit, et alla se coucher en pleurant.

Le petit Poucet ouït tout ce qu'ils dirent : car, ayant entendu de son lit qu'ils parlaient d'affaires, il s'était levé doucement, et s'était glissé sous l'escabelle de son père pour les écouter sans être vu. Il alla se recoucher et ne dormit point du reste de la nuit, songeant à ce qu'il avait à faire. Il se leva de bon matin, et alla au bord d'un ruisseau où il emplit ses poches de petits cailloux blancs, et ensuite revint à la maison. On partit, et le petit Poucet ne découvrit rien de tout ce qu'il savait à ses frères.

Ils allèrent dans une forêt fort épaisse, où, à dix pas de distance, on ne se voyait pas l'un l'autre. Le bûcheron se mit à couper du bois et ses enfants à ramasser des broutilles pour faire des fagots. Le père et la mère, les voyant occupés à travailler, s'éloignèrent d'eux insensiblement, et puis s'enfuirent tout à coup par un petit sentier détourné.

Lorsque ces enfants se virent seuls, ils se mirent à crier et à pleurer de toute leur force. Le petit Poucet les laissait crier, sachant bien par où il reviendrait à la maison : car, en marchant il avait laissé tomber le long du chemin les petits cailloux blancs qu'il avait dans ses poches. Il leur dit donc : « Ne craignez point, mes frères ; mon père et ma mère nous ont laissés ici, mais je vous ramènerai bien au logis : suivez-moi seulement. » Ils le suivirent, et il les mena jusqu'à leur maison par

2. Mettre le bois en fagots.
3. Exposer.

le même chemin qu'ils étaient venus dans la forêt. Ils n'osèrent d'abord entrer, mais ils se mirent tous contre la porte pour écouter ce que disaient leur père et leur mère.

Dans le moment que le bûcheron et la bûcheronne arrivèrent chez eux, le seigneur du village leur envoya dix écus, qu'il leur devait il y avait longtemps, et dont ils n'espéraient plus rien. Cela leur redonna la vie, car les pauvres gens mouraient de faim. Le bûcheron envoya sur l'heure sa femme à la boucherie. Comme il y avait longtemps qu'ils n'avaient mangé, elle acheta trois fois plus de viande qu'il n'en fallait pour le souper de deux personnes. Lorsqu'ils furent rassasiés, la bûcheronne dit : « Hélas ! où sont maintenant nos pauvres enfants ? Ils feraient bonne chère de ce qui nous reste là. Mais aussi, Guillaume, c'est toi qui les as voulu perdre. J'avais bien dit que nous nous en repentirions. Que font-ils maintenant dans cette forêt ? Hélas ! mon Dieu, les loups les ont peut-être déjà mangés ! Tu es bien inhumain d'avoir perdu ainsi tes enfants. » Le bûcheron s'impatienta à la fin : car elle redit plus de vingt fois qu'il s'en repentirait et qu'elle l'avait bien dit. Il la menaça de la battre si elle ne se taisait. Ce n'est pas que le bûcheron ne fût peut-être encore plus fâché que sa femme, mais c'est qu'elle lui rompait la tête, et qu'il était de l'humeur de beaucoup d'autres gens, qui aiment fort les femmes qui disent bien, mais qui trouvent très importunes celles qui ont toujours bien dit. La bûcheronne était toute en pleurs : « Hélas ! où sont maintenant mes enfants, mes pauvres enfants ? » Elle le dit une fois si haut que les enfants, qui étaient à la porte, l'ayant entendu, se mirent à crier tous ensemble : « Nous voilà, nous voilà. » Elle courut vite leur ouvrir la porte, et leur dit en les embrassant : « Que je suis contente de vous revoir, mes chers enfants ! Vous êtes bien las, vous avez bien faim ; et toi, Pierrot, comme te voilà crotté, viens, que je te débarbouille. » Ce Pierrot était son fils aîné qu'elle aimait plus que tous les autres, parce qu'il était un peu rousseau, et qu'elle était un peu rousse.



Ils se mirent à table, et mangèrent d'un appétit qui faisait plaisir au père et à la mère, à qui ils racontaient la peur qu'ils avaient eue dans la forêt en parlant presque toujours tous ensemble. Ces bonnes gens étaient ravis de revoir leurs enfants avec eux, et cette joie dura tant que les dix écus durèrent. Mais lorsque l'argent fut dépensé, ils retombèrent dans leur premier chagrin, et résolurent de les perdre encore, et pour ne pas manquer leur coup, de les mener bien plus loin que la première fois.

Ils ne purent parler de cela si secrètement qu'ils ne fussent entendus par le petit Poucet, qui fit son compte de sortir d'affaire comme il avait déjà fait ; mais quoiqu'il se fût levé de bon matin pour aller ramasser des petits cailloux, il ne put en venir à bout, car il trouva la porte de la maison fermée à double tour. Il ne savait que faire, lorsque, la bûcheronne leur ayant donné à chacun un morceau de pain pour leur déjeuner, il songea qu'il pourrait se servir de son pain au lieu de cailloux en le jetant par miettes le long des chemins où ils passeraient ; il le serra donc dans sa poche.

Le père et la mère les menèrent dans l'endroit de la forêt le plus épais et le plus obscur, et dès qu'ils y furent, ils gagnèrent un faux-fuyant et les laissèrent là. Le petit Poucet ne s'en chagrina pas beaucoup, parce qu'il croyait retrouver aisément son chemin grâce à son pain qu'il avait semé partout où il avait passé ; mais il fut bien surpris lorsqu'il ne put en retrouver une seule miette ; les oiseaux étaient venus, qui avaient tout mangé.

Les voilà donc bien affligés, car plus ils s'égaraient, plus ils s'enfonçaient dans la forêt. La nuit vint, et il s'éleva un grand vent qui leur faisait des peurs épouvantables. Ils croyaient n'entendre de tous côtés que des hurlements de loups qui venaient à eux pour les manger. Ils n'osaient presque se parler ni tourner la tête. Il survint une grosse pluie qui les perça jusqu'aux os ; ils glissaient à chaque pas, tombaient dans la boue, d'où ils se relevaient tout crottés, ne sachant que faire de leurs mains.

Le petit Poucet grimpa au haut d'un arbre, pour voir s'il ne découvrirait rien : ayant tourné la tête de tous côtés, il vit une petite lueur comme une chandelle, mais qui était bien loin par-delà la forêt. Il descendit de l'arbre ; et lorsqu'il fut à terre, il ne vit plus rien : cela le désola. Cependant, ayant marché quelque temps avec ses frères du côté qu'il avait vu la lumière, il la revit en sortant du bois.

Ils arrivèrent enfin à la maison où était cette chandelle, non sans bien des frayeurs : car souvent ils la perdaient de vue ; ce qui leur arrivait toutes les fois qu'ils descendaient dans quelque fond. Ils frappèrent à la porte, et une bonne femme vint leur ouvrir. Elle leur demanda ce qu'ils voulaient. Le petit Poucet lui dit qu'ils étaient de pauvres enfants qui s'étaient perdus dans la forêt, et qui demandaient à coucher par charité. Cette femme, les voyant tous si jolis, se mit à pleurer, et leur dit : « Hélas ! mes pauvres enfants, où êtes-vous venus ! Savez-vous bien que c'est ici la maison d'un ogre qui mange les petits enfants ? – Hélas ! Madame, lui répondit le petit Poucet, qui tremblait de toute sa force aussi bien que ses frères, que ferons-nous ? Il est bien sûr que les loups de la forêt ne manqueront pas de nous manger cette nuit, si vous ne voulez pas nous retirer chez vous. Et cela étant, nous aimons mieux que ce soit monsieur qui nous mange ; peut-être qu'il aura pitié de nous, si vous voulez bien l'en prier. »

La femme de l'Ogre, qui crut qu'elle pourrait les cacher à son mari jusqu'au lendemain matin, les laissa entrer, et les mena se chauffer auprès d'un bon feu, car il y avait un mouton tout entier à la broche pour le souper de l'ogre.

Comme ils commençaient à se chauffer, ils entendirent heurter trois ou quatre grands coups à la porte : c'était l'Ogre qui revenait. Aussitôt sa femme les fit cacher sous le lit, et alla ouvrir la porte. L'Ogre demanda d'abord si le souper était prêt, et si on avait tiré du vin, et aussitôt il se mit à table. Le mouton était encore tout sanglant, mais il ne lui en sembla que meilleur. Il reniflait à droite et à gauche, disant

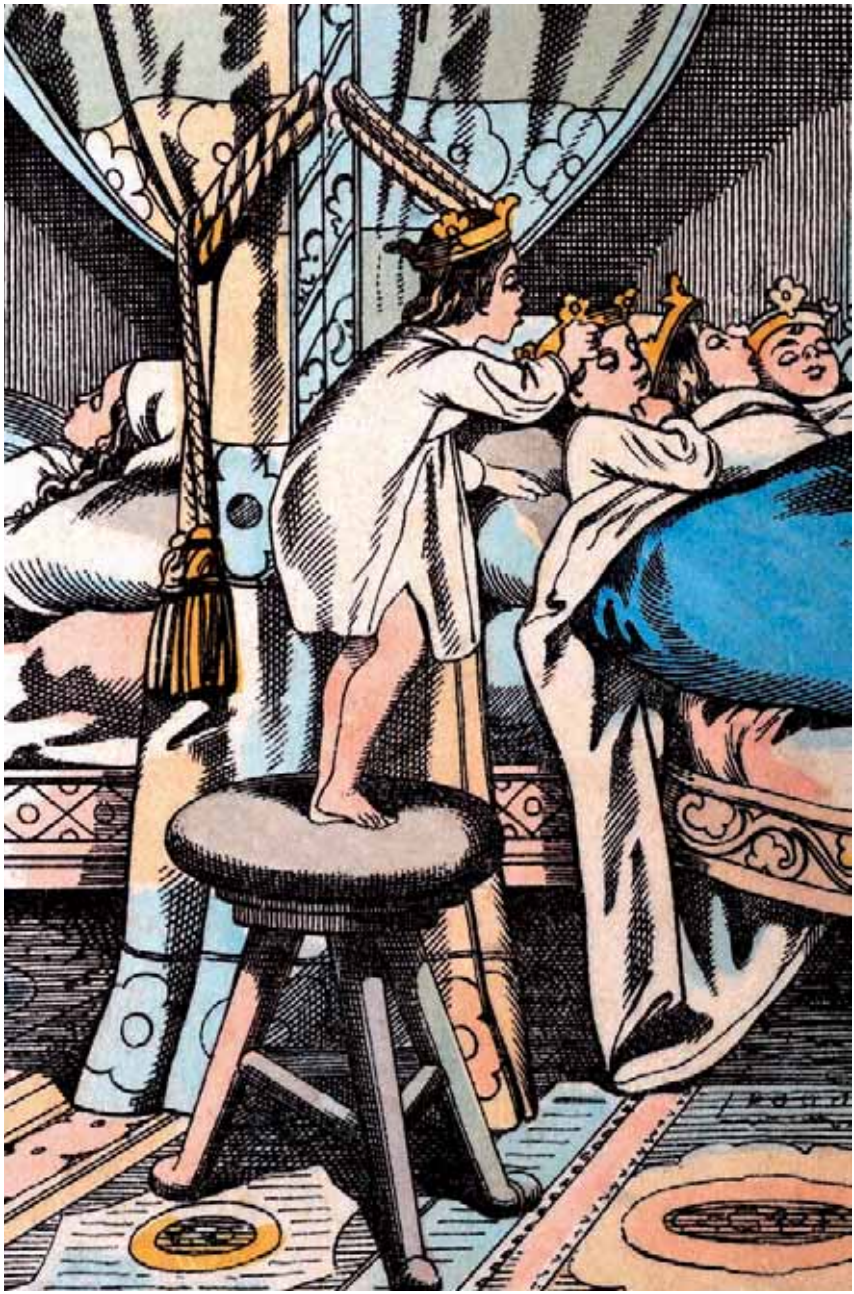
qu'il sentait la chair fraîche. « Il faut, lui dit sa femme, que ce soit ce veau que je viens d'habiller que vous sentez – Je sens la chair fraîche, te dis-je encore une fois, reprit l'Ogre en regardant sa femme de travers, et il y a ici quelque chose que je n'entends pas. » En disant ces mots, il se leva de table, et alla droit au lit.

« Ah ! dit-il, voilà donc comme tu veux me tromper, maudite femme ! Je ne sais à quoi il tient que je ne te mange aussi : bien t'en prend d'être une vieille bête. Voilà du gibier qui me vient bien à propos pour traiter trois ogres de mes amis qui doivent me venir voir ces jours ici. »

Il les tira de dessous le lit l'un après l'autre. Ces pauvres enfants se mirent à genoux en lui demandant pardon ; mais ils avaient affaire au plus cruel de tous les ogres, qui bien loin d'avoir de la pitié, les dévorait déjà des yeux, et disait à sa femme que ce serait là de friands morceaux, lorsqu'elle leur aurait fait une bonne sauce.

Il alla prendre un grand couteau, et en s'approchant de ces pauvres enfants, il l'aiguisait sur une longue pierre qu'il tenait à sa main gauche. Il en avait déjà empoigné un, lorsque sa femme lui dit : « Que voulez-vous faire à l'heure qu'il est ? N'aurez-vous pas assez de temps demain? – Tais-toi , reprit l'Ogre, ils en seront plus mortifiés. – Mais vous avez encore là tant de viande, reprit sa femme, voilà un veau, deux moutons et la moitié d'un cochon ! – Tu as raison, dit l'Ogre, donne-leur bien à souper afin qu'ils ne maigrissent pas, et va les mener coucher. » La bonne femme fut ravie de joie, et leur porta bien à souper, mais ils ne purent manger tant ils étaient saisis de peur. Quant à l'Ogre, il se remit à boire, ravi d'avoir de quoi si bien régaler ses amis. Il but une douzaine de coups de plus qu'à l'ordinaire ; ce qui lui donna un peu mal à la tête, et l'obligea à aller se coucher.

L'Ogre avait sept filles, qui n'étaient encore que des enfants. Ces petites ogresses avaient toutes le teint fort beau, parce qu'elles mangeaient de la chair fraîche comme leur père ; mais elles avaient de petits yeux gris et tout ronds, le nez crochu et une fort grande bouche, avec de longues



dents fort aiguës et fort éloignées l'une de l'autre. Elles n'étaient pas encore fort méchantes ; mais elles promettaient beaucoup, car elles mordaient déjà les petits enfants pour en sucer le sang.
On les avait fait coucher de bonne heure, et elles étaient toutes sept dans un grand lit, ayant chacune une couronne d'or sur la tête. Il y avait dans la même chambre un autre lit de la même grandeur : ce fut dans ce lit que la femme de l'Ogre mit coucher les sept petits garçons ; après quoi elle alla se coucher auprès de son mari.
Le petit Poucet, qui avait remarqué que les filles de l'Ogre avaient des couronnes d'or sur la tête, et qui craignait qu'il ne prît à l'Ogre quelque remords de ne les avoir pas égorgés dès le soir même, se leva vers le milieu de la nuit, et prenant les bonnets de ses frères et le sien, il alla tout doucement les mettre sur la tête des sept filles de l'Ogre, après leur avoir ôté leurs couronnes d'or qu'il mit sur la tête de ses frères et sur la sienne, afin que l'Ogre les prît pour ses filles, et ses filles pour les garçons qu'il voulait égorger. La chose réussit comme il l'avait pensé ; car l'Ogre, s'étant éveillé vers minuit, eut regret d'avoir différé au lendemain ce qu'il pouvait exécuter la veille. Il se jeta donc brusquement hors du lit, et prenant son grand couteau : « Allons voir, dit-il, comment se portent nos petits drôles ; n'en faisons pas à deux fois. »
Il monta donc à tâtons à la chambre de ses filles et s'approcha du lit où étaient les petits garçons, qui dormaient tous, excepté le petit Poucet, qui eut bien peur lorsqu'il sentit la main de l'Ogre qui lui tâtait la tête, comme il avait tâté celles de tous ses frères. L'Ogre, qui sentit les couronnes d'or : « Vraiment, dit-il, j'allais faire là un bel ouvrage ; je vois bien que j'ai trop bu hier soir. » Il alla ensuite au lit de ses filles où, ayant senti les petits bonnets des garçons : « Ah ! les voilà, dit-il, nos gaillards ; travaillons hardiment. » En disant ces mots, il coupa sans hésiter la gorge à ses sept filles. Fort content de ce coup, il alla se recoucher auprès de sa femme. Aussitôt que le petit Poucet entendit ronfler l'Ogre, il réveilla ses frères, et leur dit de

s'habiller promptement et de le suivre. Ils descendirent doucement dans le jardin, et sautèrent par-dessus les murailles. Ils coururent presque toute la nuit, toujours en tremblant, et sans savoir où ils allaient.

L'Ogre, s'étant éveillé, dit à sa femme : « Va-t'en là-haut habiller ces petits drôles d'hier au soir. » L'ogresse fut fort étonnée de la bonté de son mari, ne se doutant point de la manière qu'il entendait qu'elle les habillât, et croyant qu'il lui ordonnait de les aller vêtir, elle monta en haut où elle fut bien surprise lorsqu'elle aperçut ses sept filles égorgées et nageant dans leur sang.

Elle commença par s'évanouir (car c'est le premier expédient que trouvent presque toutes les femmes en pareilles rencontres). L'Ogre, craignant que sa femme ne fût trop longtemps à faire la besogne dont il l'avait chargée, monta en haut pour l'aider. Il ne fut pas moins étonné que sa femme lorsqu'il vit cet affreux spectacle. « Ah ! qu'ai-je fait là ? s'écria-t-il. Ils me le paieront, les malheureux, et tout à l'heure. »

Il jeta aussitôt une potée d'eau dans le nez de sa femme, et l'ayant fait revenir : « Donne-moi vite mes bottes de sept lieues, lui dit-il, afin que j'aille les attraper. » Il se mit en campagne ; et après avoir couru de tous côtés, enfin il entra dans le chemin où marchaient les pauvres enfants qui n'étaient plus qu'à cent pas du logis de leur père. Ils virent l'Ogre qui allait de montagne en montagne, et qui traversait des rivières aussi aisément qu'il aurait fait le moindre ruisseau. Le petit Poucet, qui vit un rocher creux proche le lieu où ils étaient, y fit cacher ses frères, et s'y fourra aussi, regardant toujours ce que l'Ogre deviendrait. L'Ogre, qui se trouvait fort las du long chemin qu'il avait fait inutilement (car les bottes de sept lieues fatiguent fort leur homme), voulut se reposer et par hasard, il alla s'asseoir sur la roche où les petits garçons s'étaient cachés.

Comme il n'en pouvait plus de fatigue, il s'endormit après s'être reposé quelque temps, et vint à ronfler si effroyablement que les pauvres

enfants n'eurent pas moins de peur que quand il tenait son grand couteau pour leur couper la gorge. Le petit Poucet en eut moins de peur, et dit à ses frères de s'enfuir promptement à la maison, pendant que l'Ogre dormait bien fort, et qu'ils ne se missent point en peine de lui. Ils crurent son conseil, et gagnèrent vite la maison.
Le petit Poucet, s'étant approché de l'Ogre, lui tira doucement les bottes, et les mit aussitôt. Les bottes étaient bien grandes et bien larges ; mais comme elles étaient fées, elles avaient le don de s'agrandir et de se rapetisser selon la jambe de celui qui les chaussait, de sorte qu'elles se trouvèrent aussi justes à ses pieds et à ses jambes que si elles avaient été faites pour lui. Il alla droit à la maison de l'Ogre où il trouva sa femme qui pleurait auprès de ses filles égorgées. « Votre mari, lui dit le petit Poucet, est en grand danger : car il a été pris par une troupe de voleurs qui ont juré de le tuer s'il ne leur donne tout son or et tout son argent. Au moment où ils lui tenaient le poignard sur la gorge, il m'a aperçu et m'a prié de vous venir avertir de l'état où il est, et de vous dire de me donner tout ce qu'il a vaillant sans en rien retenir, parce qu'autrement ils le tueront sans miséricorde. Comme la chose presse beaucoup, il a voulu que je prisse ses bottes de sept lieues que voilà pour faire diligence, et aussi afin que vous ne croyiez pas que je sois un menteur. »
La bonne femme, fort effrayée, lui donna aussitôt tout ce qu'elle avait : car cet ogre ne laissait pas d'être fort bon mari, quoiqu'il mangeât les petits enfants. Le petit Poucet étant donc chargé de toutes les richesses de l'Ogre, s'en revint au logis de son père, où il fut reçu avec bien de la joie.

Il y a bien des gens qui ne demeurent pas d'accord de cette dernière circonstance, et qui prétendent que le petit Poucet n'a jamais fait ce vol à l'Ogre ; qu'à la vérité, il n'avait pas fait conscience de lui prendre ses bottes de sept lieues, parce qu'il ne s'en servait que pour courir après

les petits enfants. Ces gens-là assurent le savoir de bonne part, et même pour avoir bu et mangé dans la maison du bûcheron. Ils assurent que lorsque le petit Poucet eut chaussé les bottes de l'Ogre, il s'en alla à la cour, où il savait qu'on était fort en peine d'une armée qui était à deux cents lieues de là, et du succès d'une bataille qu'on avait donnée. Il alla, disent-ils, trouver le roi, et lui dit que s'il le souhaitait, il lui rapporterait des nouvelles de l'armée avant la fin du jour. Le roi lui promit une grosse somme d'argent s'il en venait à bout. Le petit Poucet rapporta des nouvelles dès le soir même, et cette première course l'ayant fait connaître, il gagnait tout ce qu'il voulait ; car le roi le payait parfaitement bien pour porter ses ordres à l'armée, et une infinité de dames lui donnaient tout ce qu'il voulait pour avoir des nouvelles de leurs amants, et ce fut là son plus grand gain.

Il se trouvait quelques femmes qui le chargeaient de lettres pour leurs maris ; mais elles le payaient si mal, et cela allait à si peu de chose, qu'il ne daignait pas mettre en ligne de compte ce qu'il gagnait de ce côté-là. Après avoir fait pendant quelque temps le métier de courrier, et y avoir amassé beaucoup de bien, il revint chez son père, où il n'est pas possible d'imaginer la joie qu'on eut de le revoir. Il mit toute sa famille à l'aise. Il acheta des offices de nouvelle création pour son père et pour ses frères ; et par là il les établit tous, et fit parfaitement bien sa cour en même temps.

MORALITÉ

On ne s'afflige point d'avoir beaucoup d'enfants,
Quand ils sont tous beaux, bien faits et bien grands,
Et d'un extérieur qui brille ;
Mais si l'un d'eux est faible ou ne dit mot,
On le méprise, on le raille, on le pille ;
Quelquefois cependant c'est ce petit marmot.
Qui fera le bonheur de toute la famille.

3

LA BELLE AU BOIS DORMANT



IL ÉTAIT UNE FOIS...

... un roi et une reine qui étaient si fâchés de n'avoir point d'enfants, si fâchés qu'on ne saurait dire. Ils allèrent à toutes les eaux du monde ; vœux, pèlerinages, menues dévotions, tout fut mis en œuvre, et rien n'y faisait.

Enfin pourtant la reine devint grosse, et accoucha d'une fille : on fit un beau baptême ; on donna pour marraines à la petite princesse toutes les fées qu'on pût trouver dans le pays (il s'en trouva sept), afin que chacune d'elles lui faisant un don, comme c'était la coutume des fées en ce temps-là, la princesse eût par ce moyen toutes les perfections imaginables.

Après les cérémonies du baptême toute la compagnie revint au palais du roi, où il y avait un grand festin pour les fées. On mit devant chacune d'elles un couvert magnifique, avec un étui d'or massif, où il y avait une cuiller, une fourchette, et un couteau de fin or, garni de diamants et de rubis. Mais comme chacun prenait sa place à table, on vit entrer une vieille fée qu'on n'avait point priée parce qu'il y avait plus de cinquante ans qu'elle n'était sortie d'une tour et qu'on la croyait morte, ou enchantée. Le roi lui fit donner un couvert, mais il n'y eut pas moyen de lui donner un étui d'or massif, comme aux autres, parce que l'on n'en avait fait faire que sept pour les sept fées.

La vieille crut qu'on la méprisait, et grommela quelques menaces entre ses dents. Une des jeunes fées qui se trouva auprès d'elle l'entendit, et jugeant qu'elle pourrait donner quelque fâcheux[1] don à la petite princesse, alla dès qu'on fut sorti de table se cacher derrière la tapisserie, afin de parler la dernière, et de pouvoir réparer autant qu'il lui serait possible le mal que la vieille aurait fait.

Cependant les fées commencèrent à faire leurs dons à la princesse. La plus jeune donna pour don qu'elle serait la plus belle personne du monde, celle d'après qu'elle aurait de l'esprit comme un ange, la troisième qu'elle aurait une grâce admirable à tout ce qu'elle ferait, la quatrième qu'elle danserait parfaitement bien, la cinquième qu'elle chanterait comme un rossignol, et la sixième qu'elle jouerait de toutes sortes d'instruments dans la dernière perfection. Le rang de la vieille fée étant venu, elle dit, en branlant la tête encore plus de dépit que de vieillesse, que la princesse se percerait la main d'un fuseau[2], et qu'elle en mourrait.

Ce terrible don fit frémir toute la compagnie, et il n'y eut personne qui ne pleurât. Dans ce moment la jeune fée sortit de derrière la tapisserie, et dit tout haut ces paroles : « Rassurez-vous, roi et reine, votre fille n'en mourra pas : il est vrai que je n'ai pas assez de puissance pour défaire entièrement ce que mon ancienne a fait. La princesse se percera la main d'un fuseau ; mais au lieu d'en mourir, elle tombera seulement dans un profond sommeil qui durera cent ans, au bout desquels le fils d'un roi viendra la réveiller. »

Le roi, pour tâcher d'éviter le malheur annoncé par la vieille, fit publier aussitôt un édit, par lequel il défendait à toutes personnes de filer au fuseau, ni d'avoir des fuseaux chez soi sur peine de la vie.

Au bout de quinze ou seize ans, le roi et la reine étant allés à une de leurs maisons de plaisance, il arriva que la jeune princesse courant

1. Regrettable.
2. Petite pièce en bois cylindrique utilisée pour filer la laine.

un jour dans le château, et montant de chambre en chambre, alla jusqu'au haut d'un donjon dans un petit galetas[3], où une bonne vieille était seule à filer sa quenouille[4]. Cette bonne femme n'avait point ouï parler des défenses que le roi avait faites de filer au fuseau.

« Que faites-vous là, ma bonne femme ? dit la princesse. – Je file, ma belle enfant, lui répondit la vieille qui ne la connaissait pas. – Ah ! Que cela est joli, reprit la princesse, comment faites-vous ? Donnez-moi que je voie si j'en ferais bien autant. » Elle n'eut pas plus tôt pris le fuseau, que comme elle était fort vive, un peu étourdie, et que d'ailleurs l'arrêt des fées l'ordonnait ainsi, elle s'en perça la main, et tomba évanouie.

La bonne vieille, bien embarrassée, crie au secours : on vient de tous côtés, on jette de l'eau au visage de la princesse, on la délace, on lui frappe dans les mains, on lui frotte les tempes avec de l'eau de la reine de Hongrie, mais rien ne la faisait revenir. Alors, le roi, qui était monté au bruit, se souvint de la prédiction des fées, et jugeant bien qu'il fallait que cela arrivât, puisque les fées l'avaient dit, fit mettre la princesse dans le plus bel appartement du palais, sur un lit en broderie d'or et d'argent. On eût dit d'un ange, tant elle était belle ; car son évanouissement n'avait pas ôté les couleurs vives de son teint : ses joues étaient incarnates[5], et ses lèvres comme du corail ; elle avait seulement les yeux fermés, mais on l'entendait respirer doucement, ce qui faisait voir qu'elle n'était pas morte. Le roi ordonna qu'on la laissât dormir en repos, jusqu'à ce que son heure de se réveiller fût venue.

La bonne fée qui lui avait sauvé la vie, en la condamnant à dormir cent ans, était dans le royaume de Mataquin, à douze mille lieues de là, lorsque l'accident arriva à la princesse ; mais elle en fut avertie en un instant par un petit nain, qui avait des bottes de sept lieues (c'était des bottes avec lesquelles on faisait sept lieues d'une seule enjambée).

3. Grenier, pièce située sous les toits.
4. Bâton à l'extrémité duquel est enroulée la laine avant d'être filée.
5. D'un rouge vif.

La fée partit aussitôt, et on la vit au bout d'une heure arriver dans un chariot tout de feu, traîné par des dragons.

Le roi lui alla présenter la main[6] à la descente du chariot. Elle approuva tout ce qu'il avait fait ; mais comme elle était grandement prévoyante, elle pensa que quand la princesse viendrait à se réveiller, elle serait bien embarrassée toute seule dans ce vieux château : voici ce qu'elle fit. Elle toucha de sa baguette tout ce qui était dans ce château (hors le roi et la reine), gouvernantes, filles d'honneur, femmes de chambre, gentilshommes, officiers, maîtres d'hôtel, cuisiniers, marmitons, galopins[7], gardes, Suisses[8], pages, valets de pied ; elle toucha aussi tous les chevaux qui étaient dans les écuries, avec les palefreniers, les gros mâtins[9] de basse-cour et la petite Pouffe, petite chienne de la princesse, qui était auprès d'elle sur son lit. Dès qu'elle les eut touchés, ils s'endormirent tous, pour ne se réveiller qu'en même temps que leur maîtresse, afin d'être tout prêts à la servir quand elle en aurait besoin ; les broches mêmes qui étaient au feu toutes pleines de perdrix et de faisans s'endormirent, et le feu aussi. Tout cela se fit en un moment ; les fées n'étaient pas longues à leur besogne.

Alors le roi et la reine, après avoir baisé leur chère enfant sans qu'elle s'éveillât, sortirent du château, et firent publier des défenses à qui que ce soit d'en approcher. Ces défenses n'étaient pas nécessaires, car il crût dans un quart d'heure tout autour du parc une si grande quantité de grands arbres et de petits, de ronces et d'épines entrelacées les unes dans les autres, que bête ni homme n'y aurait pu passer : en sorte qu'on ne voyait plus que le haut des tours du château, encore n'était-ce que de bien loin. On ne

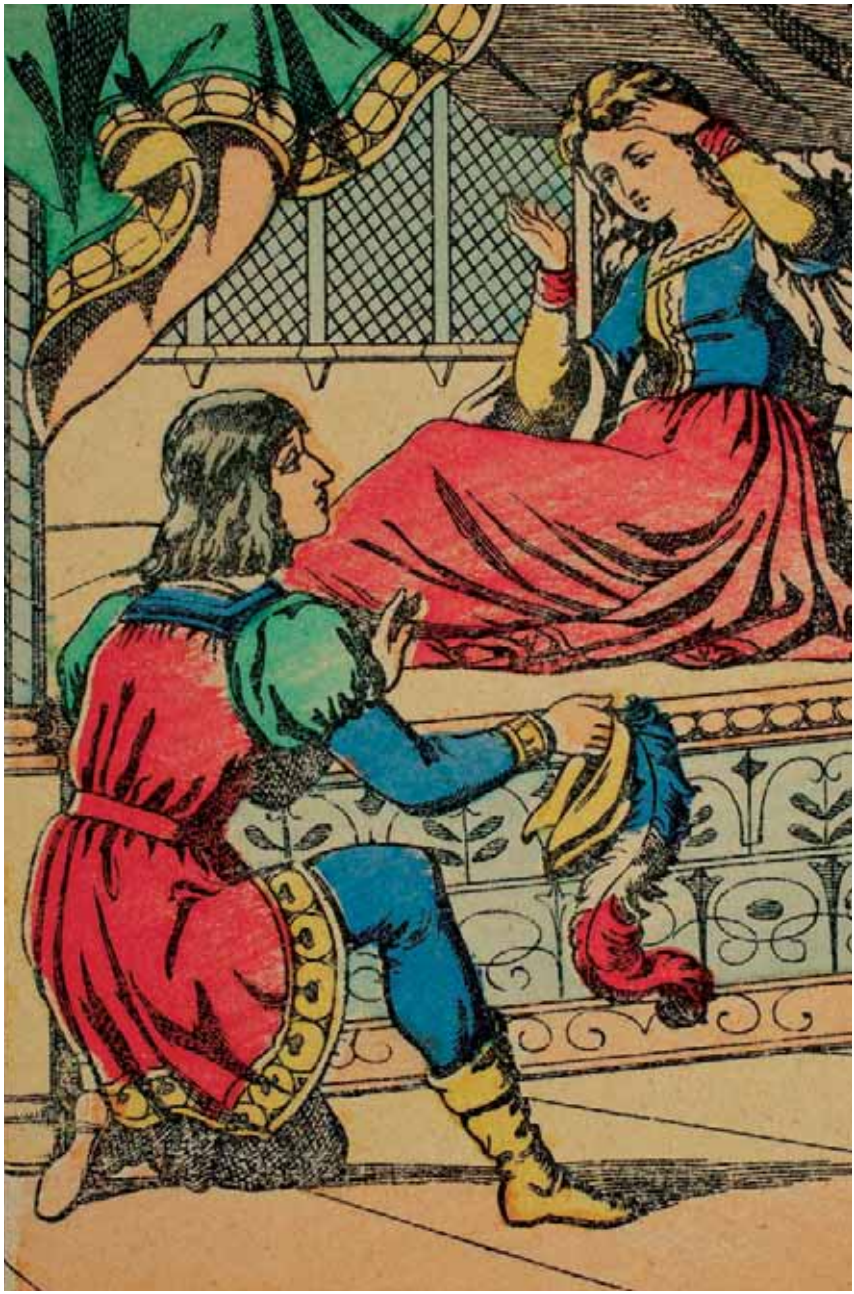
6. Présenter sa main pour aider une dame à se déplacer.
7. Jeunes commis de cuisine qui couraient là où on avait besoin d'eux.
8. Gardes.
9. Gros chiens.

douta point que la fée n'eût encore fait là un tour de son métier, afin que la princesse, pendant qu'elle dormirait, n'eût rien à craindre des curieux.

Au bout de cent ans, le fils du roi qui régnait alors, et qui était d'une autre famille que la princesse endormie, étant allé à la chasse de ce côté-là, demanda ce que c'était que ces tours qu'il voyait au-dessus d'un grand bois fort épais ; chacun lui répondit selon qu'il en avait ouï parler. Les uns disaient que c'était un vieux château où il revenait des esprits ; les autres que tous les sorciers de la contrée y faisaient leur sabbat[10]. La plus commune opinion était qu'un ogre y demeurait, et que là il emportait tous les enfants qu'il pouvait attraper, pour pouvoir les manger à son aise, et sans qu'on le pût suivre, ayant seul le pouvoir de se faire un passage au travers du bois. Le prince ne savait qu'en croire, lorsqu'un vieux paysan prit la parole, et lui dit : « Mon prince, il y a plus de cinquante ans que j'ai ouï dire à mon père qu'il y avait dans ce château une princesse, la plus belle du monde ; qu'elle y devait dormir cent ans, et qu'elle serait réveillée par le fils d'un roi, à qui elle était réservée. »

Le jeune prince, à ce discours, se sentit tout de feu ; il crut sans balancer[11] qu'il mettrait fin à une si belle aventure ; et poussé par l'amour et par la gloire, il résolut de voir sur-le-champ ce qui en était. À peine s'avança-t-il vers le bois, que tous ces grands arbres, ces ronces et ces épines s'écartèrent d'elles-mêmes pour le laisser passer : il marche vers le château qu'il voyait au bout d'une grande avenue où il entra, et ce qui le surprit un peu, il vit que personne de ses gens ne l'avait pu suivre, parce que les arbres s'étaient rapprochés dès qu'il avait été passé. Il ne laissa[12] pas de continuer son chemin : un prince jeune et amoureux est toujours vaillant. Il entra dans une

10. Assemblée nocturne de sorciers.
11. Hésiter.
12. Il ne cessa pas.



grande avant-cour où tout ce qu'il vit d'abord était capable de le glacer de crainte : c'était un silence affreux, l'image de la mort s'y présentait partout, et ce n'était que des corps étendus d'hommes et d'animaux, qui paraissaient morts. Il reconnut pourtant bien au nez bourgeonné[13] et à la face vermeille des Suisses, qu'ils n'étaient qu'endormis, et leurs tasses où il y avait encore quelques gouttes de vin montraient assez qu'ils s'étaient endormis en buvant.

Il passe une grande cour pavée de marbre, il monte l'escalier, il entre dans la salle des gardes qui étaient rangés en haie, la carabine sur l'épaule, et ronflant de leur mieux. Il traverse plusieurs chambres pleines de gentilshommes et de dames, dormant tous, les uns debout, les autres assis ; il entre dans une chambre toute dorée, et il vit sur un lit, dont les rideaux étaient ouverts de tous côtés, le plus beau spectacle qu'il eût jamais vu : une princesse qui paraissait avoir quinze ou seize ans, et dont l'éclat resplendissant avait quelque chose de lumineux et de divin. Il s'approcha en tremblant et en admirant, et se mit à genoux auprès d'elle.

Alors comme la fin de l'enchantement était venue, la princesse s'éveilla ; et le regardant avec des yeux plus tendres qu'une première vue ne semblait le permettre : « Est-ce vous, mon prince ? lui dit-elle, vous vous êtes bien fait attendre. »

Le prince charmé de ces paroles, et plus encore de la manière dont elles étaient dites, ne savait comment lui témoigner sa joie et sa reconnaissance ; il l'assura qu'il l'aimait plus que lui-même. Ses discours furent mal rangés ; ils en plurent davantage ; peu d'éloquence, beaucoup d'amour. Il était plus embarrassé qu'elle, et l'on ne doit pas s'en étonner ; elle avait eu le temps de songer à ce qu'elle aurait à lui dire, car il y a apparence (l'histoire n'en dit pourtant rien) que la bonne fée, pendant un si long sommeil,

13. Couvert de boutons.

lui avait procuré le plaisir des songes agréables. Enfin il y avait quatre heures qu'ils se parlaient, et ils ne s'étaient pas encore dit la moitié des choses qu'ils avaient à se dire.

Cependant tout le palais s'était réveillé avec la princesse ; chacun songeait à faire sa charge[14], et comme ils n'étaient pas tous amoureux, ils mouraient de faim ; la dame d'honneur, pressée comme les autres, s'impatienta, et dit tout haut à la princesse que la viande était servie. Le prince aida à la princesse à se lever ; elle était tout habillée et fort magnifiquement ; mais il se garda bien de lui dire qu'elle était habillée comme ma mère-grand, et qu'elle avait un collet monté[15], elle n'en était pas moins belle.

Ils passèrent dans un salon de miroirs, et y soupèrent, servis par les officiers de la princesse, les violons et les hautbois jouèrent de vieilles pièces, mais excellentes, quoiqu'il y eût près de cent ans qu'on ne les jouât plus ; et après souper, sans perdre de temps, le grand aumônier les maria dans la chapelle du château et la dame d'honneur leur tira le rideau ; ils dormirent peu, la princesse n'en avait pas grand besoin, et le prince la quitta dès le matin pour retourner à la ville, où son père devait être en peine de lui. Le prince lui dit qu'en chassant il s'était perdu dans la forêt, et qu'il avait couché dans la hutte d'un charbonnier, qui lui avait fait manger du pain noir et du fromage. Le roi son père, qui était bon homme, le crut, mais sa mère n'en fut pas bien persuadée, et voyant qu'il allait presque tous les jours à la chasse, et qu'il avait toujours une raison en main pour s'excuser, quand il avait couché deux ou trois nuits dehors, elle ne douta plus qu'il n'eût quelque amourette : car il vécut avec la princesse plus de deux ans entiers et en eut deux enfants, dont le premier qui fut une fille, fut nommée

14. Son travail.
15. Col haut.

l'Aurore, et le second un fils, qu'on nomma le Jour, parce qu'il paraissait encore plus beau que sa sœur.
La Reine dit plusieurs fois à son fils, pour le faire expliquer, qu'il fallait se contenter[16] dans la vie, mais il n'osa jamais se fier à elle de son secret ; il la craignait quoiqu'il l'aimât, car elle était de race ogresse, et le roi ne l'avait épousée qu'à cause de ses grands biens. On disait même tout bas à la cour qu'elle avait les inclinations des ogres et qu'en voyant passer de petits enfants, elle avait toutes les peines du monde à se retenir de se jeter sur eux : ainsi le prince ne voulut jamais rien dire. Mais quand le roi fut mort, ce qui arriva au bout de deux ans, et qu'il se vit maître, il déclara publiquement son mariage, et alla en grande cérémonie quérir[17] la reine sa femme dans son château. On lui fit une entrée[18] magnifique dans la ville capitale, où elle entra au milieu de ses deux enfants.
Quelque temps après, le roi alla faire la guerre à l'empereur Cantalabutte son voisin. Il laissa la régence du royaume à la reine sa mère, et lui recommanda fort sa femme et ses enfants : il devait être à la guerre tout l'été, et dès qu'il fut parti, la reine-mère envoya sa bru[19] et ses enfants à une maison de campagne dans les bois, pour pouvoir plus aisément assouvir son horrible envie. Elle y alla quelques jours après, et dit un soir à son maître d'hôtel : « Je veux manger demain à mon dîner la petite Aurore. – Ah ! madame, dit le maître d'hôtel. – Je le veux, dit la reine (et elle le dit d'un ton d'ogresse qui a envie de manger de la chair fraîche), et je la veux manger à la sauce Robert[20]. »

16. Se faire plaisir.
17. Chercher.
18. Réception.
19. Belle-fille.
20. Sauce relevée à base de moutarde.

Ce pauvre homme voyant bien qu'il ne fallait pas se jouer[21] à une ogresse, prit son grand couteau, et monta à la chambre de la petite Aurore : elle avait pour lors quatre ans, et vint en sautant et en riant se jeter à son col, et lui demander du bonbon. Il se mit à pleurer, le couteau lui tomba des mains et il alla dans la basse-cour couper la gorge à un petit agneau, et il lui fit une si bonne sauce que sa maîtresse l'assura qu'elle n'avait jamais rien mangé de si bon. Il avait emporté en même temps la petite Aurore, et l'avait donnée à sa femme pour la cacher dans le logement qu'elle avait au fond de la basse-cour.

Huit jours après la méchante reine dit à son maître d'hôtel : « Je veux manger à mon souper le petit Jour. » Il ne répliqua pas, résolu de la tromper comme l'autre fois ; il alla chercher le petit Jour, et le trouva avec un petit fleuret à la main, dont il faisait des armes avec un gros singe ; il n'avait pourtant que trois ans. Il le porta à sa femme qui le cacha avec la petite Aurore, et donna à la place du petit Jour un petit chevreau fort tendre, que l'ogresse trouva admirablement bon.

Cela était fort bien allé jusque-là ; mais un soir cette méchante reine dit au maître d'hôtel : « Je veux manger la reine à la même sauce que ses enfants. » Ce fut alors que le pauvre maître d'hôtel désespéra de la pouvoir encore tromper. La jeune reine avait vingt ans passés, sans compter les cent ans qu'elle avait dormi : sa peau était un peu dure, quoique belle et blanche ; et le moyen de trouver dans la ménagerie une bête aussi dure que cela ? Il prit la résolution, pour sauver sa vie, de couper la gorge à la reine, et monta dans sa chambre, dans l'intention de n'en pas faire à deux fois ; il s'excitait à la fureur et entra le poignard à la main dans la chambre de la jeune reine. Il ne voulut pourtant point la surprendre, et il lui dit avec beaucoup de respect l'ordre qu'il avait reçu de la reine-mère. « Faites votre devoir, lui dit-elle, en lui tendant le col ; exécutez l'ordre qu'on vous a donné ;

21. Se mesurer à.

j'irai revoir mes enfants, mes pauvres enfants que j'ai tant aimés. »
Car elle les croyait morts depuis qu'on les avait enlevés sans lui rien dire. « Non, non, madame, lui répondit le pauvre maître d'hôtel tout attendri, vous ne mourrez point, et vous ne laisserez[22] pas d'aller revoir vos chers enfants, mais ce sera chez moi où je les ai cachés, et je tromperai encore la reine, en lui faisant manger une jeune biche en votre place. »
Il la mena aussitôt à sa chambre, où la laissant embrasser ses enfants et pleurer avec eux, il alla accommoder une biche, que la reine mangea à son souper, avec le même appétit que si c'eût été la jeune reine. Elle était bien contente de sa cruauté, et elle se préparait à dire au roi, à son retour, que les loups enragés avaient mangé la reine sa femme et ses deux enfants.
Un soir qu'elle rôdait à son ordinaire dans les cours et basses-cours du château pour y halener[23] quelque viande fraîche, elle entendit dans une salle basse le petit Jour qui pleurait, parce que la reine sa mère le voulait faire fouetter, à cause qu'il avait été méchant, et elle entendit aussi la petite Aurore qui demandait pardon pour son frère. L'ogresse reconnut la voix de la reine et de ses enfants, et furieuse d'avoir été trompée, elle commande dès le lendemain au matin, avec une voix épouvantable qui faisait trembler tout le monde, qu'on apportât au milieu de la cour une grande cuve, qu'elle fit remplir de crapauds, de vipères, de couleuvres et de serpents, pour y faire jeter la reine et ses enfants, le maître d'hôtel, sa femme et sa servante : elle avait donné l'ordre de les amener les mains liées derrière le dos. Ils étaient là, et les bourreaux se préparaient à les jeter dans la cuve, lorsque le roi, qu'on n'attendait pas si tôt, entra dans la cour à cheval ; il était venu en poste[24], et demanda tout

22. Vous pourrez.
23. Flairer.
24. Voiture à cheval.

étonné[25] ce que voulait dire cet horrible spectacle ; personne n'osait l'en instruire, quand l'ogresse, enragée de voir ce qu'elle voyait, se jeta elle-même la tête la première dans la cuve, et fut dévorée en un instant par les vilaines bêtes qu'elle y avait fait mettre. Le roi ne laissa pas d'en être fâché ; elle était sa mère ; mais il s'en consola bientôt avec sa belle femme et ses enfants.

MORALITÉ
Attendre quelque temps pour avoir un époux,
Riche, bien fait, galant et doux,
La chose est assez naturelle,
Mais l'attendre cent ans, et toujours en dormant,
On ne trouve plus de femelle[26],
Qui dormît si tranquillement.

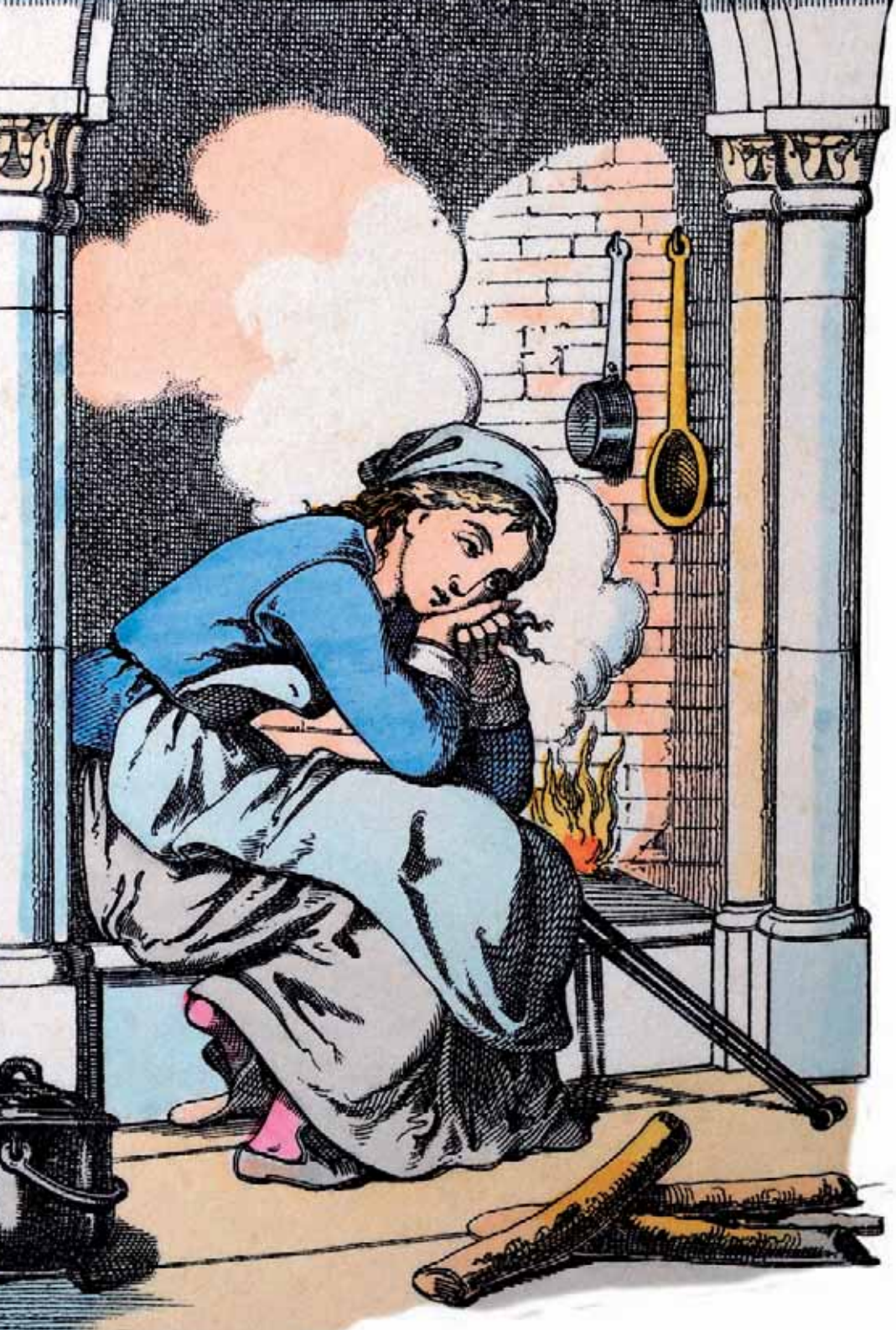
La fable semble encor* vouloir nous faire entendre,
Que souvent de l'hymen les agréables nœuds,
Pour être différés n'en sont pas moins heureux,
Et qu'on ne perd rien pour attendre ;
Mais le sexe[27] avec tant d'ardeur
Aspire à la foi conjugale,
Que je n'ai pas la force ni le cœur,
De lui prêcher cette morale.

25. Saisi de frayeur.
26. Femme. Terme choisi par plaisanterie.
27. Le « beau sexe » : les femmes.

* Dans certains textes poétiques, le mot « encore » est parfois écrit sans « e » final pour respecter les règles de versification.

4

CENDRILLON, OU LA PETITE PANTOUFLE DE VERRE



IL ÉTAIT UNE FOIS...

... un gentilhomme qui épousa en secondes noces une femme, la plus hautaine et la plus fière qu'on eût jamais vue. Elle avait deux filles de son humeur, et qui lui ressemblaient en toutes choses. Le mari avait, de son côté, une jeune fille, mais d'une douceur et d'une bonté sans exemple : elle tenait cela de sa mère, qui était la meilleure personne du monde. Les noces ne furent pas plutôt faites, que la belle-mère fit éclater sa mauvaise humeur ; elle ne put souffrir les bonnes qualités de cette jeune enfant, qui rendaient ses filles encore plus haïssables. Elle la chargea des plus viles occupations de la maison : c'était elle qui nettoyait la vaisselle et les montées, qui frottait la chambre de madame, et celles de mesdemoiselles ses filles ; elle couchait tout au haut de la maison, dans un grenier, sur une méchante paillasse, pendant que ses sœurs étaient dans des chambres parquetées, où elles avaient des lits des plus à la mode, et des miroirs où elles se voyaient depuis les pieds jusqu'à la tête. La pauvre fille souffrait tout avec patience, et n'osait se plaindre à son père qui l'aurait grondée, parce que sa femme le gouvernait entièrement.

Lorsqu'elle avait fait son ouvrage, elle allait se mettre au coin de la cheminée, et s'asseoir dans les cendres, ce qui faisait qu'on l'appelait communément, dans le logis, Cucendron. La cadette,

qui n'était pas si malhonnête que son aînée, l'appelait Cendrillon ; cependant Cendrillon, avec ses méchants habits, ne laissait pas d'être cent fois plus belle que ses sœurs, quoique vêtues magnifiquement.

Il arriva que le fils du roi donna un bal, et qu'il en pria toutes les personnes de qualité. Nos deux demoiselles en furent aussi priées : car elles faisaient grande figure dans le pays. Les voilà bien aises et bien occupées à choisir les habits et les coiffures qui leur siéraient le mieux. Nouvelle peine pour Cendrillon, car c'était elle qui repassait le linge de ses sœurs et qui godronnait[1] leurs manchettes. On ne parlait que de la manière dont on s'habillerait. « Moi, dit l'aînée, je mettrai mon habit de velours rouge et ma garniture d'Angleterre. – Moi, dit la cadette, je n'aurai que ma jupe ordinaire ; mais en récompense, je mettrai mon manteau à fleurs d'or, et ma barrière de diamants, qui n'est pas des plus indifférentes. » On envoya quérir la bonne coiffeuse, pour dresser les cornettes à deux rangs, et on fit acheter des mouches de la bonne faiseuse. Elles appelèrent Cendrillon pour lui demander son avis, car elle avait le bon goût. Cendrillon les conseilla le mieux du monde, et s'offrit même à les coiffer ; ce qu'elles voulurent bien.

En les coiffant, elles lui disaient : « Cendrillon, serais-tu bien aise d'aller au bal ? – Hélas, mesdemoiselles, vous vous moquez de moi ; ce n'est pas là ce qu'il me faut. – Tu as raison, on rirait si on voyait un Cucendron aller au bal. » Une autre que Cendrillon les aurait coiffées de travers ; mais elle était bonne : elle les coiffa parfaitement bien. Elles furent près de deux jours sans manger, tant elles étaient emplies de joie. On rompit plus de douze lacets à force de les serrer, pour leur rendre la taille plus menue, et elles étaient toujours devant leur miroir.

Enfin, l'heureux jour arriva ; on partit, et Cendrillon les suivit des yeux le plus longtemps qu'elle put. Lorsqu'elle ne les vit plus,

1. Repassait et empesait.

elle se mit à pleurer. Sa marraine, qui la vit toute en pleurs, lui demanda ce qu'elle avait : « Je voudrais bien… je voudrais bien… » Elle pleurait si fort qu'elle ne put achever. Sa marraine, qui était fée, lui dit : « Tu voudrais bien aller au bal, n'est-ce pas ? – Hélas oui, dit Cendrillon en soupirant. – Eh bien, seras-tu bonne fille ? dit sa marraine, je t'y ferai aller. » Elle la mena dans sa chambre, et lui dit : « Va dans le jardin et apporte-moi une citrouille. » Cendrillon alla aussitôt cueillir la plus belle qu'elle put trouver, et la porta à sa marraine, ne pouvant deviner comment cette citrouille pourrait la faire aller au bal. Sa marraine la creusa, et, n'ayant laissé que l'écorce, la frappa de sa baguette, et la citrouille fut aussitôt changée en un beau carrosse tout doré.

Ensuite, elle alla regarder dans sa souricière, où elle trouva six souris toutes en vie ; elle dit à Cendrillon de lever la trappe de la souricière, et à chaque souris qui sortait elle lui donnait un coup de sa baguette, et la souris était aussitôt changée en un beau cheval, ce qui fit un bel attelage de six chevaux, d'un beau gris de souris pommelé.

Comme elle était en peine de quoi elle ferait un cocher : « Je vais voir, dit Cendrillon, s'il n'y a point quelque rat dans la ratière, nous en ferons un cocher. – Tu as raison, dit sa marraine, va voir. » Cendrillon lui apporta la ratière, où il y avait trois gros rats. La fée en prit un d'entre les trois, à cause de sa maîtresse barbe, et, l'ayant touché, il fut changé en un gros cocher, qui avait une des plus belles moustaches qu'on ait jamais vues.

Ensuite, elle lui dit : « Va dans le jardin, tu y trouveras six lézards derrière l'arrosoir, apporte-les-moi. » Elle ne les eut pas plutôt apportés, que la marraine les changea en six laquais, qui montèrent aussitôt derrière le carrosse avec leurs habits chamarrés, et qui s'y tenaient attachés, comme s'ils n'eussent fait autre chose toute leur vie.

La fée dit alors à Cendrillon : « Eh bien, voilà de quoi aller au bal, n'es-tu pas bien aise ? – Oui, mais est-ce que j'irai comme cela, avec mes vilains habits ? » Sa marraine ne fit que la toucher avec sa baguette, et en même temps ses habits furent changés en des habits d'or et d'argent, tout chamarrés de pierreries ; elle lui donna ensuite une paire de pantoufles de verre, les plus jolies du monde. Quand elle fut ainsi parée, elle monta en carrosse ; mais sa marraine lui recommanda, sur toutes choses, de ne point passer minuit, l'avertissant que si elle demeurait au bal un moment davantage, son carrosse redeviendrait citrouille, ses chevaux des souris, ses laquais des lézards, et que ses vieux habits reprendraient leur première forme. Elle promit à sa marraine qu'elle ne manquerait pas de sortir du bal avant minuit. Elle part, ne se sentant pas de joie. Le fils du roi, qu'on alla avertir qu'il venait d'arriver une grande princesse qu'on ne connaissait point, courut la recevoir. Il lui donna la main à la descente du carrosse, et la mena dans la salle où était la compagnie. Il se fit alors un grand silence ; on cessa de danser, et les violons ne jouèrent plus, tant on était attentif à contempler les grandes beautés de cette inconnue. On n'entendait qu'un bruit confus : « Ah, qu'elle est belle ! » Le roi même, tout vieux qu'il était, ne laissait pas de la regarder, et de dire tout bas à la reine qu'il y avait longtemps qu'il n'avait vu une si belle et si aimable personne. Toutes les dames étaient attentives à considérer sa coiffure et ses habits, pour en avoir dès le lendemain de semblables, pourvu qu'il se trouvât des étoffes assez belles, et des ouvriers assez habiles.

Le fils du roi la mit à la place la plus honorable, et ensuite la prit pour la mener danser. Elle dansa avec tant de grâce, qu'on l'admira encore davantage. On apporta une fort belle collation, dont le jeune prince ne mangea point, tant il était occupé à la considérer. Elle alla s'asseoir auprès de ses sœurs, et leur fit mille honnêtetés :

elle leur fit part des oranges et des citrons que le prince lui avait donnés, ce qui les étonna fort, car elles ne la connaissaient point.
Lorsqu'elles causaient ainsi, Cendrillon entendit sonner onze heures trois quarts : elle fit aussitôt une grande révérence à la compagnie, et s'en alla le plus vite qu'elle put. Dès qu'elle fut arrivée, elle alla trouver sa marraine, et après l'avoir remerciée, elle lui dit qu'elle souhaiterait bien aller encore le lendemain au bal, parce que le fils du roi l'en avait priée. Comme elle était occupée à raconter à sa marraine tout ce qui s'était passé au bal, les deux sœurs heurtèrent la porte ; Cendrillon alla leur ouvrir. « Que vous avez mis longtemps à revenir ! » leur dit-elle en bâillant, en se frottant les yeux, et en s'étendant comme si elle n'eût fait que de se réveiller ; elle n'avait cependant pas eu envie de dormir depuis qu'elles s'étaient quittées. « Si tu étais venue au bal, lui dit une de ses sœurs, tu ne t'y serais pas ennuyée : il y est venu la plus belle princesse, la plus belle qu'on puisse jamais voir ; elle nous a fait mille civilités, elle nous a donné des oranges et des citrons. »
Cendrillon ne se sentait pas de joie : elle leur demanda le nom de cette princesse ; mais elles lui répondirent qu'on ne la connaissait pas, que le fils du roi en était fort en peine, et qu'il donnerait toutes choses au monde pour savoir qui elle était. Cendrillon sourit et leur dit : « Elle était donc bien belle ? Mon Dieu, que vous êtes heureuses ! Ne pourrais-je point la voir ? Hélas ! mademoiselle Javotte, prêtez-moi votre habit jaune que vous mettez tous les jours. – Vraiment, dit mademoiselle Javotte, je suis de cet avis ! Prêtez votre habit à un vilain Cendrillon comme cela, il faudrait que je fusse bien folle. »
Cendrillon s'attendait bien à ce refus, et elle en fut bien aise, car elle aurait été grandement embarrassée si sa sœur eût bien voulu lui prêter son habit.
Le lendemain, les deux sœurs furent au bal, et Cendrillon aussi, mais encore plus parée que la première fois. Le fils du roi fut



toujours auprès d'elle, et ne cessa de lui conter des douceurs. La jeune demoiselle ne s'ennuyait point, et oublia ce que sa marraine lui avait recommandé ; de sorte qu'elle entendit sonner le premier coup de minuit, lorsqu'elle ne croyait pas qu'il fût encore onze heures : elle se leva et s'enfuit aussi légèrement qu'aurait fait une biche. Le prince la suivit, mais il ne put l'attraper. Elle laissa tomber une de ses pantoufles de verre, que le prince ramassa bien soigneusement. Cendrillon arriva chez elle bien essoufflée, sans carrosse, sans laquais, et avec ses méchants habits, rien ne lui étant resté de toute sa magnificence qu'une de ses petites pantoufles, la pareille de celle qu'elle avait laissée tomber. On demanda aux gardes de la porte du palais s'ils n'avaient point vu sortir une princesse ; ils dirent qu'ils n'avaient vu sortir personne, qu'une jeune fille fort mal vêtue, et qui avait plus l'air d'une paysanne que d'une demoiselle.

Quand ses deux sœurs revinrent du bal, Cendrillon leur demanda si elles s'étaient encore bien diverties, et si la belle dame y avait été. Elles lui dirent que oui, mais qu'elle s'était enfuie lorsque minuit avait sonné, et si promptement qu'elle avait laissé tomber une de ses petites pantoufles de verre, la plus jolie du monde ; que le fils du roi l'avait ramassée, et qu'il n'avait fait que la regarder pendant tout le reste du bal, et qu'assurément il était fort amoureux de la belle personne à qui appartenait la petite pantoufle.

Elles dirent vrai, car peu de jours après, le fils du roi fit publier à son de trompe qu'il épouserait celle dont le pied serait bien juste à la pantoufle. On commença à l'essayer aux princesses, ensuite aux duchesses, et à toute la cour, mais inutilement. On la porta chez les deux sœurs, qui firent tout leur possible pour faire entrer leur pied dans la pantoufle, mais elles ne purent en venir à bout. Cendrillon qui les regardait, et qui reconnut sa pantoufle, dit en riant : « Que je voie si elle ne me serait pas bonne ! » Ses sœurs se mirent à

rire et à se moquer d'elle. Le gentilhomme, qui faisait l'essai de la pantoufle, ayant regardé attentivement Cendrillon, et la trouvant fort belle, dit que cela était juste, et qu'il avait ordre de l'essayer à toutes les filles. Il fit asseoir Cendrillon, et approchant la pantoufle de son petit pied, il vit qu'elle y entrait sans peine, et qu'elle y était juste comme de cire. L'étonnement des deux sœurs fut grand, mais plus grand encore quand Cendrillon tira de sa poche l'autre petite pantoufle qu'elle mit à son pied. Là-dessus arriva la marraine, qui ayant donné un coup de sa baguette sur les habits de Cendrillon, les fit devenir encore plus magnifiques que tous les autres.
Alors ses deux sœurs la reconnurent pour la belle dame qu'elles avaient vue au bal. Elles se jetèrent à ses pieds pour lui demander pardon de tous les mauvais traitements qu'elles lui avaient fait souffrir. Cendrillon les releva, et leur dit, en les embrassant, qu'elle leur pardonnait de bon cœur, et qu'elle les priait de l'aimer bien toujours. On la mena chez le jeune prince, parée comme elle était : il la trouva encore plus belle que jamais, et, peu de jours après, il l'épousa. Cendrillon, qui était aussi bonne que belle, fit loger ses deux sœurs au palais, et les maria dès le jour même à deux grands seigneurs de la cour.

MORALITÉ

La beauté pour le sexe est un rare trésor,
De l'admirer jamais on ne se lasse ;
Mais ce qu'on nomme bonne grâce
Est sans prix, et vaut mieux encor*.

* Dans certains textes poétiques, le mot « encore » est parfois écrit sans « e » final pour respecter les règles de versification.

C’est ce qu’à Cendrillon fit savoir sa Marraine,
En la dressant[2], en l’instruisant,
Tant et si bien qu’elle en fit une Reine.
(Car ainsi sur ce conte on va moralisant.)

Belles, ce don vaut mieux que d’être bien coiffées,
Pour engager un cœur, pour en venir à bout,
La bonne grâce est le vrai don des fées ;
Sans elle on ne peut rien, avec elle, on peut tout.

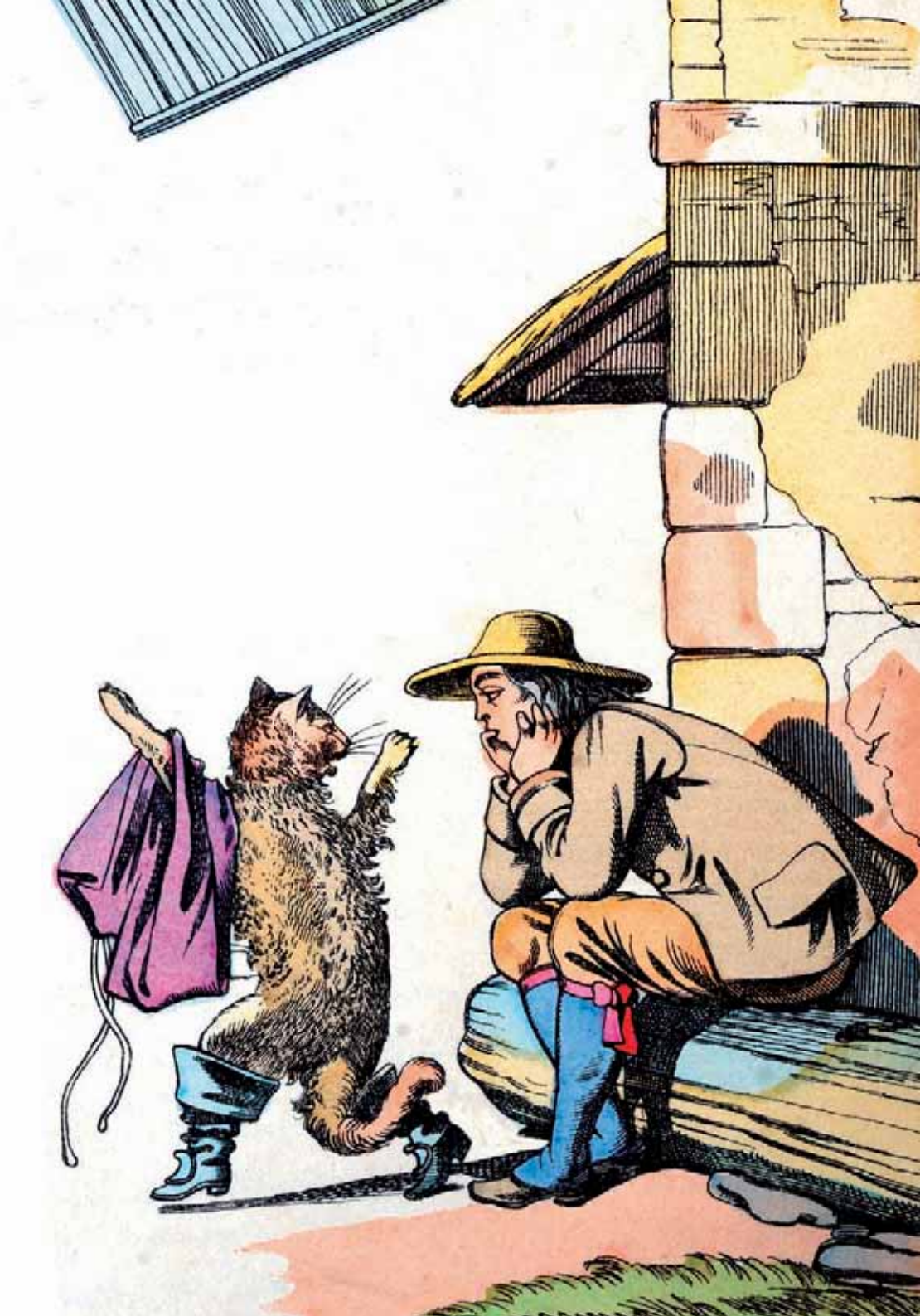
AUTRE MORALITÉ

C’est sans doute un grand avantage,
D’avoir de l’esprit, du courage,
De la naissance, du bon sens,
Et d’autres semblables talents,
Qu’on reçoit du Ciel en partage ;
Mais vous aurez beau les avoir,
Pour votre avancement[3] ce seront choses vaines,
Si vous n’avez, pour les faire valoir,
Ou des parrains ou des marraines.

2. En l’élevant.
3. Réussite.

5

LE MAÎTRE CHAT, OU LE CHAT BOTTÉ



IL ÉTAIT UNE FOIS...

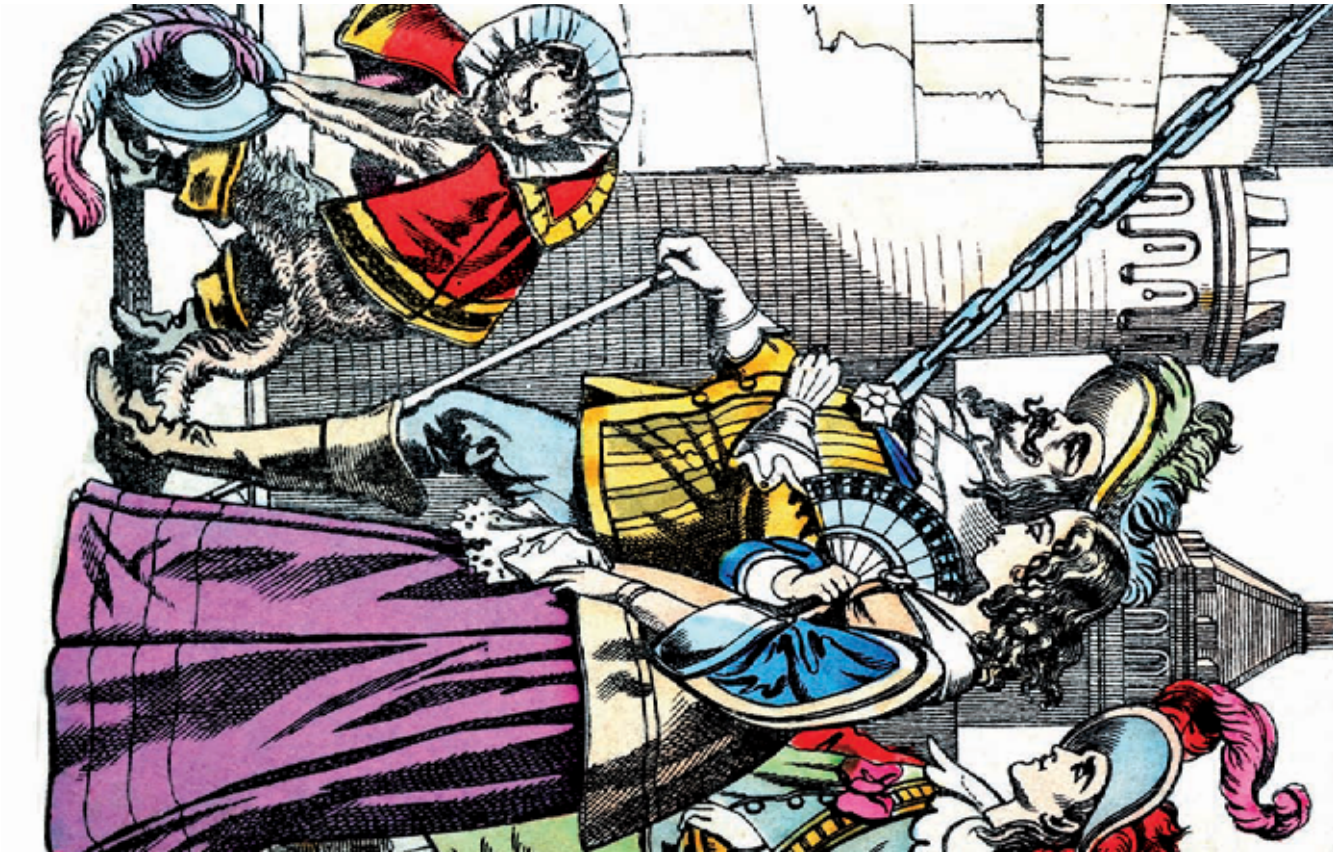
Un meunier ne laissa pour tous biens à trois enfants qu'il avait, que son moulin, son âne et son chat. Les partages furent bientôt faits, ni le notaire, ni le procureur n'y furent point appelés. Ils auraient eu bientôt mangé tout le pauvre patrimoine. L'aîné eut le moulin, le second eut l'âne, et le plus jeune n'eut que le chat. Ce dernier ne pouvait se consoler d'avoir un si pauvre lot : « Mes frères, disait-il, pourront gagner leur vie honnêtement[1] en se mettant ensemble ; quant à moi, lorsque j'aurai mangé mon chat, et que je me serai fait un manchon[2] de sa peau, il faudra que je meure de faim. » Le Chat qui entendait ce discours, mais qui n'en fit pas semblant, lui dit d'un air posé et sérieux : « Ne vous affligez point, mon maître ; vous n'avez qu'à me donner un sac, et me faire faire une paire de bottes pour aller dans les broussailles, et vous verrez que vous n'êtes pas si mal partagé que vous croyez. » Quoique le maître du Chat n'y crût guère, il lui avait vu faire tant de tours de souplesse, pour prendre des rats et des souris, comme quand il se pendait par les pieds ou qu'il se cachait dans la farine

1. Correctement.
2. Fourreau de fourrure pour protéger les mains du froid.

pour faire le mort, qu'il ne désespéra pas d'en être secouru dans sa misère. Lorsque le Chat eut ce qu'il avait demandé, il se botta bravement[3] ; et mettant son sac à son cou, il en prit les cordons avec ses deux pattes de devant, et s'en alla dans une garenne où il y avait grand nombre de lapins. Il mit du son et des lasserons dans son sac, et s'étendant comme s'il eût été mort, il attendit que quelque jeune lapin, peu instruit encore des ruses de ce monde, vînt se fourrer dans son sac pour manger ce qu'il y avait mis. À peine fut-il couché, qu'il eut contentement ; un jeune étourdi de lapin entra dans son sac, et le maître Chat tirant aussitôt les cordons le prit et le tua sans miséricorde. Tout glorieux de sa proie, il s'en alla chez le roi, et demanda à lui parler. On le fit monter à l'appartement de Sa Majesté où, étant entré il fit une grande révérence au roi, et lui dit : « Voilà, sire, un lapin de garenne que M. le marquis de Carabas (c'était le nom qu'il lui prit en gré de donner à son maître), m'a chargé de vous présenter de sa part. – Dis à ton maître, répondit le roi, que je le remercie, et qu'il me fait plaisir. » Une autre fois, il alla se cacher dans un blé, tenant toujours son sac ouvert, et lorsque deux perdrix y furent entrées, il tira les cordons, et les prit toutes deux. Il alla ensuite les présenter au roi, comme il avait fait du lapin de garenne. Le roi reçut encore avec plaisir les deux perdrix, et lui fit donner pour boire. Le Chat continua ainsi pendant deux ou trois mois de porter de temps en temps au roi du gibier de la chasse de son maître. Un jour qu'il sut que le roi devait aller à la promenade, sur le bord de la rivière, avec sa fille, la plus belle princesse du monde, il dit à son maître : « Si vous voulez suivre mon conseil, votre fortune est faite : vous n'avez qu'à vous baigner dans la rivière,

3. Avec élégance.

à l'endroit que je vous montrerai, et ensuite me laisser faire. » Le marquis de Carabas fit ce que son chat lui conseillait, sans savoir à quoi cela serait bon. Dans le temps qu'il se baignait, le roi vint à passer, et le Chat se mit à crier de toute sa force : « Au secours ! au secours ! voilà M. le marquis de Carabas qui se noie ! » À ce cri, le roi mit la tête à la portière, et, reconnaissant le Chat qui lui avait apporté tant de fois du gibier, il ordonna à ses gardes qu'on allât vite au secours de M. le marquis de Carabas. Pendant qu'on retirait le pauvre marquis de la rivière, le Chat s'approcha du carrosse, dit au roi que dans le temps que son maître se baignait, il était venu des voleurs qui avaient emporté ses habits, quoiqu'il eût crié « au voleur ! » de toute sa force ; le drôle les avait cachés sous une grosse pierre. Le roi ordonna aussitôt aux officiers de sa garde-robe d'aller quérir un de ses plus beaux habits pour M. le marquis de Carabas. Le roi lui fit mille caresses, et comme les beaux habits qu'on venait de lui donner relevaient sa bonne mine (car il était beau, et bien fait de sa personne), la fille du roi le trouva fort à son gré, et le marquis de Carabas ne lui eut pas plutôt jeté deux ou trois regards fort respectueux et un peu tendres, qu'elle en devint amoureuse à la folie. Le roi voulut qu'il montât dans son carrosse et qu'il fût de la promenade. Le Chat, ravi de voir que son dessein commençait à réussir, prit les devants, et ayant rencontré des paysans qui fauchaient un pré, il leur dit : « Bonnes gens qui fauchez, si vous ne dites au roi que le pré que vous fauchez appartient à M. le marquis de Carabas, vous serez tous hachés menu comme chair à pâté. » Le roi ne manqua pas à demander aux faucheurs à qui était ce pré qu'ils fauchaient. « C'est à M. le marquis de Carabas », dirent-ils tous ensemble, car la menace du Chat leur avait fait peur. « Vous avez là un bel héritage, dit le roi au marquis de Carabas. – Vous voyez, sire, répondit le marquis, c'est un pré qui



ne manque point de rapporter abondamment toutes les années. » Le maître Chat, qui allait toujours devant, rencontra des moissonneurs, et leur dit : « Bonnes gens qui moissonnez, si vous ne dites que tous ces blés appartiennent à M. le marquis de Carabas, vous serez tous hachés menu comme chair à pâté. » Le roi, qui passa un moment après, voulut savoir à qui appartenait tous ces blés qu'il voyait. « C'est à M. le marquis de Carabas », répondirent les moissonneurs, et le roi s'en réjouit encore avec le marquis. Le Chat, qui allait devant le carrosse, disait toujours la même chose à tous ceux qu'il rencontrait ; et le roi était étonné des grands biens de M. le marquis de Carabas. Le maître Chat arriva enfin dans un beau château, dont le maître était un ogre, le plus riche qu'on ait jamais vu, car toutes les terres par où le roi avait passé étaient sous la dépendance de ce château. Le Chat, qui eut soin de s'informer qui était cet ogre, et ce qu'il savait faire, demanda à lui parler, disant qu'il n'avait pas voulu passer si près de son château, sans avoir l'honneur de lui faire la révérence. L'ogre le reçut aussi civilement que le peut un ogre, et le fit reposer. « On m'a assuré, dit le Chat, que vous aviez le don de vous changer en toutes sortes d'animaux ; que vous pouviez, par exemple, vous transformer en lion, en éléphant. – Cela est vrai, répondit l'ogre brusquement, et pour vous le montrer, vous allez me voir devenir lion. » Le Chat fut si effrayé de voir un lion devant lui, qu'il gagna aussitôt les gouttières, non sans peine et sans péril, à cause de ses bottes, qui ne valaient rien pour marcher sur les tuiles. Quelque temps après, le Chat, ayant vu que l'ogre avait quitté sa première forme, descendit, et avoua qu'il avait eu bien peur. « On m'a assuré encore, dit le Chat, mais je ne saurais le croire, que vous aviez aussi le pouvoir de prendre la forme des plus petits animaux, par exemple, de vous changer en un rat, en une souris : je vous avoue que je tiens cela tout à fait impossible.

– Impossible ? reprit l'ogre ; vous allez voir », et en même temps il se changea en une souris, qui se mit à courir sur le plancher. Le chat ne l'eut pas plus tôt aperçue qu'il se jeta dessus, et la mangea. Cependant le roi, qui vit en passant le beau château de l'ogre, voulut entrer dedans. Le Chat, qui entendit le bruit du carrosse qui passait sur le pont-levis, courut au-devant, et dit au roi : « Votre Majesté soit la bienvenue dans le château de M. le marquis de Carabas. – Comment, M. le marquis, s'écria le roi, ce château est encore à vous ? Il ne se peut rien de plus beau que cette cour et que tous ces bâtiments qui l'environnent : voyons les dedans, s'il vous plaît. » Le marquis donna la main à la jeune princesse, et, suivant le roi qui montait le premier, ils entrèrent dans une grande salle où ils trouvèrent une magnifique collation que l'ogre avait fait préparer pour ses amis, qui devaient venir le voir ce même jour-là, mais qui n'avaient pas osé entrer, sachant que le roi y était. Le roi, charmé des bonnes qualités de M. le marquis de Carabas, de même que sa fille qui en était folle, et voyant les grands biens qu'il possédait, lui dit, après avoir bu cinq ou six coups : « Il ne tiendra qu'à vous, M. le marquis, que vous ne soyez mon gendre. » Le marquis, faisant de grandes révérences, accepta l'honneur que lui faisait le roi ; et dès le même jour, épousa la princesse. Le Chat devint grand seigneur, et ne courut plus après les souris que pour se divertir.

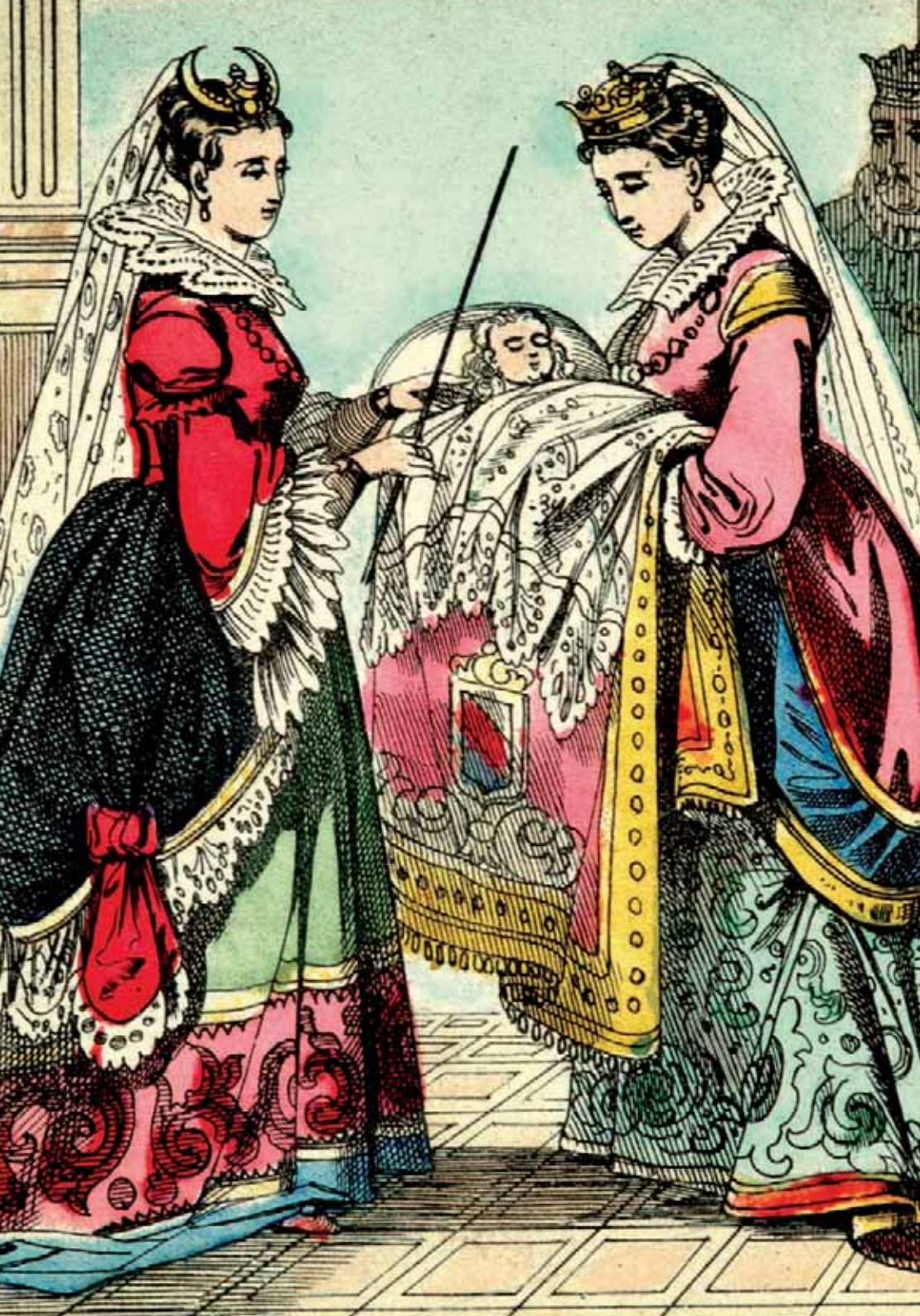
MORALITÉ
Quelque grand que soit l'avantage
De jouir d'un riche héritage
Venant à nous de père en fils,
Aux jeunes gens pour l'ordinaire,
L'industrie et le savoir-faire
Valent mieux que des biens acquis.

AUTRE MORALITÉ

Si le fils d'un meunier avec tant de vitesse,
Gagne le cœur d'une princesse,
Et s'en fait regarder avec des yeux mourants,
C'est que l'habit, la mine et la jeunesse,
Pour inspirer de la tendresse,
N'en sont pas des moyens toujours indifférents.

6

RIQUET À LA HOUPPE



IL ÉTAIT UNE FOIS...

... une reine qui accoucha d'un fils si laid et si mal fait, qu'on douta longtemps s'il avait forme humaine. Une fée qui se trouva à sa naissance assura qu'il ne laisserait pas d'être aimable, parce qu'il aurait beaucoup d'esprit ; elle ajouta même qu'il pourrait, en vertu du don qu'elle venait de lui faire, donner autant d'esprit qu'il en aurait à la personne qu'il aimerait le mieux. Tout cela consola un peu la pauvre reine, qui était bien affligée d'avoir mis au monde un si vilain marmot. Il est vrai que cet enfant ne commença pas plus tôt à parler qu'il dit mille jolies choses, et qu'il avait dans toutes ses actions je ne sais quoi de si spirituel qu'on en était charmé. J'oubliais de dire qu'il vint au monde avec une petite houppe de cheveux sur la tête, ce qui fit qu'on le nomma Riquet à la houppe, car Riquet était le nom de la famille.

Au bout de sept ou huit ans, la reine d'un royaume voisin accoucha de deux filles. La première qui vint au monde était plus belle que le jour : la reine en fut si aise, qu'on appréhenda que la trop grande joie qu'elle en avait ne lui fît mal. La même fée qui avait assisté à la naissance du petit Riquet à la houppe était présente, et pour modérer la joie de la reine, elle lui déclara que cette petite princesse n'aurait point d'esprit, et qu'elle serait aussi stupide qu'elle était belle.

Cela mortifia beaucoup la reine ; mais elle eut quelques moments après un bien plus grand chagrin, car la seconde fille dont elle accoucha se trouva extrêmement laide. « Ne vous affligez point tant, madame, lui dit la fée ; votre fille sera récompensée d'ailleurs, et elle aura tant d'esprit, qu'on ne s'apercevra presque pas qu'il lui manque de la beauté. – Dieu le veuille, répondit la reine ; mais n'y aurait-il point moyen de faire avoir un peu d'esprit à l'aînée qui est si belle ? – Je ne puis rien pour elle, madame, du côté de l'esprit, lui dit la fée, mais je puis tout du côté de la beauté ; et comme il n'y a rien que je ne veuille faire pour votre satisfaction, je vais lui donner pour don de pouvoir rendre beau ou belle la personne qui lui plaira. » À mesure que ces deux princesses devinrent grandes, leurs perfections crûrent aussi avec elles, et on ne parlait partout que de la beauté de l'aînée, et de l'esprit de la cadette. Il est vrai aussi que leurs défauts augmentèrent beaucoup avec l'âge. La cadette enlaidissait à vue d'œil, et l'aînée devenait plus stupide de jour en jour. Ou elle ne répondait rien à ce qu'on lui demandait, ou elle disait une sottise. Elle était avec cela si maladroite qu'elle n'eût pu ranger quatre porcelaines sur le bord d'une cheminée sans en casser une, ni boire un verre d'eau sans en répandre la moitié sur ses habits. Quoique la beauté soit un grand avantage dans une jeune personne, cependant la cadette l'emportait presque toujours sur son aînée dans toutes les compagnies. D'abord on allait du côté de la plus belle pour la voir et pour l'admirer, mais bientôt après, on allait à celle qui avait le plus d'esprit, pour lui entendre dire mille choses agréables ; et on était étonné qu'en moins d'un quart d'heure l'aînée n'avait plus personne auprès d'elle, et que tout le monde s'était rangé autour de la cadette. L'aînée, quoique fort stupide, le remarqua bien, et elle eût donné sans regret toute sa beauté pour avoir la moitié de l'esprit de sa sœur. La reine, toute sage qu'elle était, ne put s'empêcher de lui reprocher plusieurs fois sa bêtise, ce qui pensa faire mourir de douleur cette

pauvre princesse. Un jour qu'elle s'était retirée dans un bois pour y plaindre son malheur elle vit venir à elle un petit homme fort laid et fort désagréable, mais vêtu très magnifiquement. C'était le jeune prince Riquet à la houppe, qui étant devenu amoureux d'elle sur ses portraits qui couraient par tout le monde, avait quitté le royaume de son père pour avoir le plaisir de la voir et de lui parler. Ravi de la rencontrer ainsi toute seule, il l'aborde avec tout le respect et toute la politesse imaginable. Ayant remarqué, après lui avoir fait les compliments ordinaires, qu'elle était fort mélancolique, il lui dit : « Je ne comprends point, madame, comment une personne aussi belle que vous l'êtes peut être aussi triste que vous le paraissez ; car quoique je puisse me vanter d'avoir vu une infinité de belles personnes, je puis dire que je n'en ai jamais vu dont la beauté approche de la vôtre. – Cela vous plaît à dire, monsieur, » lui répondit la princesse, et en demeure là. – « La beauté, reprit Riquet à la houppe, est un si grand avantage qu'il doit tenir lieu de tout le reste ; et quand on le possède, je ne vois pas qu'il y ait rien qui puisse nous affliger beaucoup. – J'aimerais mieux, dit la princesse, être aussi laide que vous et avoir de l'esprit, que d'avoir de la beauté comme j'en ai, et être bête autant que je le suis. – Il n'y a rien, madame, qui marque davantage qu'on a de l'esprit, que de croire n'en pas avoir, et il est de la nature de ce bien-là, que plus on en a, plus on croit en manquer. – Je ne sais pas cela, dit la princesse, mais je sais bien que je suis fort bête, et c'est de là que vient le chagrin qui me tue. – Si ce n'est que cela, madame, qui vous afflige, je puis aisément mettre fin à votre douleur. – Et comment ferez-vous ? dit la princesse. – J'ai le pouvoir, madame, dit Riquet à la houppe, de donner de l'esprit autant qu'on en saurait avoir à la personne que je dois aimer le plus, et comme vous êtes, madame, cette personne, il ne tiendra qu'à vous que vous n'ayez autant d'esprit qu'on en peut avoir pourvu que vous vouliez bien m'épouser. » La princesse demeura tout interdite, et ne répondit rien. « Je vois, reprit

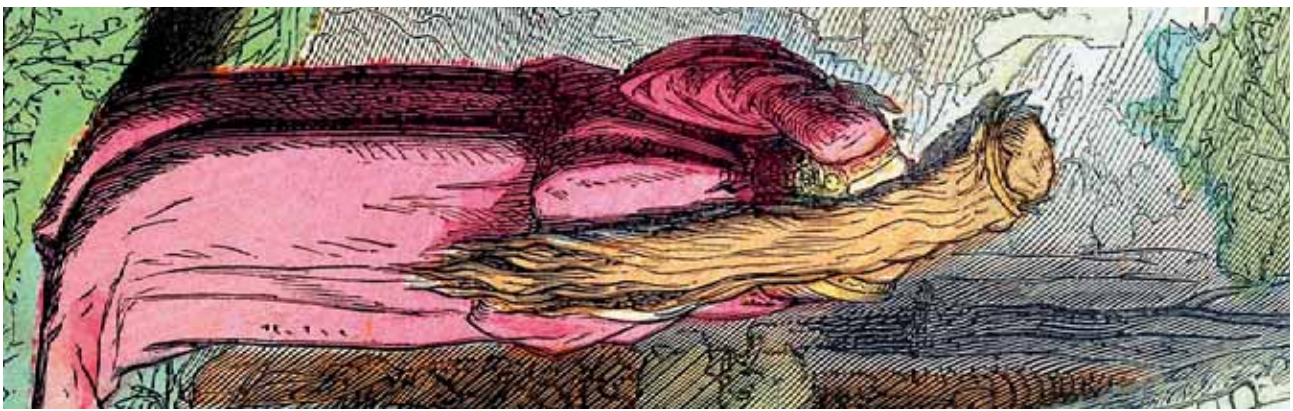
Riquet à la houppe, que cette proposition vous fait de la peine, et je ne m'en étonne pas ; mais je vous donne un an tout entier pour vous y résoudre. » La princesse avait si peu d'esprit, et en même temps une si grande envie d'en avoir qu'elle s'imagina que la fin de cette année ne viendrait jamais ; de sorte qu'elle accepta la proposition qui lui était faite. Elle n'eut pas plus tôt promis à Riquet à la houppe qu'elle l'épouserait dans un an à pareil jour, qu'elle se sentit tout autre qu'elle n'était auparavant ; elle se trouva une facilité incroyable à dire tout ce qui lui plaisait, et à le dire d'une manière fine, aisée et naturelle. Elle commença dès ce moment une conversation galante et soutenue avec Riquet à la houppe, où elle brilla d'une telle force que Riquet à la houppe crut lui avoir donné plus d'esprit qu'il ne s'en était réservé pour lui-même. Quand elle fut retournée au palais, toute la cour ne savait que penser d'un changement si subit et si extraordinaire, car autant qu'on lui avait ouï dire d'impertinences[1] auparavant, autant lui entendait-on dire des choses bien sensées et infiniment spirituelles. Toute la cour en eut une joie qui ne se peut imaginer ; il n'y eut que sa cadette qui n'en fut pas bien aise, parce que n'ayant plus sur son aînée l'avantage de l'esprit, elle ne paraissait plus auprès d'elle qu'une guenon fort désagréable. Le roi se conduisait par ses avis, et allait même quelquefois tenir le conseil dans son appartement. Le bruit de ce changement s'étant répandu, tous les jeunes princes des royaumes voisins firent leurs efforts pour s'en faire aimer, et presque tous la demandèrent en mariage ; mais elle n'en trouvait point qui eût assez d'esprit, et elle les écoutait tous sans s'engager à pas un d'eux. Cependant il en vint un si puissant, si riche, si spirituel et si bien fait, qu'elle ne put s'empêcher d'avoir de la bonne volonté pour lui. Son père s'en étant aperçu lui dit qu'il la faisait la maîtresse sur le choix d'un époux, et qu'elle n'avait qu'à se déclarer. Comme plus on a

1. Bêtises.

d'esprit et plus on a de peine à prendre une ferme résolution sur cette affaire, elle demanda, après avoir remercié son père, qu'il lui donnât du temps pour y penser. Elle alla par hasard se promener dans le même bois où elle avait trouvé Riquet à la houppe, pour rêver plus commodément à ce qu'elle avait à faire. Dans le temps qu'elle se promenait, rêvant profondément, elle entendit un bruit sourd sous ses pieds, comme de plusieurs personnes qui vont et viennent et qui agissent. Ayant prêté l'oreille plus attentivement, elle ouït que l'on disait : « Apporte-moi cette marmite » ; l'autre : « Donne-moi cette chaudière » ; l'autre : « Mets du bois dans ce feu ». La terre s'ouvrit dans le même temps, et elle vit sous ses pieds comme une grande cuisine pleine de cuisiniers, de marmitons et de toutes sortes d'officiers nécessaires pour faire un festin magnifique. Il en sortit une bande de vingt ou trente rôtisseurs, qui allèrent se camper dans une allée du bois autour d'une table fort longue, et qui tous, la lardoire à la main, et la queue de renard[2] sur l'oreille, se mirent à travailler en cadence au son d'une chanson harmonieuse. La princesse, étonnée de ce spectacle, leur demanda pour qui ils travaillaient. « C'est, madame, lui répondit le plus apparent de la bande, pour le prince Riquet à la houppe, dont les noces se feront demain. » La princesse encore plus surprise qu'elle ne l'avait été, et se ressouvenant tout à coup qu'il y avait un an qu'à pareil jour elle avait promis d'épouser le prince Riquet à la houppe, elle pensa tomber de son haut. Ce qui faisait qu'elle ne s'en souvenait pas, c'est que, quand elle fit cette promesse, elle était une bête, et qu'en prenant le nouvel esprit que le prince lui avait donné, elle avait oublié toutes ses sottises. Elle n'eut pas fait trente pas en continuant sa promenade, que Riquet à la houppe se présenta à elle, brave[3], magnifique, et comme un prince qui va se

2. Bonnet en fourrure porté par les cuisiniers.
3. Élégant.





marier. « Vous me voyez, dit-il, madame, exact à tenir ma parole, et je ne doute point que vous ne veniez ici pour exécuter la vôtre, et me rendre, en me donnant la main, le plus heureux de tous les hommes. – Je vous avouerai franchement, répondit la princesse, que je n'ai pas encore pris ma résolution là-dessus, et que je ne crois pas pouvoir jamais la prendre telle que vous la souhaitez. – Vous m'étonnez, madame, lui dit Riquet à la houppe. – Je le crois, dit la princesse, et assurément si j'avais affaire à un brutal, à un homme sans esprit, je me trouverais bien embarrassée. Une princesse n'a que sa parole, me dirait-il, et il faut que vous m'épousiez, puisque vous me l'avez promis ; mais comme celui à qui je parle est l'homme du monde qui a le plus d'esprit, je suis sûre qu'il entendra raison. Vous savez que, quand je n'étais qu'une bête, je ne pouvais néanmoins me résoudre à vous épouser ; comment voulez-vous qu'ayant l'esprit que vous m'avez donné, qui me rend encore plus difficile en gens que je n'étais, je prenne aujourd'hui une résolution que je n'ai pu prendre dans ce temps-là ? Si vous pensez tout de bon à m'épouser, vous avez eu grand tort de m'ôter ma bêtise, et de me faire voir plus clair que je ne voyais. – Si un homme sans esprit, répondit Riquet à la houppe, serait bien reçu, comme vous venez de le dire, à vous reprocher votre manque de parole, pourquoi voulez-vous, madame, que je n'en use pas de même, dans une chose où il y va de tout le bonheur de ma vie ? Est-il raisonnable que les personnes qui ont de l'esprit soient d'une pire condition que ceux qui n'en ont pas ? Le pouvez-vous prétendre, vous qui en avez tant, et qui avez tant souhaité d'en avoir ? Mais venons au fait, s'il vous plaît. À la réserve de ma laideur, y a-t-il quelque chose en moi qui vous déplaise ? Êtes-vous mal contente de ma naissance, de mon esprit, de mon humeur, et de mes manières ? – Nullement, répondit la princesse, j'aime en vous tout ce que vous venez de me dire. Si cela est ainsi, reprit Riquet à la houppe, je vais être heureux, puisque vous pouvez me rendre le plus aimable de tous

les hommes. – Comment cela se peut-il faire ? lui dit la princesse. – Cela se fera, répondit Riquet à la houppe, si vous m'aimez assez pour souhaiter que cela soit ; et afin, madame, que vous n'en doutiez pas, sachez que la même fée qui au jour de ma naissance me fit le don de pouvoir rendre spirituelle la personne qu'il me plairait, vous a aussi fait le don de pouvoir rendre beau celui que vous aimerez, et à qui vous voudrez bien faire cette faveur. – Si la chose est ainsi, dit la princesse, je souhaite de tout mon cœur que vous deveniez le prince du monde le plus beau et le plus aimable ; et je vous en fais le don autant qu'il est en moi. »

La princesse n'eut pas plus tôt prononcé ces paroles, que Riquet à la houppe parut à ses yeux l'homme du monde le plus beau, le mieux fait et le plus aimable qu'elle eût jamais vu. Quelques-uns assurent que ce ne furent point les charmes de la fée qui opérèrent, mais que l'amour seul fit cette métamorphose. Ils disent que la princesse ayant fait réflexion sur la persévérance de son amant, sur sa discrétion, et sur toutes les bonnes qualités de son âme et de son esprit, ne vit plus la difformité de son corps, ni la laideur de son visage, que sa bosse ne lui sembla plus que le bon air d'un homme qui fait le gros dos, et qu'au lieu que jusqu'alors elle l'avait vu boiter effroyablement, elle ne lui trouva plus qu'un certain air penché qui la charmait ; ils disent encore que ses yeux, qui étaient louches, ne lui en parurent que plus brillants, que leur dérèglement passa dans son esprit pour la marque d'un violent excès d'amour, et qu'enfin son gros nez rouge eut pour elle quelque chose de martial et d'héroïque. Quoi qu'il en soit, la princesse lui promit sur-le-champ de l'épouser, pourvu qu'il en obtînt le consentement du roi son père. Le roi ayant su que sa fille avait beaucoup d'estime pour Riquet à la houppe, qu'il connaissait d'ailleurs pour un prince très spirituel et très sage, le reçut avec plaisir pour son gendre. Dès le lendemain les noces furent faites, ainsi que Riquet à la houppe l'avait prévu, et selon les ordres qu'il en avait donnés longtemps auparavant.

MORALITÉ
Ce que l'on voit dans cet écrit,
Est moins un conte en l'air que la vérité même ;
Tout est beau dans ce que l'on aime,
Tout ce qu'on aime a de l'esprit.

AUTRE MORALITÉ
Dans un objet où la Nature,
Aura mis de beaux traits, et la vive peinture
D'un teint où jamais l'Art ne saurait arriver,
Tous ces dons pourront moins pour rendre un cœur sensible,
Qu'un seul agrément invisible
Que l'Amour y fera trouver.

7

PEAU D'ÂNE

IL ÉTAIT UNE FOIS...

*À Madame la marquise de L****

Il est des gens de qui l'esprit guindé,
Sous un front jamais déridé,
Ne souffre, n'approuve et n'estime
Que le pompeux et le sublime ;
Pour moi, j'ose poser en fait
Qu'en de certains moments l'esprit le plus parfait
Peut aimer sans rougir jusqu'aux marionnettes ;
Et qu'il est des temps et des lieux
Où le grave et le sérieux
Ne valent pas d'agréables sornettes.
Pourquoi faut-il s'émerveiller
Que la raison la mieux sensée,
Lasse souvent de trop veiller,
Par des contes d'ogre et de fée
Ingénieusement bercée,
Prenne plaisir à sommeiller ?

Sans craindre donc qu'on me condamne
De mal employer mon loisir,
Je vais, pour contenter votre juste désir,
Vous conter tout au long l'histoire de Peau d'Âne.



Il était une fois un roi,
Le plus grand qui fût sur la Terre,
Aimable en paix, terrible en guerre,
Seul enfin comparable à soi :
Ses voisins le craignaient, ses États étaient calmes,
Et l'on voyait de toutes parts
Fleurir, à l'ombre de ses palmes,
Et les vertus et les beaux-arts.
Son aimable moitié, sa compagne fidèle,
Était si charmante et si belle,
Avait l'esprit si commode et si doux,
Qu'il était encor* avec elle
Moins heureux roi qu'heureux époux.
De leur tendre et chaste hyménée
Plein de douceur et d'agrément,
Avec tant de vertus une fille était née
Qu'ils se consolaient aisément
De n'avoir pas de plus ample lignée.

Dans son vaste et riche palais
Ce n'était que magnificence ;
Partout y fourmillait une vive abondance
De courtisans et de valets ;
Il avait dans son écurie
Grands et petits chevaux de toutes les façons,
Couverts de beaux caparaçons,
Roides d'or et de broderie ;
Mais ce qui surprenait tout le monde en entrant,

* Dans certains textes poétiques, le mot « encore » est parfois écrit sans « e » final pour respecter les règles de versification.

C'est qu'au lieu le plus apparent,
Un maître âne étalait ses deux grandes oreilles.
Cette injustice vous surprend,
Mais lorsque vous saurez ses vertus nonpareilles,
Vous ne trouverez pas que l'honneur fût trop grand.

Tel et si net le forma la Nature
Qu'il ne faisait jamais d'ordure,
Mais bien beaux écus au soleil
Et louis de toute manière,
Qu'on allait recueillir sur la blonde litière
Tous les matins à son réveil.

Or le Ciel qui parfois se lasse
De rendre les hommes contents,
Qui toujours à ses biens mêle quelque disgrâce,
Ainsi que la pluie au beau temps,
Permit qu'une âpre maladie
Tout à coup de la reine attaquât les beaux jours.
Partout on cherche du secours,
Mais ni la Faculté qui le grec étudie,
Ni les charlatans ayant cours,
Ne purent tous ensemble arrêter l'incendie
Que la fièvre allumait en s'augmentant toujours.

Arrivée à sa dernière heure,
Elle dit au roi son époux :
« Trouvez bon qu'avant que je meure
J'exige une chose de vous ;
C'est que s'il vous prenait envie
De vous remarier quand je n'y serai plus…

– Ah ! dit le Roi, ces soins sont superflus,
Je n'y songerai de ma vie,
Soyez en repos là-dessus.
– Je le crois bien, reprit la reine,
Si j'en prends à témoin votre amour véhément ;
Mais pour m'en rendre plus certaine,
Je veux avoir votre serment,
Adouci toutefois par ce tempérament
Que si vous rencontrez une femme plus belle,
Mieux faite et plus sage que moi,
Vous pourrez franchement lui donner votre foi
Et vous marier avec elle. »
Sa confiance en ses attraits
Lui faisait regarder une telle promesse
Comme un serment, surpris avec adresse,
De ne se marier jamais.
Le prince jura donc, les yeux baignés de larmes,
Tout ce que la reine voulut ;
La reine entre ses bras mourut,
Et jamais un mari ne fit tant de vacarmes.
À l'ouïr sangloter et les nuits et les jours,
On jugea que son deuil ne lui durerait guère,
Et qu'il pleurait ses défuntes amours
Comme un homme pressé qui veut sortir d'affaire.

On ne se trompa point. Au bout de quelques mois
Il voulut procéder à faire un nouveau choix ;
Mais ce n'était pas chose aisée,
Il fallait garder son serment,
Et que la nouvelle épousée

Eût plus d'attraits et d'agrément
Que celle qu'on venait de mettre au monument.

Ni la cour en beautés fertile,
Ni la campagne, ni la ville,
Ni les royaumes d'alentour
Dont on alla faire le tour,
N'en purent fournir une telle ;
L'infante seule était plus belle
Et possédait certains tendres appas
Que la défunte n'avait pas.
Le roi le remarqua lui-même
Et, brûlant d'un amour extrême,
Alla follement s'aviser
Que par cette raison il devait l'épouser.
Il trouva même un casuiste[1]
Qui jugea que le cas se pouvait proposer.
Mais la jeune princesse triste
D'ouïr parler d'un tel amour,
Se lamentait et pleurait nuit et jour.

De mille chagrins l'âme pleine,
Elle alla trouver sa marraine,
Loin, dans une grotte à l'écart
De nacre et de corail richement étoffée.
C'était une admirable fée
Qui n'eut jamais de pareille en son art.
Il n'est pas besoin qu'on vous dise

1. Théologien chargé de l'examen des cas de conscience.

Ce qu'était une fée en ces bienheureux temps ;
Car je suis sûr que votre mie[2]
Vous l'aura dit dès vos plus jeunes ans.
« Je sais, dit-elle, en voyant la princesse,
Ce qui vous fait venir ici,
Je sais de votre cœur la profonde tristesse ;
Mais avec moi n'ayez plus de souci :
Il n'est rien qui vous puisse nuire
Pourvu qu'à mes conseils vous vous laissiez conduire.
Votre père, il est vrai, voudrait vous épouser ;
Écouter sa folle demande
Serait une faute bien grande,
Mais sans le contredire on le peut refuser.

Dites-lui qu'il faut qu'il vous donne
Pour rendre vos désirs contents,
Avant qu'à son amour votre cœur s'abandonne,
Une robe qui soit de la couleur du temps.
Malgré tout son pouvoir et toute sa richesse,
Quoique le Ciel en tout favorise ses vœux,
Il ne pourra jamais accomplir sa promesse. »

Aussitôt la jeune princesse
L'alla dire en tremblant à son père amoureux
Qui dans le moment, fit entendre
Aux tailleurs les plus importants
Que s'ils ne lui faisaient, sans trop le faire attendre,
Une robe qui fût de la couleur du temps,
Ils pouvaient s'assurer qu'il les ferait tous pendre.

2. Nourrice.



Le second jour ne luisait pas encor
Qu'on apporta la robe désirée ;
Le plus beau bleu de l'empyrée
N'est pas, lorsqu'il est ceint de gros nuages d'or,
D'une couleur plus azurée.
De joie et de douleur l'infante pénétrée
Ne sait que dire ni comment
Se dérober à son engagement.
« Princesse, demandez-en une,
Lui dit sa marraine tout bas,
Qui plus brillante et moins commune,
Soit de la couleur de la lune.
Il ne vous la donnera pas. »
À peine la princesse en eut fait la demande,
Que le roi dit à son brodeur :
« Que l'astre de la nuit n'ait pas plus de splendeur,
Et que dans quatre jours sans faute on me la rende. »

Le riche habillement fut fait au jour marqué,
Tel que le roi s'en était expliqué.
Dans les cieux où la nuit a déployé ses voiles,
La lune est moins pompeuse en sa robe d'argent,
Lors même qu'au milieu de son cours diligent
Sa plus vive clarté fait pâlir les étoiles.

La princesse, admirant ce merveilleux habit,
Était à consentir presque délibérée ;
Mais, par sa marraine inspirée,
Au prince amoureux elle dit :
« Je ne saurais être contente
Que je n'aie une robe encore plus brillante

Et de la couleur du soleil. »
Le prince qui l'aimait d'un amour sans pareil,
Fit venir aussitôt un riche lapidaire
Et lui commanda de la faire
D'un superbe tissu d'or et de diamants,
Disant que s'il manquait à le bien satisfaire,
Il le ferait mourir au milieu des tourments[3].

Le prince fut exempt de s'en donner la peine,
Car l'ouvrier industrieux,
Avant la fin de la semaine,
Fit apporter l'ouvrage précieux,
Si beau, si vif, si radieux,
Que le blond amant de Clymène,
Lorsque sur la voûte des cieux
Dans son char d'or il se promène,
D'un plus brillant éclat n'éblouit pas les yeux.

L'infante que ces dons achèvent de confondre,
À son père, à son roi ne sait plus que répondre.
Sa marraine aussitôt la prenant par la main :
« Il ne faut pas, lui dit-elle à l'oreille,
Demeurer en si beau chemin.
Est-ce une si grande merveille
Que tous ces dons que vous en recevez,
Tant qu'il aura l'âne que vous savez,
Qui d'écus d'or sans cesse emplit sa bourse ?
Demandez-lui la peau de ce rare animal.

3. Tortures.

Comme il est toute sa ressource,
Vous ne l'obtiendrez pas, ou je raisonne mal. »

Cette fée était bien savante,
Et cependant elle ignorait encor
Que l'amour violent pourvu qu'on le contente,
Compte pour rien l'argent et l'or ;
La peau fut galamment aussitôt accordée
Que l'infante l'eut demandée.

Cette peau quand on l'apporta
Terriblement l'épouvanta
Et la fit de son sort amèrement se plaindre.
Sa marraine survint et lui représenta[4]
Que quand on fait le bien on ne doit jamais craindre ;
Qu'il faut laisser penser au roi
Qu'elle est tout à fait disposée
À subir avec lui la conjugale loi,
Mais qu'au même moment, seule et bien déguisée,
Il faut qu'elle s'en aille en quelque État lointain
Pour éviter un mal si proche et si certain.

« Voici, poursuivit-elle, une grande cassette[5]
Où nous mettrons tous vos habits,
Votre miroir, votre toilette,
Vos diamants et vos rubis.
Je vous donne encor ma baguette ;
En la tenant en votre main,

4. Elle expliqua.
5. Petit coffre de bois.



La cassette suivra votre même chemin,
Toujours sous la terre cachée ;
Et lorsque vous voudrez l'ouvrir,
À peine mon bâton la terre aura touchée,
Qu'aussitôt à vos yeux elle viendra s'offrir.

Pour vous rendre méconnaissable,
La dépouille de l'âne est un masque admirable.
Cachez-vous bien dans cette peau,
On ne croira jamais, tant elle est effroyable,
Qu'elle renferme rien de beau. »

La princesse ainsi travestie
De chez la sage fée à peine fut sortie,
Pendant la fraîcheur du matin,
Que le prince qui pour la fête
De son heureux hymen s'apprête,
Apprend tout effrayé son funeste destin.
Il n'est point de maison, de chemin, d'avenue
Qu'on ne parcoure promptement ;
Mais on s'agite vainement,
On ne peut deviner ce qu'elle est devenue.

Partout se répandit un triste et noir chagrin ;
Plus de noces, plus de festin,
Plus de tarte, plus de dragées ;
Les dames de la cour, toutes découragées,
N'en dînèrent point la plupart ;
Mais du curé sur tout la tristesse fut grande,
Car il en déjeuna fort tard,
Et qui pis est n'eut point d'offrande.

L'infante cependant poursuivait son chemin,
Le visage couvert d'une vilaine crasse ;
À tous passants elle tendait la main,
Et tâchait pour servir de trouver une place ;
Mais les moins délicats et les plus malheureux
La voyant si maussade et si pleine d'ordure,
Ne voulaient écouter ni retirer chez eux
Une si sale créature.

Elle alla donc bien loin, bien loin, encor plus loin ;
Enfin elle arriva dans une métairie
Où la fermière avait besoin
D'une souillon, dont l'industrie
Allât jusqu'à savoir bien laver des torchons
Et nettoyer l'auge aux cochons.

On la mit dans un coin au fond de la cuisine
Où les valets, insolente vermine,
Ne faisaient que la tirailler,
La contredire et la railler ;
Ils ne savaient quelle pièce lui faire,
La harcelant à tout propos ;
Elle était la butte ordinaire
De tous leurs quolibets et de tous leurs bons mots.

Elle avait le dimanche un peu plus de repos
Car, ayant du matin fait sa petite affaire,
Elle entrait dans sa chambre et tenant son huis clos,
Elle se décrassait, puis ouvrait sa cassette,
Mettait proprement sa toilette,
Rangeait dessus ses petits pots.

Devant son grand miroir, contente et satisfaite,
De la lune tantôt la robe elle mettait,
Tantôt celle où le feu du soleil éclatait,
Tantôt la belle robe bleue
Que tout l'azur des cieux ne saurait égaler,
Avec ce chagrin seul que leur traînante queue
Sur le plancher trop court ne pouvait s'étaler.
Elle aimait à se voir jeune, vermeille et blanche
Et plus brave[6] cent fois que nulle autre n'était ;
Ce doux plaisir la sustentait
Et la menait jusqu'à l'autre dimanche.

J'oubliais à dire en passant
Qu'en cette grande métairie
D'un roi magnifique et puissant
Se faisait la ménagerie,
Que là, poules de barbarie,
Râles, pintades, cormorans,
Oisons musqués, canes petières,
Et mille autres oiseaux de bizarres manières[7],
Entre eux presque tous différents,
Remplissaient à l'envi dix cours toutes entières.

Le fils du roi dans ce charmant séjour
Venait souvent au retour de la chasse
Se reposer, boire à la glace
Avec les seigneurs de sa cour.
Tel ne fut point le beau Céphale :
Son air était royal, sa mine martiale,

6. Élégante.
7. Allures.

Propre à faire trembler les plus fiers bataillons.
Peau d'Âne de fort loin le vit avec tendresse,
Et reconnut par cette hardiesse
Que sous sa crasse et ses haillons
Elle gardait encor le cœur d'une princesse.
« Qu'il a l'air grand, quoiqu'il l'ait négligé,
Qu'il est aimable, disait-elle,
Et que bienheureuse est la belle
À qui son cœur est engagé !
D'une robe de rien s'il m'avait honorée,
Je m'en trouverais plus parée
Que de toutes celles que j'ai. »

Un jour le jeune prince errant à l'aventure
De basse-cour en basse-cour,
Passa dans une allée obscure
Où de Peau d'Âne était l'humble séjour.
Par hasard il mit l'œil au trou de la serrure.
Comme il était fête ce jour,
Elle avait pris une riche parure
Et ses superbes vêtements
Qui, tissus de fin or et de gros diamants,
Égalaient du soleil la clarté la plus pure.
Le prince au gré de son désir
La contemple et ne peut qu'à peine,
En la voyant, reprendre haleine,
Tant il est comblé de plaisir.
Quels que soient les habits, la beauté du visage,
Son beau tour[8], sa vive blancheur,

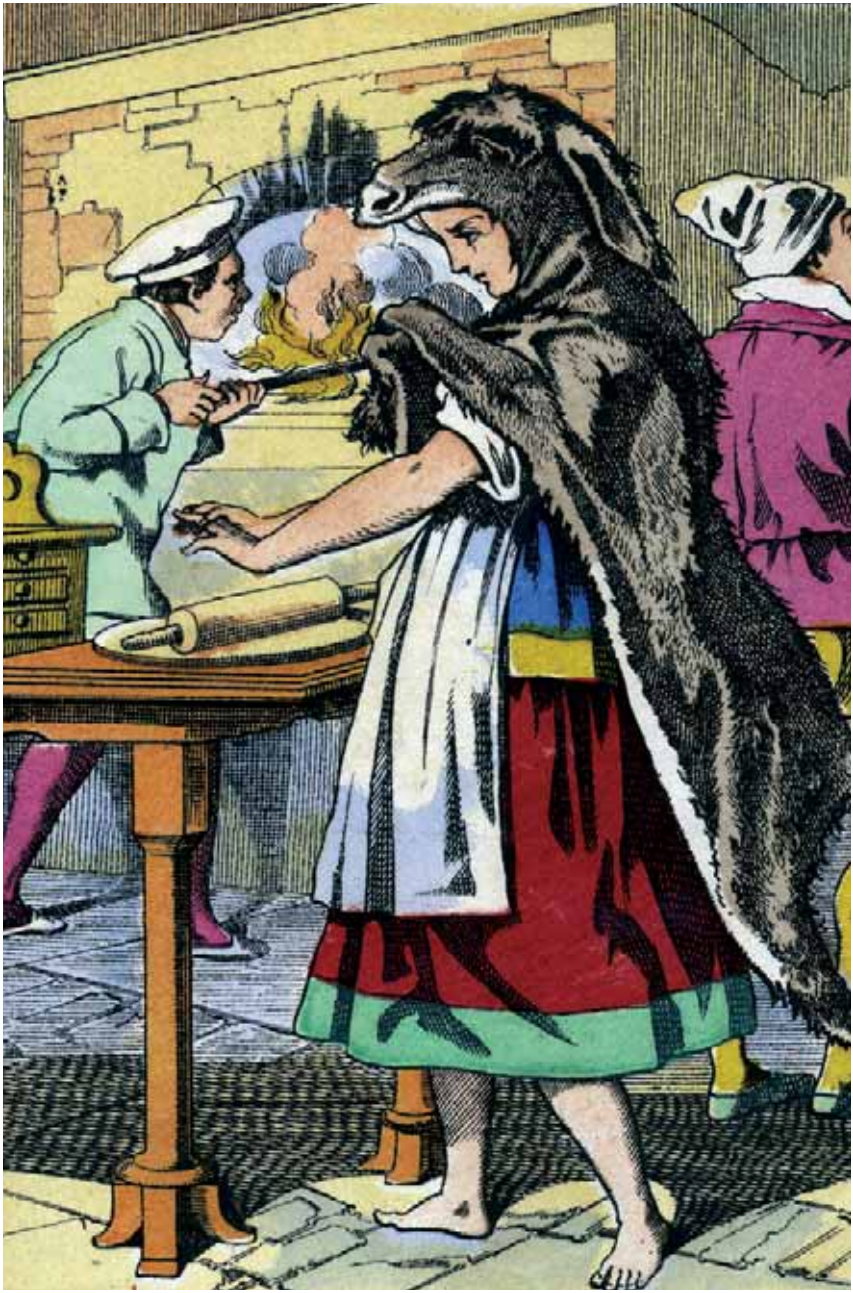
8. Le tour du visage.

Ses traits fins, sa jeune fraîcheur
Le touchent cent fois davantage ;
Mais un certain air de grandeur,
Plus encore une sage et modeste pudeur,
Des beautés de son âme assuré témoignage,
S'emparèrent de tout son cœur.

Trois fois, dans la chaleur du feu qui le transporte,
Il voulut enfoncer la porte ;
Mais croyant voir une divinité,
Trois fois par le respect son bras fut arrêté.

Dans le palais, pensif il se retire,
Et là, nuit et jour, il soupire ;
Il ne veut plus aller au bal
Quoiqu'on soit dans le carnaval.
Il hait la chasse, il hait la comédie,
Il n'a plus d'appétit, tout lui fait mal au cœur ;
Et le fond de sa maladie
Est une triste et mortelle langueur.

Il s'enquit quelle était cette nymphe admirable
Qui demeurait dans une basse-cour
Au fond d'une allée effroyable,
Où l'on ne voit goutte en plein jour.
« C'est, lui dit-on, Peau d'Âne, en rien nymphe ni belle
Et que Peau d'Âne l'on appelle,
À cause de la peau qu'elle met sur son cou ;
De l'amour c'est le vrai remède,
La bête en un mot la plus laide,
Qu'on puisse voir après le loup. »



On a beau dire, il ne saurait le croire ;
Les traits que l'amour a tracés,
Toujours présents à sa mémoire,
N'en seront jamais effacés.
Cependant la reine sa mère,
Qui n'a que lui d'enfant, pleure et se désespère ;
De déclarer son mal elle le presse en vain,
Il gémit, il pleure, il soupire,
Il ne dit rien, si ce n'est qu'il désire
Que Peau d'Âne lui fasse un gâteau de sa main ;
Et la mère ne sait ce que son fils veut dire.
« Ô ciel ! Madame, lui dit-on,
Cette Peau d'Âne est une noire taupe
Plus vilaine encore et plus gaupe[9]
Que le plus sale marmiton.
– N'importe, dit la reine, il faut le satisfaire
Et c'est à cela seul que nous devons songer. »
Il aurait eu de l'or, tant l'aimait cette mère,
S'il en avait voulu manger.

Peau d'Âne donc prend sa farine
Qu'elle avait fait bluter[10] exprès
Pour rendre sa pâte plus fine,
Son sel, son beurre et ses œufs frais ;
Et pour bien faire sa galette,
S'enferme seule en sa chambrette.

D'abord elle se décrassa
Les mains, les bras et le visage,

9. Malpropre.
10. Tamiser.

Et prit un corps[11] d'argent que vite elle laça
Pour dignement faire l'ouvrage
Qu'aussitôt elle commença.
On dit qu'en travaillant un peu trop à la hâte,
De son doigt par hasard il tomba dans la pâte
Un de ses anneaux de grand prix ;
Mais ceux qu'on tient savoir le fin de cette histoire
Assurent que par elle exprès il y fut mis ;
Et pour moi franchement, je l'oserais bien croire,
Fort sûr que, quand le prince à sa porte aborda
Et par le trou la regarda,
Elle s'en était aperçue.
Sur ce point la femme est si drue[12],
Et son œil va si promptement,
Qu'on ne peut la voir un moment
Qu'elle ne sache qu'on l'a vue.
Je suis bien sûr encor, et j'en ferais serment,
Qu'elle ne douta point que de son jeune amant
La bague ne fût bien reçue.

On ne pétrit jamais un si friand morceau,
Et le prince trouva la galette si bonne
Qu'il ne s'en fallut rien que d'une faim gloutonne
Il n'avalât aussi l'anneau.
Quand il en vit l'émeraude admirable,
Et du jonc d'or le cercle étroit,
Qui marquait la forme du doigt,
Son cœur en fut touché d'une joie incroyable ;
Sous son chevet il le mit à l'instant,

11. Corsage.
12. Vive.

Et son mal toujours augmentant,
Les médecins sages d'expérience,
En le voyant maigrir de jour en jour,
Jugèrent tous, par leur grande science,
Qu'il était malade d'amour.

Comme l'hymen, quelque mal qu'on en die,
Est un remède exquis pour cette maladie,
On conclut à le marier ;
Il s'en fit quelque temps prier,
Puis dit : « Je le veux bien, pourvu que l'on me donne
En mariage la personne
Pour qui cet anneau sera bon. »
À cette bizarre demande,
De la reine et du roi la surprise fut grande ;
Mais il était si mal qu'on n'osa dire non.

Voilà donc qu'on se met en quête
De celle que l'anneau, sans nul égard du sang[13],
Doit placer dans un si haut rang ;
Il n'en est point qui ne s'apprête
À venir présenter son doigt,
Ni qui veuille céder son droit.

Le bruit ayant couru que pour prétendre au prince,
Il faut avoir le doigt bien mince,
Tout charlatan, pour être bienvenu,
Dit qu'il a le secret de le rendre menu.
L'une, en suivant son bizarre caprice,

13. Sans considérer l'origine sociale.

Comme une rave le ratisse ;
L'autre en coupe un petit morceau ;
Une autre en le pressant croit qu'elle le rapetisse ;
Et l'autre, avec de certaine eau,
Pour le rendre moins gros en fait tomber la peau ;
Il n'est enfin point de manœuvre
Qu'une dame ne mette en œuvre,
Pour faire que son doigt cadre bien à l'anneau.

L'essai fut commencé par les jeunes princesses,
Les marquises et les duchesses ;
Mais leurs doigts, quoique délicats,
Étaient trop gros et n'entraient pas.
Les comtesses, et les baronnes,
Et toutes les nobles personnes,
Comme elles tour à tour présentèrent leur main
Et la présentèrent en vain.

Ensuite vinrent les grisettes[14],
Dont les jolis et menus doigts,
Car il en est de très bien faites,
Semblèrent à l'anneau s'ajuster quelquefois.
Mais la bague, toujours trop petite ou trop ronde,
D'un dédain presque égal rebutait tout le monde.

Il fallut en venir enfin
Aux servantes, aux cuisinières,
Aux tortillons, aux dindonnières,
En un mot à tout le fretin,

14. Les jeunes filles du peuple, souvent vêtues de gris.

Dont les rouges et noires pattes,
Non moins que les mains délicates,
Espéraient un heureux destin.
Il s'y présenta mainte fille
Dont le doigt, gros et ramassé,
Dans la bague du prince eût aussi peu passé
Qu'un câble au travers d'une aiguille.

On crut enfin que c'était fait,
Car il ne restait en effet
Que la pauvre Peau d'Âne au fond de la cuisine.
Mais comment croire, disait-on,
Qu'à régner le Ciel la destine ?
Le prince dit : « Et pourquoi non ?
Qu'on la fasse venir. » Chacun se prit à rire,
Criant tout haut : « Que veut-on dire,
De faire entrer ici cette sale guenon ? »
Mais lorsqu'elle tira de dessous sa peau noire
Une petite main qui semblait de l'ivoire
Qu'un peu de pourpre a coloré,
Et que de la bague fatale,
D'une justesse sans égale,
Son petit doigt fut entouré,
La cour fut dans une surprise
Qui ne peut pas être comprise.

On la menait au roi dans ce transport subit ;
Mais elle demanda qu'avant que de paraître
Devant son seigneur et son maître,
On lui donnât le temps de prendre un autre habit.
De cet habit, pour la vérité dire,

De tous côtés on s'apprêtait à rire ;
Mais lorsqu'elle arriva dans les appartements,
Et qu'elle eut traversé les salles
Avec ses pompeux vêtements
Dont les riches beautés n'eurent jamais d'égales ;
Que ses aimables cheveux blonds
Mêlés de diamants, dont la vive lumière
En faisait autant de rayons,
Que ses yeux bleus, grands, doux et longs,
Qui pleins d'une majesté fière
Ne regardent jamais sans plaire et sans blesser,
Et que sa taille enfin si menue et si fine
Qu'avecque ses deux mains on eût pu l'embrasser,
Montrèrent leurs appas et leur grâce divine,
Des dames de la cour, et de leurs ornements
Tombèrent tous les doux agréments.

Dans la joie et le bruit de toute l'assemblée,
Le bon roi ne se sentait pas
De voir sa bru posséder tant d'appas ;
La reine en était affolée,
Et le prince son cher amant,
De cent plaisirs l'âme comblée,
Succombait sous le poids de son ravissement.

Pour l'hymen aussitôt chacun prit ses mesures.
Le monarque en pria tous les rois d'alentour,
Qui, tous brillants de diverses parures,
Quittèrent leurs États pour être à ce grand jour.
On en vit arriver des climats de l'aurore,
Montés sur de grands éléphants ;

Il en vint du rivage more,
Qui, plus noirs et plus laids encore,
Faisaient peur aux petits enfants ;
Enfin de tous les coins du monde,
Il en débarque et la cour en abonde.

Mais nul prince, nul potentat,
N'y parut avec tant d'éclat
Que le père de l'épousée,
Qui d'elle autrefois amoureux
Avait avec le temps purifié les feux
Dont son âme était embrasée.
Il en avait banni tout désir criminel,
Et de cette odieuse flamme
Le peu qui restait dans son âme
N'en rendait que plus vif son amour paternel.
Dès qu'il la vit : « Que béni soit le Ciel
Qui veut bien que je te revoie,
Ma chère enfant », dit-il et, tout pleurant de joie,
Courut tendrement l'embrasser ;
Chacun à son bonheur voulut s'intéresser,
Et le futur époux était ravi d'apprendre
Que d'un roi si puissant il devenait le gendre.

Dans ce moment la marraine arriva
Qui raconta toute l'histoire,
Et par son récit acheva
De combler Peau d'Âne de gloire.

Il n'est pas malaisé de voir
Que le but de ce conte est qu'un enfant apprenne



Qu'il vaut mieux s'exposer à la plus rude peine
Que de manquer à son devoir ;
Que la vertu peut être infortunée,
Mais qu'elle est toujours couronnée ;

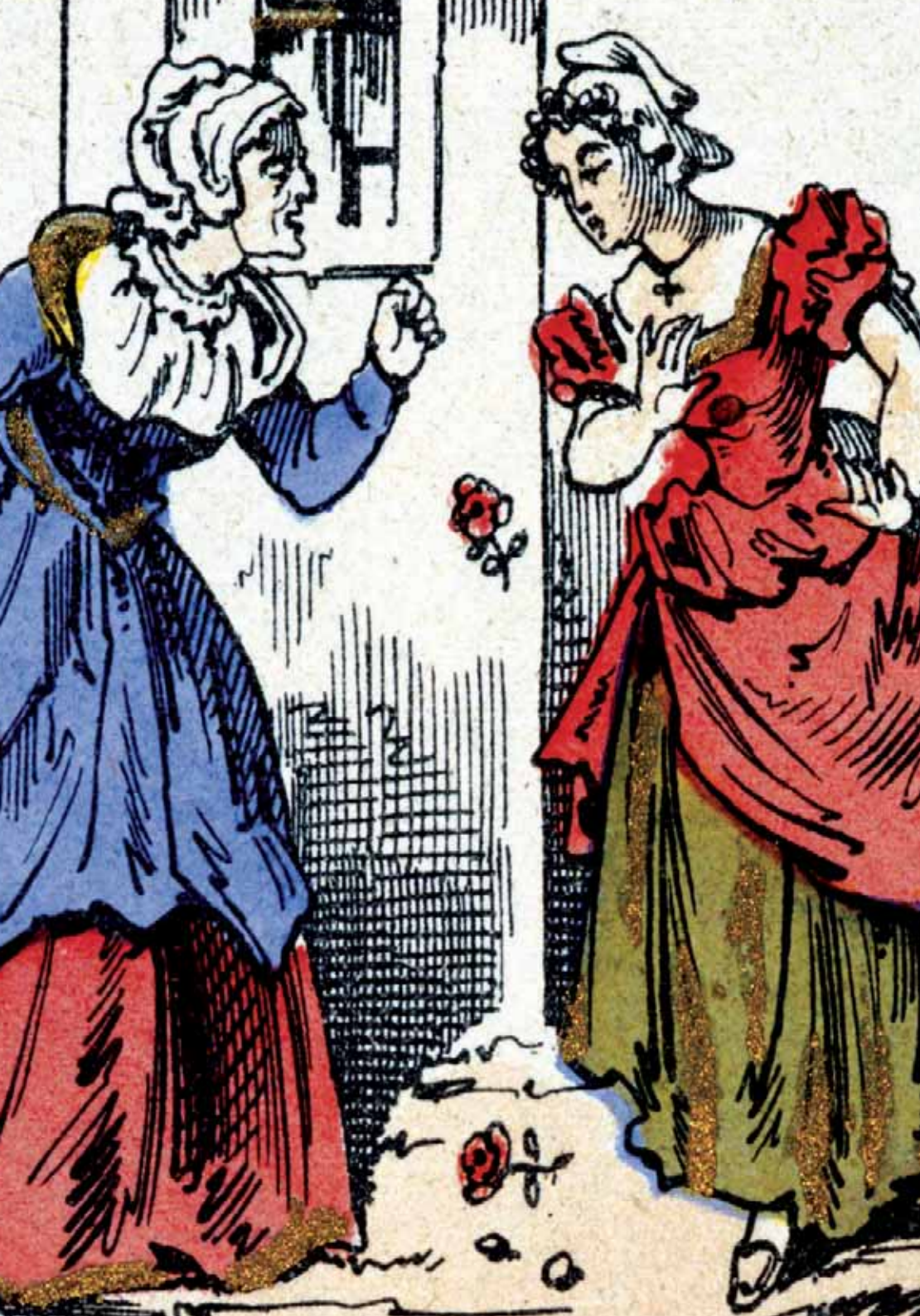
Que contre un fol amour et ses fougueux transports
La raison la plus forte est une faible digue,
Et qu'il n'est point de si riches trésors
Dont un amant ne soit prodigue ;

Que de l'eau claire et du pain bis
Suffisent pour la nourriture
De toute jeune créature,
Pourvu qu'elle ait de beaux habits ;
Que sous le ciel il n'est point de femelle
Qui ne s'imagine être belle,
Et qui souvent ne s'imagine encor
Que si des trois beautés la fameuse querelle
S'était démêlée avec elle,
Elle aurait eu la pomme d'or.

Le conte de Peau d'Âne est difficile à croire ;
Mais tant que dans le monde on aura des enfants,
Des mères et des mères-grands,
On en gardera la mémoire.

8

LES FÉES



IL ÉTAIT UNE FOIS...

... une veuve qui avait deux filles : l'aînée lui ressemblait si fort et d'humeur et de visage, que qui la voyait, voyait la mère. Elles étaient toutes deux si désagréables et si orgueilleuses, qu'on ne pouvait vivre avec elles. La cadette, qui était le vrai portrait de son père pour la douceur et l'honnêteté, était avec cela une des plus belles filles qu'on eût su voir. Comme on aime naturellement son semblable, cette mère était folle de sa fille aînée, et en même temps avait une aversion effroyable pour la cadette. Elle la faisait manger à la cuisine et travailler sans cesse.

Il fallait, entre autres choses, que cette pauvre enfant allât, deux fois le jour, puiser de l'eau à une grande demi-lieue du logis, et qu'elle en rapportât plein une grande cruche. Un jour qu'elle était à cette fontaine, il vint à elle une pauvre femme qui la pria de lui donner à boire.

« Oui-da, ma bonne mère », dit cette belle fille ; et, rinçant aussitôt sa cruche, elle puisa de l'eau au plus bel endroit de la fontaine et la lui présenta, soutenant toujours la cruche, afin qu'elle bût plus aisément. La bonne femme, ayant bu, lui dit : « Vous êtes si belle, si bonne et si honnête, que je ne puis m'empêcher de vous faire un don (car c'était une fée qui avait pris la forme d'une pauvre femme de village, pour voir jusqu'où irait l'honnêteté de cette jeune fille). Je vous donne pour



don, poursuivit la fée, qu'à chaque parole que vous direz, il vous sortira de la bouche ou une fleur, ou une pierre précieuse. »
Lorsque cette belle fille arriva au logis, sa mère la gronda de revenir si tard de la fontaine. « Je vous demande pardon, ma mère, dit cette pauvre fille, d'avoir tardé si longtemps » ; et, en disant ces mots, il lui sortit de la bouche deux roses, deux perles et deux gros diamants. « Que vois-je là ! dit sa mère tout étonnée ; je crois qu'il lui sort de la bouche des perles et des diamants. D'où vient cela, ma fille ? » (Ce fut là la première fois qu'elle l'appela sa fille.) La pauvre enfant lui raconta naïvement tout ce qui lui était arrivé, non sans jeter une infinité de diamants. « Vraiment, dit la mère, il faut que j'y envoie ma fille. Tenez, Fanchon, voyez ce qui sort de la bouche de votre sœur quand elle parle ; ne seriez-vous pas bien aise d'avoir le même don ? Vous n'avez qu'à aller puiser de l'eau à la fontaine, et, quand une pauvre femme vous demandera à boire, lui en donner bien honnêtement. – Il me ferait beau voir, répondit la brutale, aller à la fontaine ! – Je veux que vous y alliez, reprit la mère, et tout à l'heure. »
Elle y alla, mais toujours en grondant. Elle prit le plus beau flacon d'argent qui fût dans le logis. Elle ne fut pas plus tôt arrivée à la fontaine, qu'elle vit sortir du bois une dame magnifiquement vêtue, qui vint lui demander à boire. C'était la même fée qui avait apparu à sa sœur, mais qui avait pris l'air et les habits d'une princesse, pour voir jusqu'où irait la malhonnêteté de cette fille. « Est-ce que je suis ici venue, lui dit cette brutale orgueilleuse, pour vous donner à boire ? Justement j'ai apporté un flacon d'argent tout exprès pour donner à boire à madame ! J'en suis d'avis : buvez à même si vous voulez. – Vous n'êtes guère honnête, reprit la fée, sans se mettre en colère. Eh bien ! puisque vous êtes si peu obligeante, je vous donne pour don qu'à chaque parole que vous direz, il vous sortira de la bouche ou un serpent, ou un crapaud. »
D'abord que sa mère l'aperçut, elle lui cria : « Eh bien ! Ma fille ? – Eh bien ! Ma mère ? lui répondit la brutale, en jetant deux vipères et

deux crapauds. – Ô ciel ! s'écria la mère, que vois-je là ? C'est sa sœur qui en est la cause : elle me le paiera » ; et aussitôt elle courut pour la battre. La pauvre enfant s'enfuit et alla se sauver dans la forêt prochaine. Le fils du roi, qui revenait de la chasse, la rencontra et, la voyant si belle, lui demanda ce qu'elle faisait là toute seule et ce qu'elle avait à pleurer. « Hélas ! Monsieur, c'est ma mère qui m'a chassée du logis. » Le fils du roi, qui vit sortir de sa bouche cinq ou six perles et autant de diamants, la pria de lui dire d'où cela lui venait. Elle lui conta toute son aventure. Le fils du roi en devint amoureux ; et, considérant qu'un tel don valait mieux que tout ce qu'on pouvait donner en mariage à une autre, l'emmena au palais du roi son père, où il l'épousa.

Pour sa sœur, elle se fit tant haïr, que sa propre mère la chassa de chez elle ; et la malheureuse, après avoir bien couru sans trouver personne qui voulût la recevoir, alla mourir au coin d'un bois.

MORALITÉ

Les diamants et les pistoles,
Peuvent beaucoup sur les esprits ;
Cependant les douces paroles
Ont encor* plus de force, et sont d'un plus grand prix.

AUTRE MORALITÉ

L'honnêteté coûte des soins[1],
Elle veut un peu de complaisance,
Mais tôt ou tard elle a sa récompense,
Et souvent dans le temps qu'on y pense le moins.

1. Efforts.

* Dans certains textes poétiques, le mot « encore » est parfois écrit sans « e » final pour respecter les règles de versification.

9

LA BARBE BLEUE



IL ÉTAIT UNE FOIS...

... un homme qui avait de belles maisons à la ville et à la campagne, de la vaisselle d'or et d'argent, des meubles en broderie, et des carrosses tout dorés. Mais, par malheur, cet homme avait la barbe bleue : cela le rendait si laid et si terrible, qu'il n'était ni femme ni fille qui ne s'enfuît de devant lui.

Une de ses voisines, dame de qualité, avait deux filles parfaitement belles. Il lui en demanda une en mariage, en lui laissant le choix de celle qu'elle voudrait lui donner. Elles n'en voulaient point toutes deux, et se le renvoyèrent l'une à l'autre, ne pouvant se résoudre à prendre un homme qui eût la barbe bleue. Ce qui les dégoûtait encore, c'est qu'il avait déjà épousé plusieurs femmes, et qu'on ne savait ce que ces femmes étaient devenues.

La Barbe bleue, pour faire connaissance, les mena, avec leur mère, et trois ou quatre de leurs meilleures amies, et quelques jeunes gens du voisinage, à une de ses maisons de campagne, où on demeura huit jours entiers. Ce n'était que promenades, que parties de chasse et de pêche, que danses et festins, que collations : on ne dormait point, et on passait toute la nuit à se faire des malices les uns aux autres ; enfin tout alla si bien, que la cadette commença à trouver que le maître du logis n'avait plus la barbe si bleue, et que c'était

un fort honnête homme. Dès qu'on fut de retour à la ville, le mariage se conclut.

Au bout d'un mois, la Barbe bleue dit à sa femme qu'il était obligé de faire un voyage en province, de six semaines au moins, pour une affaire de conséquence ; qu'il la priait de se bien divertir pendant son absence, qu'elle fît venir ses bonnes amies, qu'elle les menât à la campagne si elle voulait, que partout elle fît bonne chère : « Voilà, lui dit-il, les clefs des deux grands garde-meubles, voilà celles de la vaisselle d'or et d'argent, qui ne sert pas tous les jours, voilà celles de mes coffres-forts, où est mon or et mon argent, celles de mes coffrets où sont mes pierreries, et voilà le passe-partout de tous les appartements. Pour cette petite clef-ci, c'est la clef du cabinet au bout de la grande galerie de l'appartement bas : ouvrez tout, allez partout, mais pour ce petit cabinet, je vous défends d'y entrer, et je vous le défends de telle sorte, que s'il vous arrive de l'ouvrir, il n'y a rien que vous ne deviez attendre de ma colère. »

Elle promit d'observer exactement tout ce qui lui venait d'être ordonné ; et lui, après l'avoir embrassée, monte dans son carrosse, et part pour son voyage.

Les voisines et les bonnes amies n'attendirent pas qu'on les envoyât quérir pour aller chez la jeune mariée, tant elles avaient d'impatience de voir toutes les richesses de sa maison, n'ayant osé y venir pendant que le mari y était, à cause de sa barbe bleue qui leur faisait peur. Les voilà aussitôt à parcourir les chambres, les cabinets, les garde-robes, toutes plus belles et plus riches les unes que les autres. Elles montèrent ensuite aux garde-meubles, où elles ne pouvaient assez admirer le nombre et la beauté des tapisseries, des lits, des sofas, des cabinets, des guéridons, des tables et des miroirs, où l'on se voyait depuis les pieds jusqu'à la tête, et dont les bordures, les unes de glace, les autres d'argent et de vermeil doré, étaient les plus belles et les plus magnifiques qu'on eût jamais vues ; elles ne cessaient d'exagérer et

d'envier le bonheur de leur amie, qui cependant ne se divertissait point à voir toutes ces richesses, à cause de l'impatience qu'elle avait d'aller ouvrir le cabinet de l'appartement bas.

Elle fut si pressée de sa curiosité, que sans considérer qu'il était malhonnête[1] de quitter sa compagnie, elle descendit par un escalier dérobé, et avec tant de précipitation, qu'elle pensa[2] se rompre le cou deux ou trois fois. Étant arrivée à la porte du cabinet, elle s'y arrêta quelque temps, songeant à la défense que son mari lui avait faite, et considérant qu'il pourrait lui arriver malheur d'avoir été désobéissante ; mais la tentation était si forte qu'elle ne put la surmonter : elle prit donc la petite clef, et ouvrit en tremblant la porte du cabinet.

D'abord elle ne vit rien, parce que les fenêtres étaient fermées. Après quelques moments, elle commença à voir que le plancher était tout couvert de sang caillé, dans lequel se miraient les corps de plusieurs femmes mortes et attachées le long des murs (c'était toutes les femmes que la Barbe bleue avait épousées et qu'il avait égorgées l'une après l'autre). Elle pensa mourir de peur, et la clef du cabinet qu'elle venait de retirer de la serrure lui tomba de la main.

Après avoir un peu repris ses esprits, elle ramassa la clef, referma la porte, et monta à sa chambre pour se remettre un peu, mais elle n'en pouvait venir à bout, tant elle était émue.

Ayant remarqué que la clef du cabinet était tachée de sang, elle l'essuya deux ou trois fois, mais le sang ne s'en allait point ; elle eut beau la laver, et même la frotter avec du sable et avec du grès, il y demeura toujours du sang, car la clef était fée, et il n'y avait pas moyen de la nettoyer tout à fait : quand on ôtait le sang d'un côté, il revenait de l'autre.

1. Mal élevé.
2. Faillit.


HISTOIRE DE LA BARBE-BLEUE.
Fabrique de PELLERIN, Imprimeur-Libraire, à ÉPINAL.

La Barbe bleue revint de son voyage dès le soir même, et dit qu'il avait reçu des lettres en chemin, qui lui avaient appris que l'affaire pour laquelle il était parti venait d'être terminée à son avantage. Sa femme fit tout ce qu'elle put pour lui témoigner qu'elle était ravie de son prompt retour.

Le lendemain il lui redemanda les clefs, et elle les lui donna, mais d'une main si tremblante, qu'il devina sans peine tout ce qui s'était passé. « D'où vient, lui dit-il, que la clef du cabinet n'est point avec les autres ? – Il faut, dit-elle, que je l'aie laissée là-haut sur ma table. – Ne manquez pas, dit la Barbe bleue, de me la donner tantôt. » Après plusieurs remises[3], il fallut apporter la clef. La Barbe bleue, l'ayant considérée, dit à sa femme : « Pourquoi y a-t-il du sang sur cette clef ? – Je n'en sais rien, répondit la pauvre femme, plus pâle que la mort. – Vous n'en savez rien, reprit la Barbe bleue ; je le sais bien, moi. Vous avez voulu entrer dans le cabinet ! Hé bien ! Madame, vous y entrerez, et irez prendre votre place auprès des dames que vous y avez vues. » Elle se jeta aux pieds de son mari, en pleurant et en lui demandant pardon, avec toutes les marques d'un vrai repentir de n'avoir pas été obéissante. Elle aurait attendri un rocher, belle et affligée comme elle était ; mais la Barbe bleue avait le cœur plus dur qu'un rocher : « Il faut mourir, madame, lui dit-il, et tout à l'heure. – Puisqu'il faut mourir, répondit-elle, en le regardant, les yeux baignés de larmes, donnez-moi un peu de temps pour prier Dieu. – Je vous donne un quart d'heure, reprit la Barbe Bleue, mais pas un moment davantage. »

Lorsqu'elle fut seule, elle appela sa sœur, et lui dit : « Ma sœur Anne (car elle s'appelait ainsi), monte, je te prie, sur le haut de la tour, pour voir si mes frères ne viennent point ; ils m'ont promis qu'ils viendraient me voir aujourd'hui, et si tu les vois, fais-leur signe

3. Délais.

de se hâter. » La sœur Anne monta sur le haut de la tour, et la pauvre affligée lui criait de temps en temps : « Anne, ma sœur Anne, ne vois-tu rien venir ? » Et la sœur Anne lui répondait : « Je ne vois rien que le soleil qui poudroie, et l'herbe qui verdoie. »

Cependant la Barbe bleue, tenant un grand coutelas à la main, criait de toute sa force à sa femme : « Descends vite, ou je monterai là-haut. – Encore un moment s'il vous plaît », lui répondait sa femme et aussitôt elle criait tout bas : « Anne, ma sœur Anne, ne vois-tu rien venir ? » Et la sœur Anne répondait : « Je ne vois rien que le soleil qui poudroie, et l'herbe qui verdoie. »

« Descends donc vite, cria la Barbe bleue, ou je monterai là-haut. – Je m'en vais », répondait sa femme, et puis elle criait : « Anne, ma sœur Anne, ne vois-tu rien venir ? – Je vois, répondit la sœur Anne, une grosse poussière qui vient de ce côté-ci…– Sont-ce mes frères ? – Hélas ! non, ma sœur, je vois un troupeau de moutons. – Ne veux-tu pas descendre ? criait la Barbe bleue. – Encore un petit moment », répondait sa femme ; et puis elle criait : « Anne, ma sœur Anne, ne vois-tu rien venir ? – Je vois, répondit-elle, deux cavaliers qui viennent de ce côté-ci, mais ils sont bien loin encore. – Dieu soit loué, s'écria-t-elle un moment après, ce sont mes frères ; je leur fais signe tant que je puis de se hâter. »

La Barbe bleue se mit à crier si fort que toute la maison en trembla. La pauvre femme descendit, et alla se jeter à ses pieds toute éplorée[4] et toute échevelée. « Cela ne sert de rien, dit la Barbe bleue, il faut mourir. » Puis la prenant d'une main par les cheveux, et de l'autre levant le coutelas en l'air, il allait lui trancher la tête. La pauvre femme, se tournant vers lui, et le regardant avec des yeux mourants, le pria de lui donner un petit moment pour se recueillir. « Non, non, dit-il, recommande-toi bien à Dieu »; et levant son bras…

4. En pleurs.

Dans ce moment, on heurta si fort à la porte, que la Barbe bleue s'arrêta tout court : on ouvrit, et aussitôt on vit entrer deux cavaliers qui, mettant l'épée à la main, coururent droit à la Barbe Bleue. Il reconnut que c'était les frères de sa femme, l'un dragon[5] et l'autre mousquetaire, de sorte qu'il s'enfuit aussitôt pour se sauver ; mais les deux frères le poursuivirent de si près, qu'ils l'attrapèrent avant qu'il pût gagner le perron. Ils lui passèrent leur épée au travers du corps, et le laissèrent mort. La pauvre femme était presque aussi morte que son mari, et n'avait pas la force de se lever pour embrasser ses frères.

Il se trouva que la Barbe bleue n'avait point d'héritiers, et qu'ainsi sa femme demeura maîtresse de tous ses biens. Elle en employa une partie à marier sa sœur Anne avec un jeune gentilhomme, dont elle était aimée depuis longtemps ; une autre partie à acheter des charges de capitaine à ses deux frères ; et le reste à se marier elle-même à un fort honnête homme, qui lui fit oublier le mauvais temps qu'elle avait passé avec la Barbe bleue.

MORALITÉ

La curiosité malgré tous ses attraits,
Coûte souvent bien des regrets ;
On en voit tous les jours mille exemples paraître.
C'est, n'en déplaise au sexe[6], un plaisir bien léger ;
Dès qu'on le prend il cesse d'être,
Et toujours il coûte trop cher.

AUTRE MORALITÉ

Pour peu qu'on ait l'esprit sensé,
Et que du monde on sache le grimoire,

5. Soldat de cavalerie.
6. Le « beau sexe », les femmes.

On voit bientôt que cette histoire
Est un conte du temps passé ;
Il n'est plus d'époux si terrible,
Ni qui demande l'impossible,
Fût-il malcontent et jaloux.
Près de sa femme on le voit filer doux ;
Et de quelque couleur que sa barbe puisse être,
On a peine à juger qui des deux est le maître.

POUR EN SAVOIR PLUS



QUI EST L'AUTEUR DES CONTES DE PERRAULT ?

Ce titre en forme de question n'est pas une plaisanterie, il fait référence à deux petits mystères qui entourent la naissance de ces contes. Mais avant d'en parler, il faut planter le décor. Charles Perrault a plus de soixante ans quand il commence à écrire ses contes. À cette époque, celle de Louis XIV, on ne fait pas vraiment la différence entre les textes d'invention, et on dit aussi bien « conte » que « fable ». Comme il admire beaucoup La Fontaine, Charles Perrault écrit ses premiers contes en vers, on trouve dans ce volume l'un des trois qu'il a écrits, *Peau d'Âne*.

Quand Louis XIV accède au trône de France, Charles Perrault, né en 1628, est encore au collège ; toute sa vie se déroule donc sous le règne du même roi, jusqu'à sa mort en 1703. Or à l'époque du Roi-Soleil, les artistes vivent grâce à des pensions[1] versées par le souverain ou par les

1. Sommes d'argent versées de façon régulière à une personne.

nobles puissants qui l'entourent, à la cour de Versailles. C'est pourquoi Perrault a d'abord écrit de nombreux poèmes en l'honneur du monarque ou des princes et princesses ; il devient alors le collaborateur de Colbert, principal ministre du roi. Dès lors, sa carrière officielle est assurée, il entre à l'Académie française et rédige une grande quantité de livres savants, sur l'histoire et la littérature. Autrement dit, quand il commence à écrire des contes, son œuvre personnelle est déjà importante en volume, mais très sérieuse, et ce sont pourtant les contes qui vont le rendre célèbre.

En ce temps-là, aucun des moyens de communication contemporains n'existait, on pouvait donner des nouvelles par lettres, comme le fit madame de Sévigné, qui écrivait trois fois par semaine à sa fille, madame de Grignan, habitant en Provence. Le voyage des lettres dépendait de l'allure des chevaux et elles mettaient longtemps à rejoindre leurs destinataires. Lorsque madame de Sévigné apprenait les derniers potins[2] de Versailles par ses amis courtisans et les racontaient à sa fille, l'information parvenait en Provence plusieurs semaines après les faits.
Les informations qui circulaient étaient peu nombreuses et leur diffusion ne concernait qu'un petit nombre de personnes ; le premier journal français, une feuille hebdomadaire, venait d'être créé par Théophraste Renaudot. Il n'existait que quelques revues publiant des textes et des œuvres littéraires, mais peu de gens savaient lire, en dehors de la noblesse.

Pour les artistes, les lieux où il fallait faire impression étaient les salons : une dame de la noblesse recevait chez elle, chaque semaine, les « beaux esprits », courtisans, hommes de lettres, femmes cultivées ; on y échangeait des informations sur la cour, on lisait des textes et des poèmes amusants ou émouvants, on jouait de la musique ou à des jeux mais, surtout, on faisait la conversation. Il fallait être brillant,

2. Bavardage souvent médisant.

capable de répliquer du tac au tac, avec humour, légèreté, et dans un langage fleuri[3]. Gare à qui se ridiculisait !
À la fin du XVII^e siècle, dans les salons, la mode était aux contes. Il s'agissait plutôt de récits d'aventures merveilleuses et d'histoires d'amour, avec des héros beaux comme des dieux, des féeries extraordinaires. Les premiers contes écrits par Perrault se différencient assez nettement des contes de l'époque. Il les publie un à un dans des revues, puis on en parle dans les salons, avant que l'ensemble des contes en prose soit publié par un libraire. Les libraires jouaient à l'époque le rôle des éditeurs.

Une guerre, au cours de laquelle ce sont les mots qui étaient des armes, a commencé en 1687 – Perrault avait donc cinquante neuf ans – et s'est appelée la « querelle des Anciens et des Modernes ». En fait, au XVII^e siècle, en particulier au théâtre, avec Corneille et Racine, on avait redécouvert et on admirait beaucoup les auteurs de l'Antiquité grecque et latine. Certains, comme Boileau, affirmaient donc que personne ne pourrait plus jamais écrire aussi bien. D'autres, et Charles Perrault était leur chef de file, affirmaient que les écrivains de leur époque valaient bien ceux du passé. Presque tous ceux qui firent cette guerre des mots appartenaient à l'Académie française. Et les textes s'entrecroisaient comme des lames d'épées lors d'un duel. Par exemple, Boileau publie en 1694 une satire contre les défauts des femmes, et la même année, Perrault réplique par une *Apologie des femmes*. Or, dans le cadre de cette « querelle », l'auteur des contes a beaucoup écrit et publié d'ouvrages savants, comparant les auteurs du passé et les auteurs contemporains, ou célébrant ces derniers.
Le premier mystère qui concerne les *Histoires ou Contes du temps passé*, qu'on appelle aussi *Contes de ma mère l'Oye*, parce que cette formule figure dans le dessin de la couverture, est que ce livre n'est pas

3. Choix de mots et d'expressions qui rendent ce que l'on dit plus beau.

signé Charles Perrault. Quand il paraît en 1697 chez le libraire Claude Barbin, l'auteur indiqué est Pierre Perrault Darmancour, troisième fils de l'écrivain, alors âgé de dix neuf ans. Est-ce donc ce jeune homme qui aurait écrit les fameux contes ? On peut en douter puisque cinq ans après la mort de l'écrivain, une nouvelle édition paraît : on peut lire sur la page de titre « Contes de monsieur Perrault avec des moralités ».
Alors pourquoi indiquer un autre nom d'auteur ? Deux raisons principales peuvent être avancées. En premier lieu, la crainte d'une nouvelle attaque des « Anciens », en particulier Boileau, qui aurait tenté de ridiculiser ces « bagatelles »[4], comme on put le lire dans un journal. En second lieu, pour laisser penser que les contes s'adressent davantage aux enfants qu'aux personnes qui fréquentent les salons, si c'est un jeune homme qui les a écrits. En effet, l'expression « Contes de ma mère l'Oye », même si l'on n'en connaît pas l'origine, était alors synonyme de « contes de nourrices », les histoires que ces dernières racontaient très simplement aux enfants. Et, tout comme La Fontaine dédia ses *Fables* à un enfant, le dauphin, les *Histoires ou Contes du temps passé* sont adressées à « Mademoiselle », nièce du roi, alors âgée de vingt et un ans.

Le second mystère concerne la part qui revient à Perrault dans l'invention de ses contes. Quand, au XIX^e^ siècle, des personnes ont commencé à recueillir des contes du monde entier, on s'est aperçu que certains étaient très proches les uns des autres, même s'ils venaient de pays fort éloignés. Certains ont alors pensé que Perrault s'était contenté de reprendre des contes populaires et de leur donner une forme classique. Mais ce n'est pas aussi simple et si l'on parvient à repérer quelques rares emprunts, l'œuvre de cet écrivain ne ressemble pas à ce qui existait déjà.

4. Choses sans importance ou petits objets de peu de valeur.

De même que La Fontaine, son modèle, n'inventait pas le sujet de ses fables, reprenant ceux d'Ésope et de bien d'autres, mais leur donnant un style inimitable, Perrault a picoré ici ou là des petits bouts de récits populaires, et a inventé une nouvelle forme de conte. Son écriture va à l'essentiel, sans ornements inutiles, par exemple, lorsqu'il écrit « ce méchant loup se jeta sur le Petit Chaperon rouge, et la mangea » ou « je suis résolu de les mener perdre demain au bois » ; il parvient cependant à conserver l'élégance de style des salons, comme le montrent les formules suivantes : « L'ogre le reçut aussi civilement que le peut un ogre » ou « l'aînée lui ressemblait si fort et d'humeur et de visage, que qui la voyait, voyait la mère ». Il renoue avec l'aspect des contes du temps passé, n'hésitant pas à parler de la misère, du peuple, des loups humains, ou de la réussite sociale de paysans. C'est ce mélange subtil qui rendit ses contes célèbres.

En 1704, l'année suivant la mort de Perrault, Antoine Galland commence à publier la première traduction française des *Mille et une nuits*, des contes venus du fond des temps et d'autres continents. Cela aide les gens du XVIIIe siècle à considérer les contes comme des écrits littéraires. Au cours des deux siècles qui suivent, les histoires de Perrault servent de supports à de nouveaux contes populaires, partagés oralement ou par écrit, grâce aux petits livrets de la « Bibliothèque bleue » vendus dans tout le royaume par des colporteurs[5]. Et, alors, de nombreux écrivains prennent le relais, recueillant des contes tout en les récrivant, ou en en inventant de nouveaux : les frères Grimm en Allemagne, Joseph Jacobs en Angleterre, Afanassiev en Russie, Andersen au Danemark...
À partir du XIXe siècle, les éditions fidèles aux textes de Perrault se multiplient, principalement destinées aux enfants, et les *Contes* de Perrault sont traduits dans de nombreuses langues.

5. Marchands ambulants.

LES IMAGES DES CONTES



▲ **Gustave Doré**
(1869)



▲ **Walter Crane**
(vers 1875)

Les contes de Perrault ont eu un tel succès qu'on les a publiés à toutes les époques et dans tous les pays, ensemble ou séparément. Les éditions ont été illustrées avec des images très différentes selon les moyens techniques qui permettaient de les produire, les goûts de l'époque, les choix des artistes, ou les lecteurs auxquels on destinait ces contes.
Depuis l'édition de 1697, et pendant un siècle et demi, les contes n'ont comporté le plus souvent qu'une illustration pour chacun. Elle était



▲ **Félix Lorioux**
(1920)



▲ **Edgard Tytgat**
(1917)



▲ **Marjolaine Leray**
(2009)



▲ **Jean Claverie**
(2009)

placée au début de l'histoire et réalisée en gravure noir et blanc, quelquefois colorée. Dès que cela a été possible, le nombre des illustrations a augmenté et elles sont venues marquer les moments forts du récit. Les moyens modernes d'imprimerie ont permis d'introduire la couleur dans la majorité des images et de laisser une grande liberté aux créateurs. *Le Petit Chaperon rouge*, par exemple, a été représenté des milliers de fois, en petite fille, en demoiselle blonde, brune ou rousse …

Pendant le XVIIIe siècle, on ne sait imprimer les images qu'une à une et en une seule couleur, si bien qu'il y en a peu dans les livres.
À la fin du XVIIIe siècle et durant le XIXe siècle, des marchands ambulants, les colporteurs, vont de village en village et vendent des petits livres de contes ou des images d'Épinal qui, en une seule page, racontent toute une histoire comme, plus tard, les bandes dessinées.



▲ **Gravure d'Antoine Clouzier (1697) pour *Le Chat botté*. Celui-ci menace un paysan de le hacher « menu comme chair à pâté », s'il ne dit pas au roi que le champ qu'il fauche appartient au marquis de Carabas.**



▶ **Gravure pour l'édition originale des *Contes de ma mère l'Oye*, titre originel des *Contes* de Perrault (1697). L'ogre est endormi, le petit Poucet prend les bottes de sept lieues.**

Les planches sont d'abord réalisées par gravure sur bois. Mais à partir de 1850, un procédé de gravure sur pierre, la lithographie, permet d'augmenter la production et de donner aux images d'Épinal une grande diffusion.
Tous les contes de ce livre sont illustrés avec des reproductions d'images imprimées dans la ville d'Épinal qui leur a donné son nom.



▲ **Lithographie en couleur. Épinal, imprimerie Pellerin (1860). Cette planche illustre le conte *Cendrillon*, une autre lithographie illustre le conte *La Barbe bleue*, page 118.**

▼ **Lithographie coloriée, (1860). La marraine de Cendrillon transforme la citrouille en carrosse.**





▲ Illustration de Walter Crane.
Lithographie (1880).
Le prince se met à genoux,
la princesse s'éveille.

À cette époque, les éditions illustrées se multiplient et le nombre d'images consacrées à chaque conte augmente. Les dessinateurs romantiques ont envie de représenter des décors magnifiques, des fées, des belles robes, et beaucoup d'autres dessinateurs ont continué au XX^e siècle.



▲ ***La Belle au bois dormant*, tableau peint par Daniel Maclise (1842).**
▼ **Ci-dessous, un détail du tableau, le prince entre dans la chambre dorée de la belle au bois dormant.**



En 1862, Jules Hetzel, qui est aussi l'éditeur de Victor Hugo, décide de publier une édition de luxe des contes de Perrault. Il demande à un célèbre dessinateur, Gustave Doré, de l'illustrer. Les gravures qu'il réalise sont merveilleuses et impressionnent fortement le lecteur. De nombreux artistes s'en sont inspirés après lui.



▲ **Gustave Doré : scène où l'ogre croit égorger le petit Poucet et ses frères, alors qu'en réalité, « il coupa, sans balancer, la gorge de ses sept filles ». Les petites ogresses endormies ont à portée de main quelques os, comme des doudous.**

▼ **Gustave Doré : le Chat botté porte un costume de grand seigneur et appelle « Au secours ! Au secours ! Voilà M. le marquis de Carabas qui se noie », pendant que son maître fait semblant de se noyer.**



Au XX^e siècle, la ronde des images continue. Les livres de contes destinés aux enfants commencent à ressembler à des albums. On choisit pour les illustrer des images souvent amusantes, très dynamiques, expressives et colorées.

Un siècle après Hetzel, les éditeurs font appel, comme lui, au talent d'artistes contemporains pour illustrer les *Contes* de Perrault, estimant que les enfants méritent de belles images.

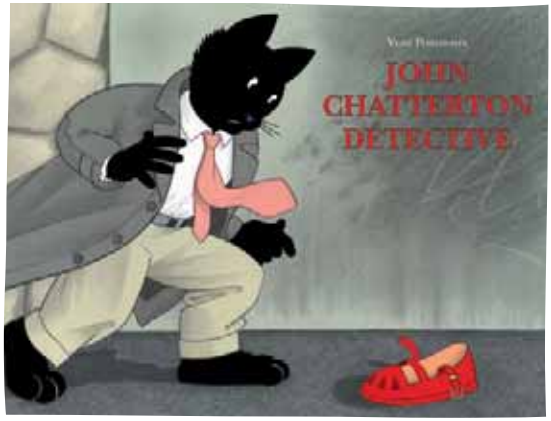




◀ Cendrillon, par Arthur Rackham (1919). Cet artiste a également illustré des contes avec des silhouettes comme celles de la farandole au bas de l'image. Les personnages du film de Michel Ocelot, *Princes et princesses*, rappellent ces silhouettes.

▲ La douceur du trait et les couleurs tendres de Jean Claverie ne font pas oublier la tristesse qui accompagne la naissance de Riquet à la houppe (1988).

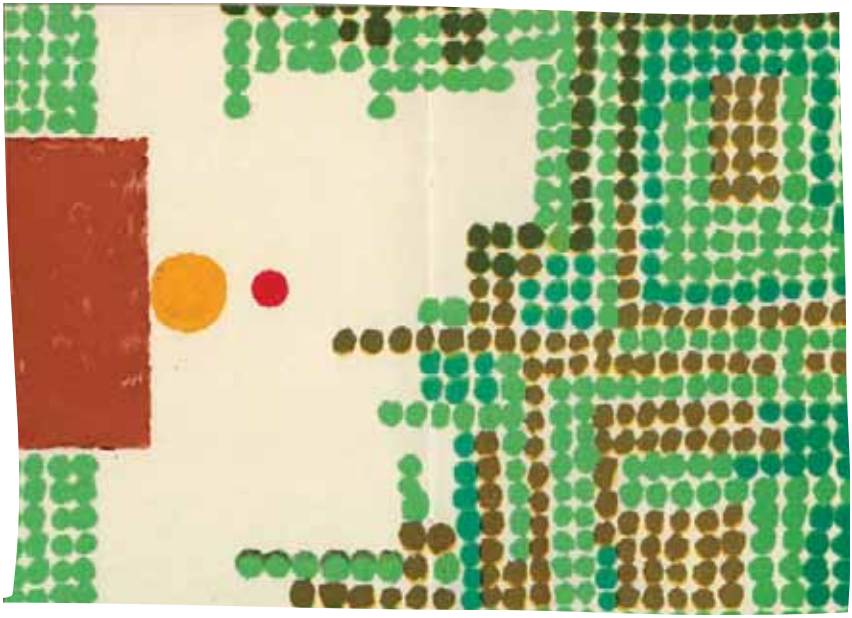
Plus près de nous, les éditeurs et les écrivains commencent à jouer avec les contes, souvent récrits : *Le petit Chaperon* passe par toutes les couleurs, *La Belle au bois dormant* fait l'objet d'une enquête policière, ou bien un rat, transformé en être humain par la fée marraine de Cendrillon, écrit un roman pour raconter son aventure.
D'autres arts contribuent à illustrer les contes, comme la photographie, ou à en donner une nouvelle représentation, comme le cinéma.



▲ **Yvan Pommaux inscrit dans son histoire du petit Chaperon rouge, (1993), un chat, détective privé. Il est chargé d'enquêter sur la disparition de la fillette qui a perdu une chaussure rouge…**



▶ **Rencontre de l'ombre du loup et de l'ombre du petit Chaperon rouge dans une photographie de Sarah Moon de 1938, reprise dans l'édition Grasset en 1983.**





▲ L'artiste Warja Lavater remplace chaque personnage et chaque élément de décor du *Petit Chaperon rouge* (1965) par un signe suivant un code donné dans l'image de gauche.
La maison est représentée par le rectangle marron, la forêt par les points verts, la mère par le gros point orange, le Chaperon rouge par le petit point rouge.



◀ *Peau d'Âne*, film musical tourné par Jacques Demy (1970).

CRÉDITS PHOTOS

© La Collection / Jean-Paul Dumontier

- Pages 10, 13. *Contes de ma mère l'Oye*. 1697. *Le Petit Chaperon rouge*. Charles Perrault.
Image d'Épinal, 1910. Collection particulière.
- Pages 20, 24. *Le Petit Poucet*. Conte de Charles Perrault.
Image d'Épinal, 1910. Collection particulière.
- Pages 44, 50. *Contes de ma mère l'Oye*. 1697. *Cendrillon, ou la petite pantoufle de verre*. Charles Perrault. Image d'Épinal, 1910. Collection particulière.
- Pages 56, 60. *Contes de ma mère l'Oye*. 1697. *Le Maître Chat ou Le Chat botté*. Charles Perrault. Image d'Épinal, 1910. Collection particulière.
- Page 72. *Riquet à la houppe*. Conte de Charles Perrault. Édition de 1900. Collection particulière.
- Page 130. *Le Petit Chaperon rouge*. Conte de Charles Perrault. Gravure de Gustave Doré. Édition de 1869. Collection particulière.
- Page 136. *Le Petit Poucet*. Conte de Charles Perrault. Gravure de Gustave Doré. Édition de 1869.
- Page 137. *Le Chat botté*. Conte de Charles Perrault. Gravure de Gustave Doré. Édition de 1869.

© akg-images

- Page 36. *La Belle au bois dormant*. Conte de Charles Perrault. 1865. Collection particulière.

© RMN / Franck Raux

- Page 118. *La Barbe bleue*. Conte de Charles Perrault. Lithographie coloriée. Imprimerie Pellerin. Paris. MuCEM, Musée des civilisations de l'Europe et de la Méditerranée.

© Bianchetti / Leemage

- Page 124. Portrait de Charles Perrault in : « *Les Contes de fées* » Illustration d'Adrien Marie, 1884. Collection particulière.

© Hartlepool Museum Service, UK / Bridgeman Art Library

- Page 135. *La Belle au bois dormant*. 1842. Huile sur toile de Daniel Maclise.

© Collection Kharbine Tapabor

- Page 16. *Le Petit Poucet*. Conte de Charles Perrault. Imagerie populaire au pochoir. Images amusantes d'Épinal. Édition Pellerin. Fin XIX^e siècle.
- Page 30. *La Belle au bois dormant*. Conte de Charles Perrault. Nouvelle série des contes de fées. Imagerie populaire au pochoir. Type Épinal. Fin du XIX^e siècle.

• Page 66. *Riquet à la houppe*. Conte de Charles Perrault. Imagerie populaire au pochoir. Édition Pellerin à Épinal. Fin du XIXe siècle.
• Page 80. *Histoire de Peau d'Âne*, album d'images de Charlet Pinot, éditeur à Épinal. Fin du XIXe siècle. Non daté. Imagerie populaire au pochoir.
• Pages 86, 90, 96, 104. *Peau d'Âne*. Album d'images d'Épinal. Imagerie populaire au pochoir. Fin XIXe siècle, vers 1860.
• Pages 108, 110. *Les Fées*. Conte de Charles Perrault. Imagerie Pellerin à Épinal. Fin XIXe siècle.
• Page 114. *La Barbe bleue*. Conte de Charles Perrault. Petit livret. Imagerie populaire, offert par les Grands Magasins du Printemps. Illustration Gillot, vers 1890.
• Page 132. Gravure pour l'édition originale des *Contes de ma mère l'Oye*, titre originel des Contes de Perrault. « Histoires ou contes du temps passé avec des moralitez », 1697. Ces vignettes étaient attribuées à Charles Perrault lui-même.
• Page 133. *Cendrillon, ou la petite pantoufle de verre*. Conte de Charles Perrault. Imagerie populaire d'Épinal. Vers 1890.
• Page 134. *La Belle au bois dormant*. Illustration de Walter Crane. Lithographie vers 1880. Éditions Georges Routledge and sons.
• Page 138. *Cendrillon* de Charles Perrault. Illustration par Arthur Rackham. Édition de 1919.

© Anthony Crane Collection, UK / Bridgeman Art Library
• Page 130. *Le Petit Chaperon rouge*. Conte de Charles Perrault. Illustration de Walter Crane (1845-1915).

© Lavater / Maeght Editeur. 2011
• Page 141. *Le Petit Chaperon rouge*. Dessiné par Warja Honegger-Lavater. Lithographies.1965.

© Rue des Archives / Ciné-Tamaris
• Page 141. *Peau d'Âne* Film de Jacques Demy avec Catherine Deneuve. 1970.

© DACS / Roger Perrin / Bridgeman Art Library
• Page 131. *Le Petit Chaperon rouge*. Conte de Charles Perrault. Illustration de Félix Lorioux (1872-1964). Gravure colorée. Collection particulière.

© Roger-Viollet
• Page 132. *Le Chat botté*. Page de l'édition originale des *Contes* de Charles Perrault, 1697.

© Éditions Actes Sud, 2009
• Page 131. *Un Petit Chaperon rouge*. Marjolaine Leray.

© UCL-Musée de Louvain-la-Neuve
• Page 131. Edgard Tytgat (1879-1957), *Le Petit Chaperon rouge*, 1917. Linogravure. Musée de Louvain-la-Neuve. Inv. n°ES659. Fonds S. Lenoir. Photographie J.-P. Bougnet.

© Éditions Mijade, 2009
• Page 131. *Le Petit Chaperon rouge*. Conte de Charles Perrault. Illustration de Jean Claverie.

© 1988. Albin Michel Jeunesse. Paris
• Page 139. *Riquet à la houppe*. Illustration de Jean Claverie.

© Éditions l'école des loisirs, 1993.
• Page 140. *John Chatterton détective*. Illustration d'Yvan Pommaux.

© 1983 Sarah Moon © 2002 Éditions Grasset & Fasquelle- France
• Page 140. *Le Petit Chaperon rouge*. Perrault et Sarah Moon. Photographie de Sarah Moon. Grasset – *Monsieur Chat*.

© RMN / Thierry Le Mage
• Page 133. *Histoire de Cendrillon*. Lithographie coloriée. Papier doré. 1860. Imprimerie Pellerin. Paris. MuCEM, Musée des Civilisations de l'Europe et de la Méditerranée.

© Éditions Hatier, 1986.
• Page 139. *Les Fées*. Illustration de Kelek.

Ministère de l'éducation nationale,
de la jeunesse et de la vie associative
110, rue de Grenelle – 75357 Paris SP07

Édition
Centre national de documentation pédagogique
Téléport 1 @4 – BP 80158 – 86961 Futuroscope cedex

Création graphique
W & Cie – 1, cours de l'île Seguin – 92650 Boulogne-Billancourt

Impression
imprimé en France par Vincent Imprimeries

Dépôt légal : mai 2011
ISBN : 978-2-240-03227-0
Papier couverture : certifié PEFC
Papier intérieur : 100 % recyclé à partir de papiers usagés recyclés

Exemplaire gratuit, offert en juin 2011 aux enfants des classes de CM1







Avec le soutien de la

FONDATION TOTAL

ISBN 978-2-240-03227-0

Twitter: @6a1f
14.5.2014

شارل بيرّو

حكايات أمّي الإوَزّة

@ketab_n



@ketab_n

ترجمها عن الفرنسية
ياسر عبد اللطيف

مختارات مشروع «كلمة» من أدب الناشئة الفرنسيّ

شارل بيرّو

حكايات أمّي الإوَزّة

ترجمها عن الفرنسية
ياسر عبد اللطيف

مراجعة
كاظم جهاد

Twitter: @6a1j

الطبعة الأولى 1434هـ 2013م
حقوق الطبع محفوظة
© هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة مشروع «كلمة»

PQ1877 .C5412 2013
Perrault, Charles, 1628-1703
[Contes de ma mère l'Oye]
حكايات أمّي الإوَزّة / شارل بيرو ؛ ترجمة ياسر عبد اللطيف ؛ مراجعة كاظم جهاد.–
أبوظبي : هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة، كلمة، 2013.
173 ص. ؛ 12.5×17.8 سم.
مختارات مشروع «كلمة» من أدب الناشئة الفرنسيّ.
ترجمة كتاب : Contes de ma mère l'Oye
تدمك: 978-9948-17-143-0
أ–عبد اللطيف، ياسر. ب–جهاد، كاظم.

هذه ترجمة لنصوص الكاتب الفرنسيّ شارل بيرّو

حكايات أمّي الإوَزّة

Charles Perrault, *Contes de ma mère l'Oye*

رسم الغلاف والرّسوم الدّاخليّة للرّسام الفرنسيّ غوستاف دوريه

Illustrations par Gustave Doré (1832-1883)

كلمة www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

الهدهد HUDHUD
ص.ب: 440050، الهدهد للنشر والتوزيع شارع دمشق – القصيص دبي – الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 042206117

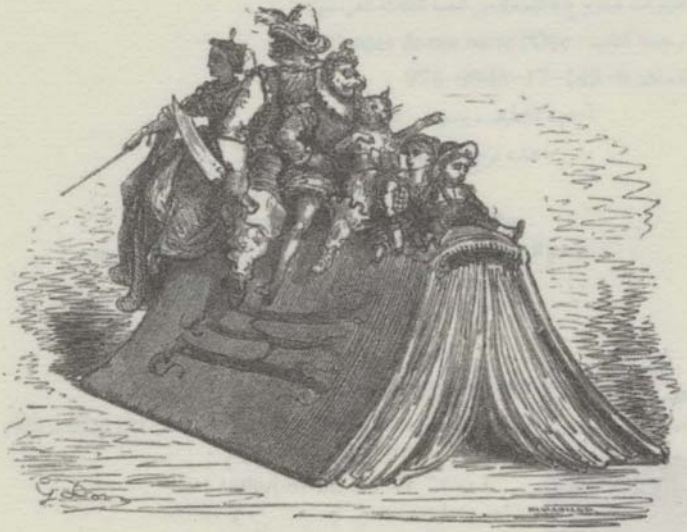
إن هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة مشروع «كلمة» غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر وجهات النظر الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة عن الهيئة.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لـ مشروع «كلمة»
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @6a1f

حكايات
أمّي الإوَزّة

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1j

المحتوى

هذه السّلسلة 7
هذا الكتاب 11
إضاءات 15
الحسناء النّائمة في الغابة 23
ذاتُ القَلَنْسُوة الحَمراء 49
ذو اللّحية الزّرقاء 57
القطّ العارف أو القطّ ذو الجزمَتين 73
ساحرات الجنّ 78
سندريلاّ والخُفّ البلّوريّ الصّغير 95
ريكيه ذو القُنزُعة 111
أَصَيبِع 125
جِلدُ الحِمار (انطلاقاً من حكاية شعريّة لشارل بيرّو) 153

Twitter: @6a1f

هذه السلسلة

يشكّل أدب النّاشئة أحد أهمّ أجناس الأدب العالميّ، تتبارى أكبر دور النّشر الغربيّة لاحتضان أفضل نماذجه، القديم منها أو الجديد. مبدئيّاً، يتوجّه هذا الأدب للنّاشئة ممّن تتراوح أعمارهم بين الثّامنة والثّامنة عشرة، فهو يتمّم أدب الأطفال ويمهّد لأدب الرّاشدين أو الكبار. ومع ذلك فما فتئت نصوصٌ عديدة منه تجتذب قرّاءً من مختلف الأعمار، لما يجدون فيها من فتوّةٍ للسّرد وعذوبةٍ للّغة وانتشارٍ باذخٍ للخيال.

رافقَ هذا الأدب، في صيَغه الشّفويّة، فجرَ جميع الثّقافات. واعتباراً من القرن السّابع عشر حوّله لفيفٌ من الكتّاب الفرنسيّين إلى جنسٍ أدبيّ مكتوب قائم بذاته وله أساليبه ومناخاته وقواعده. ولئن كان أغلب روّاده الكبار، وبخاصّةٍ شارل بيرّو وماري-كاترين دَونوا، قد أوقفوا عليه جلّ نشاطهم الإبداعيّ، مكتفين بالكتابة للنّاشئة، فإنّ العديد من كبار كتّاب الأجيال والقرون اللاّحقة قد خضعوا لجاذبيّة هذا الجنس، فخصّوه بأثَرٍ أدبيّ أو أكثر أضافوه إلى إبداعاتهم المنضوية تحت لواء أجناسٍ أخرى. بفضل صنيعهم هذا، لم يعد أدب النّاشئة محبوساً في إطار الشّائق والعجيب أو في مناخات قصص السّاحرات والجنيّات،

Twitter: @6a1j

بل صار يخترق كلاًّ من التّاريخ والواقع المعيش وجغرافية العالَم وآفاق الفكر الرحبة ويضيئها من داخلها، مصوِّراً إيّاها بعين الأجيال الصّاعدة وحساسيّتها. هكذا مارس هذا الجنسَ الأدبيَّ أساطينُ في فنون السّرد من بينهم رائد الرّواية التاريخيّة ألكساندر دوما والكاتب الواقعيّ غي دو موباسان وآخرون عديدون.

إنّ الغاية التي وضعت الكونتيسة دو سيغور رواياتها للنّاشئة تحت شعارها، ألا وهي تثقيف النّاشئة وتوعيتهم بوسائل الأدب والتّعجيب القصصيّ، تظلّ حاضرة بدرجات متفاوتة من الإضمار في كلّ النّماذج الكبرى من هذا الجنس. من هنا، فإنّ هذه السّلسلة، المخصّصة لترجمة مجموعة من المؤلّفات العالميّة في هذا المضمار، والتي يساهم في نقلها إلى لغة الضادّ فريق من ألمع أدبائها ولغويّيها ومترجميها، إنّما تطمح لا إلى تزويد النّاشئة العرب بنماذج أساسيّة من هذا الجنس الأدبيّ فحسب، بل كذلك إلى إغناء الأدب العربيّ نفسه بإجراءات سرديّة وشعريّة قد يكون كتّاب العربيّة في شتّى ممارساتهم ومَشاربهم بحاجة إليها.

وللباعث نفسه، يتمثّل أحد رهانات هذه السّلسلة، من حيث صياغة النّصوص، في تحاشي التبسيط المفرط والإفقار العامد للّغة، اللّذين غالباً ما يُفرَضان على هذا النّمط من الحكايات، بتعلّة توجّهها للناشئة. بلا تقعيرٍ للكلام، ولا تعقيدٍ لا جدوى

Twitter: @6a1f

منه، سعى محرّر هذه السّلسلة ومترجموها إلى إثراء خيال الناشئة لا بالصّوَر والتّجارب فحسب، بل بالأداءات اللغويّة والإجراءات التعبيريّة أيضاً. ولقد بدا لنا خيارٌ كهذا أميناً لطبيعة النّصوص وكتابتها من جهة، وللمطلب الأساسيّ المتمثّل في إرهاف التلقّي الأدبيّ للناشئة من جهة أخرى. وإذا ما التبسَ على هذا القارئ أو ذاك معنى مفردةٍ ما أو صيغةٍ ما، فلا أسهلَ من أن يستعين بالمَعاجم أو يسأل الكبار حولَه إضاءتها له. هكذا تنشأ تقاليد في القراءة وتتعزّز طرائقُ تشاوُرٍ وحوار.

المحرّر

كاظم جهاد

Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1J

هذا الكتاب

يُعدّ كتاب **حكايات أمّي الإوزّة** للكاتب الفرنسي شارل بيرّو (1628-1703م) من كلاسيكيّات الأدب الأوروبيّ الموَجه للناشئة. وهو من الكتب التي اهتمّت في تاريخ جدّ مُبكر بجمع الحكايات الشعبية، أو ما يُعرف في التراث الأوروبيّ ب «حكايا الجِنّيات»، وبنقلها من التقاليد الشفاهيّة إلى الأدب المكتوب. ويضُمّ الكتاب تسعاً من هذه الحكايات، كتبها بيرّو بأسلوب سرديّ رفيع وبلغة أدبية جزلة. وقد راعى تنقيحها من الفجاجة التي كانت تشوبها في طورها الشفاهيّ؛ وإن لم يُحدّد المصادر التي استقاها منها.

صدر كتاب **حكايات أمي الإوزّة** في فرنسا لأوّل مرّة سنةَ 1697، وبذا فقد سبقَ بمائة وسبعة عشر عاماً كتاب **حكايات الأخوين غريمْ** Grimm الصّادر في ألمانيا، والذي يُعّدّ المصنَّف الأشهر في هذا المجال. ولم يعرف المؤرّخون تجربة سابقة على تجربة شارل بيرّو سوى كتاب **البنتاميرون** والمعروف أيضاً بكتاب **حكاية الحكايات** للمؤلّف الإيطاليّ جانباتيستا بازيله Giambattista Basile، والصادر قبله بخمسين عاماً.

لم يُترجم الكتاب في نسخته الكاملة حسبَ علمنا إلى العربية

Twitter: @6a1f

حتى الآن ترجمة أمينة كاملة، وإن تُرجمت بعضُ حكاياتِه بتصرّف، أو تمّ تعريبها على الطريقة القديمة، ونشرت متفرقّة في بعض العواصم العربية؛ ونذكر منها تعريب الكاتب عادل الغضبان لحكاية الحسناء النائمة، التي نشرتها دار المعارف المصرية في منتصف القرن المنصرم في سلسلتها الشّهيرة المكتبة الخضراء.

وتظلّ قصة ذات القلنْسوة الحمراء، والمعروفة لدينا بقصة ذات الرّداء الأحمر، أشهر حكايات هذا الكتاب في الثقافة العربية، وهي أمثولة تحذيريّة للفتيات من وحوش الحيوان ووحوش البشر أيضاً، وقد تمّ تعريبها مرّات عدّة اعتماداً على كتاب بيرّو تارة، واعتماداً على نسخة الأخوين غريم تارة أخرى. وتختلف نسخة الاخَوين غريم بالألمانيّة في نهايتها عن نسخة بيرّو: فبينما تنتهي الحكاية لدى الأخير بالتهام الذئب للجدّة وحفيدتها، تنتهي نسخة الأخوين غريم نهايةً سعيدة، إذ يظهر فجأةً أحد الصَيادين فيشقّ بطن الذئب، ويُخرج الجدّة والحفيدة من داخله. وقد دخلت هذه القصة إلى صميم الوجدان العربيّ لصلاحيّتها للتداول في كلّ الثقافات، حتى أنه قد تمّ تعريب محتواها ذاته، وأصبحت تُعرف في بعض البلدان العربية بحكايةِ ليلى والذئب.

وشارل بيرّو واضع هذا الكتاب، هو أحد أهم وجوه الأدب الفرنسيّ في القرن السّابع عشر. له مؤلفات دينية عدّة، لكن

Twitter: @6a1f

تبقى الحكايات هي أشهر أعماله قاطبةً. وقد خدم بيرّو في بلاط الملك لويس الرابع عشر لسنوات، كما كان عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وقاد في داخلها فريقَ المجدّدين في المعركة التي خاضوها ضد أصحاب النزعة التقليدية المحافظة بقيادة الشاعر نيكولا بوالو Nicolas Boileau.

المترجم

ياسر عبد اللّطيف

Twitter: @6a1f

Twitter: @6a1j

إضاءات

حرصَ محرّر هذا الكتاب ومترجمه على ردّ عناوين حكايات شارل بيرّو هذه إلى صيَغها الأصليّة والابتعاد عن الصّيَغ المبتورة أو المحوَّرة، التي ترافقها في أغلب الخلاصات الموضوعة لها بالعربيّة أو في الترجمات المتداوَلة في هذه اللّغة لأفلام الرّسوم المتحرّكة المستوحاة من هذه الحكايات. وستأتي حاشية لإضاءة بعض العناوين عند الضّرورة.

أمَا بخصوص عنوان مجموعة الحكايات نفسه، فينبغي الإشارة إلى أنّ شارل بيرّو قد بدأ إسهاماته الرّائدة في حكايا الجنّ بكتابة حكايات منظومة، كما كان يفعل معاصره الشّاعر الشّهير لا فونتين (1661-1695) La Fontaine بحكاياته الخرافيّة الحِكَميّة المعروفة. هكذا نشر بيرّو ثلاث حكايات في أبيات، ثمّ انعطف إلى معالجة الحكايات نثراً. وقد أصدر في 1697، عن منشورات كلود باربان Claude Barbin ، كتاباً جمعَ فيه حكاياته التّسع الماثلة في هذا الكتاب، وهي كلّها مكتوبة نثراً، ما عدا الأخيرة منها، ولنا إليها عودة. منح بيرّو كتابه عنوان **أقاصيص أو حكايات من الأزمنة الخَوالي**، تصحبها عِبَرٌ *Histoires ou Contes du temps passé. Avec des Moralités*. على أنّ الغلاف ضمّ عنواناً ثانويّاً أو

Twitter: @6a1f

ثانياً هو **حكايات أمّي الإوزّة** *Contes de ma mère l'Oye*. والحال أنّ العديد من الطّبعات اللاّحقة أخذت بالعنوان الثاني، تفضيلاً له على الأوّل. ذلك أنّ العنوان الثاني ليس أكثر تعبيريّةً فحسب، بل هو بالأصل تسمية جماهيريّة كانت شائعة لجميع الحكايات من هذا النّوع، شأنها شأن التسمية الذّائعة الأخرى **حكايات جِلد الحمار**، التي استعارها بيرّو عنواناً لإحدى أشهر حكاياته. تحمل التّسمية حكايات جِلد الحمار دلالة سلبيّة أو قدْحيّة، تلمّح إلى أنّ حكايات كهذه هي تَخاريفُ لا يمكن تصديقها ولا تفيد في ما هو أبعد من التّسلية. خلافاً لذلك، تشير التّسمية الأخرى، حكايات أمّي الإوزّة، لا إلى الطبيعة العجائبيّة أو الخياليّة لهذه الحكايات فحسب، بل تجمع أيضاً هذا الجنس الأدبيّ بالأجواء العائليّة الحميمة، وبحكايا الجدّات والأمّهات. ففي اعتقاد الكثير من المحلّلين والكتّاب، ترمز الإوزّة إلى المرأة المسنّة التي تخفّفت، بفضل سنّها نفسها، من الأعباء اليوميّة وراحت تغذّي أمام أبنائها وأحفادها مواهبها السّرديّة في الأماسي والأعياد. وقد تبنّى بيرّو هاتين التسميتين، وأنعشَهما بشحنة إيجابيّة عالية، معبِّراً من خلالهما عن كامل افتخاره بهذا الجنس الأدبيّ الذي عملَ هو وآخرون قلائل، من كتّاب وكاتبات، على رفعه إلى مستوى الأدب الكبير. وتيَمُّناً بإجراءاته هو نفسه، وبعنوانه الذي اعتادته أجيال

Twitter: @6a1j

عديدة، منحْنا هذه الحكايات في ترجمتها هذه عنوان **حكايات أمّي الإوزّة**، عِلماً بأنّ الطبعات الفرنسيّة الحاليّة تجمع حكاياته المنظومة والنثريّة تحت عنوان شامل ووجيز هو **حكايات** *Contes* .

وبخصوص **حكاية جِلد الحِمار**، ينبغي التنويه بأنّها من حكايات بيرّو المنظومة شعراً. وقد عرفَت انتشاراً كبيراً. وبموازاة صيغتها الشعريّة الأصليّة، شاعت الحكاية في صيغة نثريّة هي من الجودة والأمانة للغة بيرّو وصوَره وحيَله السرديّة بحيث ساد الاعتقاد بأنّه هو نفسه واضعها، وهي في حقيقة الأمر من وضع ناشر أو قارئ غفْل. وقد عبّر الروائيّ الفرنسيّ غوستاف فلوبير Gustave Flaubert، في رسالة إلى صديقته لويز كوليه Louise Colet حملت تأريخ 16 كانون الأوّل/ ديسمبر 1852، عن كبيرِ إعجابه بمُجمَل حكايات بيرّو، وبهذه الحكاية في صيغتها هذه تحديداً، واستشهد بعباراتٍ منها، وكان يعتقد أنّ هذا الأخير هو من سطّرها بنفسه. ونظراً لخصوصيّات حكايات بيرّو المنظومة، التي تتّسم، لِعتَقِ لغتها النّسبيّ، بقدر من التعقيد لا بأس به، آثرنا هنا أن تُترجَم هذه الحكاية في صيغتها النثريّة، منبّهين في الأوان ذاته إلى أنّ نصّها كان قد وُضِعَ انطلاقاً من أبيات المؤلِّف، فهي تحمل أجواء نصّه الأصل ولغته وبلاغته، سوى أنّها تختلف عنه في ترتيب العبارات. وهذا كلّه يطرح في النّهاية سؤال حكايات بيرّو الشعريّة، التي

Twitter: @6a1f

تُنشَر تارةً في مجموعة مستقلّة، وطوراً إلى جانب حكاياته المكتوبة نثراً. فممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الحكايات المنظومة ينبغي أن تُترجَم إلى العربيّة يوماً.

نشير أخيراً إلى أنّ البحث في المصادر التي استعار منها شارل بيرّو بذورَ حكاياته قد شهد في العقود الأخيرة تطوّرات كبيرة أفضت إلى نتائج شديدة الحسم. ويُجمِع الباحثون على أنّ بيرّو لم يكن لِينسخ مصادره، شفويّةً كانت أو مكتوبة، بل هو يصهر كلّ شيء ويعيد سبْكه على شاكلته ويُغنيه بما ليس فيه. هكذا بحيث ذهبت إحدى شارحات عمله، كاترين مانيان Catherine Magnien ، إلى حدّ القول إنّ بيرّو لم يتأثّر بالفولكلور الحكائيّ بقدر ما أثّر هو فيه. وبالفعل، فإنّ العديد من الصّيَغ اللّغويّة والإجراءات السرديّة التي شاعت على أثره في كتابة حكايا الجنّيات كان هو المُبادِر إليها. فمثلاً، إنّ الصّيغة المتعارَف عليها بالفرنسيّة كمقابل للصّيغة العربيّة «كان يا ما كان»: *Il était une fois* (حرْفيّاً: «كان هناك ذاتَ مرّةٍ»)، يُجمع مؤرّخو الأدب على أنّه هو من ابتكرَها وأوّل من استخَدمها في 1694، ثمّ فرضت نفسها فاتحة للحكايات.

الشّيء ذاته عن تأويل حكاياته وعرض أبعادها الرمزيّة ومداليلها الثقافية والتربويّة. فقد حقّق البحث فيها نتائج باهرة

Twitter: @6a1j

لم نشأ أن نثقل بها على النّاشئة من القرّاء، سواء في التقديم أو في حواشي هذه الترجمة. والحقّ، فإنّ العِبَر المنظومة التي اعتاد بيرّو أن يختم بها حكاياته تدلّ بنفسها القارئ على الاتّجاه الأساس الذي ينبغي أو يمكن أن ينتهجه في قراءته، وتظلّ اتّجاهات تأويل أخرى ممكنة بالطّبع دوماً. من موضوعات ومواقف ولوحات سائدة في ثقافة عصره، كالحسناء النؤوم أو الجنيّات المُحسِنات والأخرَيات النّاقمات، ينسج بيرّو حكايات تجمع أناقة السّرد وفتنة اللّغة إلى نفاذ الفكر. وفي التّحليل الأخير، ليست الخلاصات التي ينتهي إليها قارئ هذه الحكايات بالشديدة الابتعاد عمّا يجده في حكايات عجائبيّة يعرفها قرّاء العربيّة من قبل، **حكايات كليلة ودمنة** الخرافيّة مثلاً. فحكاية **الحسناء النائمة في الغابة** تعلّمنا محاسن الانتظار، وترينا أنّ في مقدورنا دوماً أنّ نحوّل العوائق إلى عوامل حفزٍ ومُساعَدة. وحكاية **ذات القلنسوة الحمراء**، تؤكّد على ضرورة الاحتراس من الذّئاب والماكرين بعامّة، وتُبرز أهميّة المسار التلقينيّ في حياة الفتاة، يذهب من الجدّة إلى البنت مروراً بالأمّ. وحكاية **ذو اللّحية الزّرقاء** تصوّر مَخاطر الفضول، وتُدين فظاظة بعض الأزواج، وفي الأوان ذاته تُنعش السّردَ وتُشوّق القارئَ بعناصر معهودة في قديم الحكايات، كالحُجرة المحرَّمة وقطرات الدّم غير القابلة للمحو. وحكاية **القطّ العارف أو القطّ ذو الجزمتين**

Twitter: @6a1f

تُطنب في الإطراء على الكائن الصّغير الذي يثبت ببراعته وتفانيه كونه أفضل حليف ممكن في الحياة. والحكاية الشّديدة الوجازة **ساحِرات الجنّ** ترينا أنّ من شأن عذوبة الكلام أن تحقّق من النّتائج ما لا تقدر عليه فعالٌ كثيرة. ولعلّ الحكاية الواسعة الانتشار **ساندريلاّ أو الخُفّ البلّوريّ الصّغير** تشكّل أفضل معالجة معروفة للفكرة التقليديّة التي مفادها أنّ الكياسة وروح اللّطافة يمكن أن تنقذا كائناً وتقوداه من العيش في كومة من الأرمدة إلى اعتلاء العرش. وبوجازة مماثلة، وبالاقتدار اللّماح ذاته، ترينا حكاية **ريكيه ذو القُنزُعة** أنّ رجلاً وامرأةً متحابّين يمكن أن يعذر أحدهما ما يكون لدى الآخر من قصورٍ أو نقصٍ، دمامة أحدهما مثلاً أو النّصيب المتواضع من العقل لدى الآخر، وأن يحوّله، بقوّة الحبّ الإعجازيّة، إلى ضدّه. وحكاية **أُصيبع** تأتي لتنتشل الأخ الصغير، أو المولود الأخير، من التّهميش والازدراء وتجعل منه، بقدراته الضئيلة وتفكيره العميق، مُنقِذاً لإخوته. وأخيراً، نقف في جِلد **الحمار** على الشّاكلة، البالغة الاصطبار والحافلة بالآلام، التي بها تُحبِط فتاةٌ مشروع أبيها الجنونيّ في الاقتران بها بعد رحيل والدتها. تنفي الفتاةُ نفسَها بعيداً في العالَم، وفي منفاها تفوز بعد سنواتٍ بحبِّ أميرٍ وتعتلي وإيّاه العرش، ثمّ تلتقي أباها من جديدٍ وقد تعزّى عن فقدانها واقترنَ بأرملة. لسنواتٍ كانت الفتاة تتلفّع

Twitter: @6a1f

بجِلد حمارٍ بائس، يرمز إلى كلّ عذابها وإلى الثّمن الذي كان عليها أن تدفعه مقابلَ وفائها للمبدأ القائل إنّ حصافة العقل هي السدّ المنيع الأوحد أمام الحبّ المجنون. ولأنّها دفعت ثمن تمسّكها بروح الواجب بلا تهرّب ولا كسل، فهي تتخلّى في نهاية المطاف عن ثوبها الفقير لتتّشح بألفِ ملاءةٍ من النّور[1].

المحرّر

(1) الحواشي التي ترافق بعض الحكايات هي من وضع محرّر الكتاب.

Twitter: @6a1f

Twitter: @6a1j

الحسناء النائمة في الغابة

كان يا ما كان، كان هناك ملكٌ وملكةٌ، وكانا في غاية الهمِّ لأنّهما لم يُرزَقا أبناءً، لدرجةٍ يَصعُب معَها وصفُ حزنِهما. وقد طافا بكلّ ينابيع العالم، ونذَرا النذورَ، وزارا في سبيل الإنجاب كلّ المزارات المقدسة، مؤدّين كلّ الفروض، بلا فائدة. وبعد لأيٍ، حملت الملكة ووضعت بنتاً، وأُقيم لتعميدها حفلٌ جميل. وجُعِلت كلُّ الجنّيات الموجودات في البِلاد عرَّاباتٍ[1] لها (وقد كان هناك سبعٌ منهنّ) بغرضِ أن تهبها كلّ واحدة من الجنّيات، عن طريقِ سِحرِها، كما كنّ يفعلن عادةً في ذلك الزّمان، موهبةً أو قدرةً خارقةً، فتجتمع لها بذلك كلّ الفضائل الممكنة.

وبعدَ طُقُوسِ العمادة، ذَهَبَ الجَمعُ إلى قصرِ الملك حيث كانت قد أُعِدّت للجنّيات وليمةٌ ضخمة. وُضِعَ أمامَ كلّ واحدةٍ منهنّ صحنٌ بديعُ مع حافظة من الذّهبِ تحتوي على شوكةٍ وملعقةٍ وسكّينٍ من الذهبِ الخالصِ المطعّم بفصوصِ الماسِ والياقوت. وعندما اتّخذَ الجميع مواقعهم على المائدةِ شاهدوا جنّيةً عجوزاً تدخل من الباب، لم يكن أحدٌ قد دعاها للمناسبة إذ أنّها لم تخرج

(1) العرّاب أو العرابّة شخص يتعهّد الطفل بالرّعاية إلى جانب أبوَيه فيكون له بمثابة أب أو أمّ روحيّ.

Twitter: @6a1f

طيلة خمسين عاماً من أحد الحصون، وقد ظنّ الجميع أنّها ماتت أو أصابها عملٌ من أعمال السِّحر.

أعطى الملكُ هذه الجنّية صحناً، وتعَذّرَ إعطاؤها حافظةَ أدوات المائدة الذهبيّة كالأخريات لأنّه لم يُصنَع منها سوى سبعٍ بعدد الجنّيات. فظنّت الجنّيةُ العجوز أنّ ذلك كان من قبيل الازدراء بها، وغمغمت من بين أسنانها ببعض ألفاظ الوعيد. فسمِعتها واحدةٌ من الجنّيات الشابّات كانت جالسةً بالقرب منها، وقَدّرَت أنّها ستهب الأميرةَ الصّغيرةَ موهبةً مشؤومة. اختبأت الجنّية الشابّة خلف الستائر حتّى تكون آخِرَ من يتكلّم، فتُبطِل على قدر استطاعتها الشرَّ الذي قد تتمنّاه الجنّية العجوز للأميرة.

ثمّ بدأت الجنّيات في منح هباتهنّ للأميرة. فمنحتها أصغر الجنّيات عمراً موهبةَ أنْ تكونَ أجملَ شخصٍ على وجهِ الأرض، ومنحتها الجنّية التالية موهبةَ أن تكون لها روح ملائكيّة، والثالثة وهبتها فضيلةَ أن تتّصفَ كلّ أفعالها باللّطف، والرّابعة أنْ تتقنَ الرقصَ لدرجةِ الكمال، والخامسة أنْ يكونَ صوتُها في الغناء بعذوبةِ صوت العندليب، والسّادسة منحتْها موهبةَ التمكّنِ التامّ من العزفِ على جميع الآلات. ثمّ جاء دورُ الجنّية العجوز، فقالت وهي تهزّ رأسها من أثر الغيظ أكثر ممّا بفعلِ الشيخوخة إنّ الاميرةَ سوف تَخِزُ يدَها بمغزلٍ فتموت من ذلك.

Twitter: @6a1j

أحدثت تلك الهبةُ المشئومة رجّةً عنيفةً لدى كلّ الموجودين، وشرعَ الجميعُ بالبكاء. وفي هذه اللحظة خَرَجَت الجنّية الشابّة من خلفِ الستائر وقالت بصوتٍ عالٍ:

- يا جلالةَ الملك والملكة، اطمئنّا. فلن تموتَ ابنتكما؛ أنا في الحقيقة لا أملك القوّةَ الكافيةَ لإبطال سحرِ العجوزِ بالكامل. سوف تخزُ الأميرةُ يدَها بالمغزل؛ ولكنّها بدلاً من أن تموت ستسقط فقطْ في سباتٍ عميقٍ يستمرّ مائة عامٍ، يجيء في ختامها نجلُ أحد الملوك ليوقظها منه.

في محاولة لتفادي سِحر الجنّية العجوز، أصدرَ الملكُ مرسوماً يحْظرُ فيه على كلّ شخصٍ في المَملكةِ استخدامَ المغازل أو حتّى اقتناءها، ومَن خالف ذلك عوقب بالإعدام.

وبعدَ نحو خمسةَ عشرَ عاماً أو ستّةَ عشرَ، ذهب الملكُ والملكة للاستجمام في أحد قصورهما. وحدث أن أخذت الأميرة الصّغيرة تتجوّل في أرجاء القصر داخلةً من غرفة لأخرى حتّى وصلت إلى مخزَنِ الغِلالِ[1] في أعلى أحد الأبراج ووجدت فيها عجوزاً طيبةً وحيدةً تغزلُ خيوطها. لم تكن هذه العجوز الطيّبة قد سمعت بالحظْرِ الذي فرضه الملكُ على استخدامِ المغازل. فسألتها الأميرة:

(1) مخزن الغِلال حجرة معزولة تقع خارجَ المنزل الريفيّ أو في أعلاه، تُستخدَم لحفظ الحبوب والخضار الجافّة المخصّصة للاستهلاك العائليّ أثناء السّنة.

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1j

– ماذا تفعَلين هنا يا سيّدتي الطيبة؟

فردَّت العجوزُ دون أنْ تتعرّفَ على الأميرة:

– إنّني أغزلُ يا صغيرتي.

قالت الأميرة:

– ما أجملَ هذا! كيف تفعلينَه؟ أعطيني هذه الآلةَ لأرى إنْ كنتُ سأُحسنُ العمل بها مثلك.

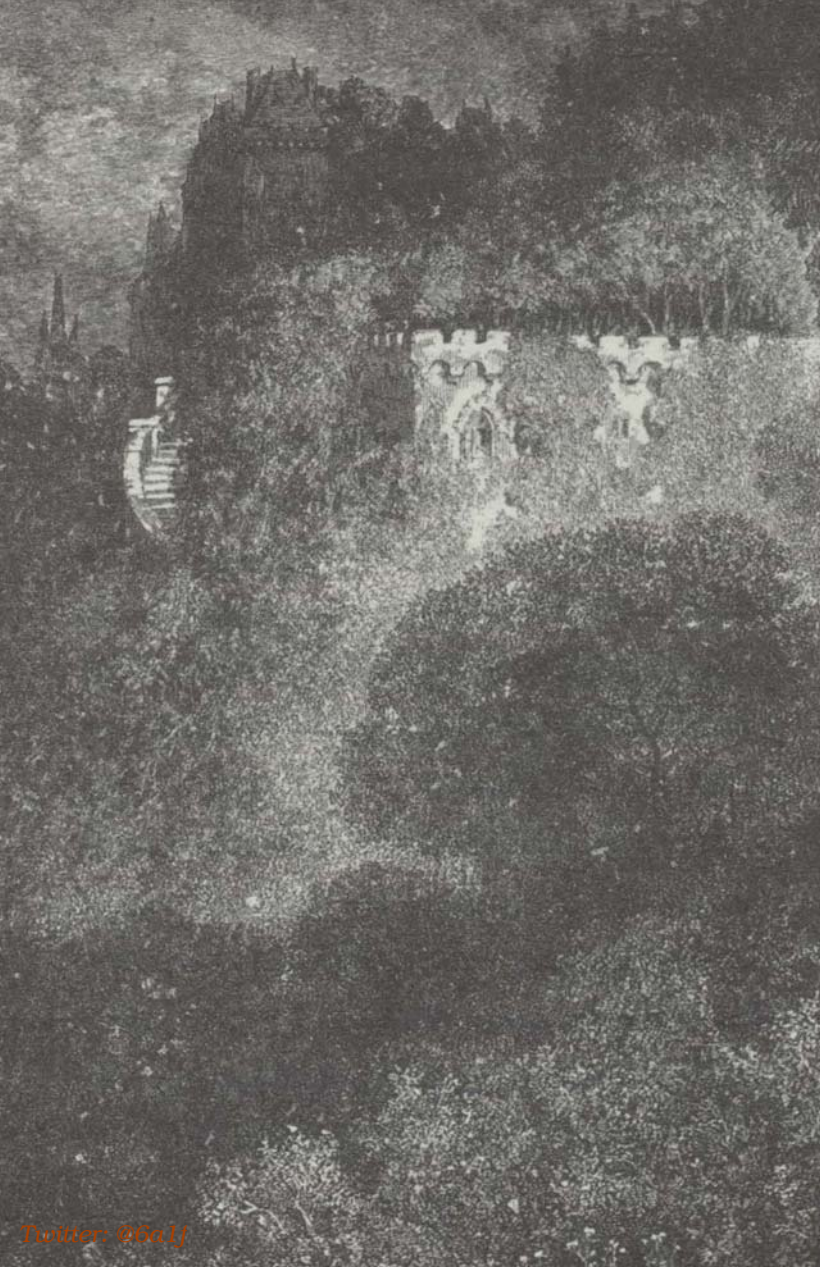
ولمّا كانت الأميرة تتصرّف بحيويةٍ وبخفّةٍ وبعض الطيش، ووفقاً لقرارِ الجنّية العجوز التي كانت لدى ولادتها قد وهبتها هبةً مشؤومةً، فإنّها وخزتْ يدَها بسنّ المغزل وسَقَطَت مغشيّاً عليها.

شَعرت العجوز الطيّبة بحرجٍ شديد، وصرخت طالبةً النجدةَ، فهرعَ الناسُ من كلّ حدب وصوب، وحاولوا إنعاش الأميرة، بسكْب الماء على وجهها، بحلّ أربطةِ ملابسها، بلطمِ يديها، وتدليك صدغيها بماء العطر؛ ولكنّ شيئاً لم يفلح في إيقاظها.

تذكَّر الملكُ، الذي صعد إليهم على أثر الجلبةِ، نبوءةَ الجنّيات، وقدّرَ أنّ الأمرَ كان لا محالةَ واقعاً. فأمرَ بوضع الأميرةِ في أفخمِ جناحٍ في القصر، على فراشٍ مزخرفٍ بالذّهبِ والفضّة. كان من يراها يحسَبُها ملاكاً نائماً من فرطِ جمالها، إذ لم يُؤثّر سُباتها على نضَارةِ لون بشرتها، فبقيت وجنتاها مضرَّجتين، وشَفَتاها على

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1j

لونِهما بحُمرة المَرجان، كانت فقط مُغمضةَ العَينين، وبالإمكانِ سَماعُ صوتِ تَنفُّسِها الهادئ كدليلٍ على كونها على قيد الحياة. وأَمَرَ الملكُ أنْ تُترَكَ لتنامَ في سلامٍ حتّى يحينَ موعدُ استيقاظها.

كانت الجنّية الطيبة التي أنقذت حياة الأميرة بحُكمِها عليها بأن تنامَ مائة عامٍ موجودةً بمملكة «ماتاكان» على مبعدة اثنَي عشر ألف فرسخ عندما وقع الحادث للأميرة، لكنّها علمت بالأمر في وقته إذ أخبرها به قزمٌ صغيرٌ يملكُ جزمةً مسحورةً تُعرَفُ بِحذاءِ الفراسخ السّبعة (أي أنّ من ينتعله يجتازُ سبعة فراسخ في الوثبةِ الواحدة). وانطلقت الجنّية على الفور، ووصلت بعدَ ساعةٍ واحدة بعربة من النيران تجرُّها التنانين. وكان الملكُ في استقبالها لدى نزولها من العربة. وأيّدت هي كلّ ما فَعله مع ابنته، ولكنْ، ولأنّها متبصّرةٌ جدّاً، فقد قَدّرَت أنّ الأميرةَ ستشعرُ بالانزعاج إذا استيقظت لتجدَ نفسَها وحيدةً في هذا القصر العتيق. فلمستْ بعصاها السّحرية كلّ ما هو موجود في القصر بخلاف الملك والملكة: أي أفراد الحاشية والمُرَبِّيات والوصيفات والخادمات والحَرس والنُدُل والطُّهاة ومساعديهم، والفرّاشين، وسائسي الخيل. ولمست أيضاً كلّ الخيول الموجودة بالحظائر، وكلابَ الحراسةِ القوية في الأفْنِية، وحتّى كلبة الأميرة الصّغيرة التي كانت بجانبها على الفراش. وما إن لمستهم حتّى غطّوا

Twitter: @6a1f

جميعاً في النومِ، بحيث تكون يقظتُهم مع الأميرة في اللحظة ذاتها ليكونوا في خدمتها. حتّى طيورُ الحَجَلِ والتُّدرُجِ التي كانت حولَ السّفافيد تنتظرُ الشيَّ، والنارُ نفسها التي في الموقد، هذا كلّه غطّ في سباتٍ عميق. ولقد حدث الأمر في لحظة واحدة؛ فالجنّيات في أعمالهنّ لا يحتملن الإبطاء.

ثمّ غَادرَ الملكُ والملكةُ القصرَ بعد أنْ قبَّلا ابنتهما النائمة. وأصدرا قراراً بحظرِ اقتراب أيّ شخصٍ من القصر. وما كان ذلك الحظر ضروريّاً، إذ نَمَت حولَ القصرِ، وفي أقلّ من ربعِ ساعة، أعدادٌ هائلةٌ من الأشجارِ والنباتاتِ والأشواك المتشابكة، لا يستطيع لا البشرُ ولا الحيوانُ اختراقَها، وبحيث لا يُرى من القصر سوى ذُرى أبراجه العالية، ومن مسافة نائية. ولا شكّ أنّ الجنّية قد فعلت ذلك بسِحرها لتقي الأميرة أثناء نومها شرَّ المتطفّلين.

وبعدَ مائةِ عامٍ من تلك الأحداث، خَرَجَ الأميرُ نجلُ الملكِ الحاكمِ يومذاك للصّيدِ في تلك المنطقة، وكان من أسْرةٍ أخرى غير أسْرة الأميرة النائمة. سأل من كانوا في معيّته عن تلك الأبراج التي كان يراها أعلى غابة واسعة وكثيفة. فأجابه كلٌّ بحسب ما كان سَمِعَه من أقاويل؛ فقال قائلٌ منهم إنّه قصر قديم تسكنه الأشباح، وقال آخر إنّ جميع ساحرات البلد يعقدن فيه

Twitter: @6a1f


Twitter: ©6a1J



Twitter: @6a1j

اجتماعاتهنّ الشرّيرة، ولكنّ الرأي السائد كان أنّ غولاً يتّخذ من القصر مبيتاً له، وأنّه يأخذ إليه ضحاياه من الأطفال الصغار كي يلتهمهم بعيداً عن أعين الرقباء، وهو الوحيد الذي يستطيع أن ينفذ إليه عبرَ الأدغال الكثيفة التي كانت تلتفّ حوله.

لم يعرف الأميرُ أيّ قولٍ يصدّق، حتّى تَكلّم أحد الفلاّحين قائلاً:

- مولاي الأمير، سمعتُ أحدَهم يقول لأبي قبلَ أكثر من خمسين عاماً إنّه توجد داخلَ هذا القصرِ أميرةٌ فاتنة الجَمال، وإنّها محكومٌ عليها بأن تنامَ مائة عامٍ فلا يوقظها إلاّ ابن ملكٍ ستكون هي من نصيبه.

شعرَ الأميرُ الشابُّ بدفقةٍ من الحماس لدى سماعه هذا الكلام، وفكّرَ بلا تردّدٍ أنّه سيضع نهايةً لمغامرةٍ جميلة، وعَقَدَ العزمَ، مدفوعاً بالرَغبةِ في الحُبّ والمجد، على الذّهاب لمعاينةِ المكانَ ليرى ما فيه. وما إنْ همّ بالاقترابِ من الغابة حتّى انفرجت أمامَه الأشواك والنباتات والأشجار بأغصانِها المُتشابكة مفسحةً له الطريقَ للدّخول. فسار نحو القصر الذي رآه في نهاية ممشىً طويل. وما أدهشه هو أنّ أحداً من أتباعه لم يلحق به، إذ انغلق الدّغل في وجوهِهم مرّةً أُخرى مانعاً إيّاهم من العبور. أمّا هو فلم يتوقف عن المُضيّ في طريقه، فأميرٌ شابٌّ وعاشقٌ لن تنقصه

Twitter: @6a1j

الشجاعة. دخل إلى السّاحةِ الأماميّةِ للقصر، فكان كلّ ما رآه في البدء قادراً على تجميدهِ من الرُّعب. كان الصمتُ مخيفاً، وصورة الموتِ حاضرة في كلّ مكان، ولم يكن هناك غير أجساد ممدَّدة لأناس وحيوانات تبدو ميّتة. لكنّه أدرَكَ من وجوهِ الحُجّابِ ومن حُمرةِ أنوفِهم أنّهم نيامٌ فقط؛ ثمّ إنّ كؤوسَهم التي لا تزال تحمل آثار الشّراب كانت تدلُّ على أنّهم قد غطّوا في النّوم وهُم يتَسامرون.

اجتازَ بهواً فسيحاً مبلّطاً بالرخام، ثمّ صَعَدَ الدرَجَ، ودخل إلى قاعةِ الحرسِ فوجدهم مصطفّين في صفوفٍ بأسلحتهم على أكتافهم مصدرين غطيطاً مضطرداً. مرّ بغُرَفٍ عديدةٍ ملأى برجالٍ وسيّدات نيام أيضاً، بعضهم واقفٌ والبعض الآخر جالس. ثمّ دخل إلى حجرةٍ تسطع ببريقِ الذهب، فرأى على الفراش الذي كُشِفَت عنه الستائرُ من كلّ اتّجاهٍ أجملَ منظرٍ وقعت عليه عيناه طيلةَ حياته: أميرة تبدو في نحو الخامسة عشرة أو السّادسة عشرة، لجمالها بهاءٌ نورانيّ وسماويّ. اقتربَ مرتعداً من الإعجاب، وجَثا على ركبتيه بالقربِ منها.

وحان موعد انتهاء مفعول السِّحر، فأفاقت الأميرة، ونظرت إليه بعينين ملؤهما الحنان كما لو لم تكن النظرة الأولى التي تبادله إيّاها، وقالت له:

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1J



Twitter: @6a1J

– هذا أنتَ يا أميري؟ لقد جعلتَني أنتظرك طويلاً.

فُتِنَ الأميرُ بكلماتِ الأميرةِ، وبالطريقةِ التي قالتها بها، فلم يعرفْ كيف يعبّرُ لها عن فَرَحِه وامتنانه؛ وأكّد لها أنّه سيحبُّها أكثرَ من نفسه. وجاء كلامه مضطرباً فسرّها لذلك أكثر.

كان الحبّ يغلب فيه على الفصاحة. كان أكثر ارتباكاً منها، ولا ينبغي لنا أنْ نندهش لذلك، فالأميرةُ كان لديها متّسعٌ من الوقت لتتخيّلَ ما ستقول له أثناء أحلامها الجميلة التي ألهمتها إيّاها جنيّتها الطيّبة خلال نومها الطويل. فقضى الاثنان أربع ساعاتٍ في الحديث وما أتيا على نِصفِ الأشياءِ التي كانا يرغبان في قولها.

كان كلّ فردٍ في القصر قد استيقظ في اللحظةِ نفسِها مع الأميرة، وشرعَ بالتفكير عميقاً بما كان منوطاً به من الخدمةِ؛ ولأنّهم ما كانوا جميعاً من العاشقين، فقد أحسّوا بجوع شديد. إلاّ أنّ وصيفة الشّرف، وقد عيلَ صبرُها بسبب الجوع هي أيضاً، هتفت على مسمع الأميرةِ أنّ الطّعامَ جاهزٌ للتقديم. فساعدَ الأميرُ الأميرةَ على النهوض، وقد كانت في كامل زيّها وأوْجِ بهائها، لكنه تَحفّظَ من أنْ يخبرَها بأنّ ملابسها تعودُ لطرازٍ قديمٍ يناسب جدّته، فذلك لم ينتقص من جمالها شيئاً.

وذهبا لتناولِ العشاءِ في قاعةٍ ذات مرايا، وأشرف على

Twitter: @6a1f

خدمتهما حرسُ الأميرة، فيما عزَفَت المزامير والكمنجات مقطوعات موسيقيّة قديمة، كانت لا تزال رائعةً وإن لم تُسمَع منذ نحو مائة عام. وبعد العشاء، عقد الكاهن الأكبر قرانَهما في الكنيسةِ الصّغيرةِ المُلحقةِ بالقصر. وأسدَلت وصيفة الشرف عليهما الستائرَ، فناما قليلاً، إذ لم يكن للأميرة حاجة إلى النّوم، وفي الصّباح الباكر غادرها الأميرُ ليعودَ إلى المدينةِ خشيةَ أنْ يكون والده قلقاً بشأنه.

قال الأمير لأبيه الملك إنّه ضلّ الطريقَ في الغابةِ أثناء الصّيد، وإنّه أمضى اللّيلَ في كوخِ رجلٍ يعمل فحّاماً أطعمه خبزاً أسود وبعضَ الجُبن. فصدّق الملك الذي كان رجلاً طيّب القلبِ كلامَه، لكنّ أمّه الملكة لم تقتنع بهِ تماماً. وعندما لاحظت أنّه يذهبُ إلى الصيدِ كلّ يوم تقريباً، وأنّه يملك دائماً حجّةً جاهزةً لتغيّبه، وأنّه قد يقضي ليلتين أو ثلاثاً خارج البيت، أيقنت أنّ في الأمرِ عشقاً ما. ذلك أنّ الأميرَ عاشرَ الأميرةَ لأكثرَ من عامين كاملين، رُزقا خلالهما بطفلين: بنتٍ أسمياها «سحَر»، وولدٍ أطلقا عليه اسم «صباح» لأنّه كان أجملَ من شقيقته.

كانت الملكة تحاول في مناسبات عديدة أن تجعل ابنها يفسّر لها غيابه، قائلةً له إنّه ينبغي الاستمتاع في الحياة؛ لكنّه لم يجرؤ أبداً على البوح لها بسرّه، إذ كان يخشاها، رغم حبّه الشديد لها، لأنّها

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1J



Twitter: @6a1J

كانت من سلالة الغِيلان[1]، والملك والده لم يتزوّجها إلّا لثروتها الكبيرة. وكان الناس في القصرِ يتهامسون سرّاً أنّ لها ميولَ غولٍ، وأنّها إذ ترى أطفالاً يمرُّون أمامها، فإنّها تعاني مشقّة في منع نفسها من الفتكِ بهم؛ ولذا لم يرغبْ الأميرُ قطّ في الإفصاح لها بأيّ شيء.

ثمّ، بعد عامين، ماتَ الملكُ الأبُ، وألفى الأميرُ نفسَه وقد صارَ سيّدَ البلاد، فأعلن زواجَه على الملأ، وذَهَبَ ليجلبَ زوجتَه، وقد صارت ملكةً، من قصرِها، وعاد بها إلى المدينةِ تتوسّط طفليها في موكب مهيب.

وبعدَ فترةٍ وجيزةٍ، خرج الملكُ للحرب في مواجهة الامبراطور «كانتالابوت» حاكم المَملكة المجاورة، وتَرَك حُكم البلاد في يد الملكةِ الأمّ، وأوصاها خيراً بالملكةِ زوجته وأطفاله، إذ إنّه كان سيُمضي الصيفَ كلّه في حومة القتال. وبمجرّد رحيلِه أرسلت الملكةُ الأمّ كنّتها وحفيديها إلى قصرٍ ريفيّ في قلبِ الغابات كي تستطيعَ الاختلاءَ لإشباعِ رغباتِها المخيفة. ثمّ لحِقَت بِهم بعدَ أيّام، وقالت لرئيسِ المائدةِ في القصر:

– أريد غداً أن آكلَ في العشاءِ الصّغيرةَ «سحَر».

---

(1) أي من سحَرة الجنّ وسَعاليهم. مفردها «غُول» للمذكّر والمؤنّث، كما في قول الرّجاز: «إنّكَ غولٌ ولدتْكَ غولُ» (المحرّر).

Twitter: @6a1f

فردّ رئيس المائدة:

– لكنْ يا سيّدتي...

فقالت له الملكةُ بنبرةِ غولٍ متعطشةٍ للّحمِ الحيّ:

– أُريدُها! وينبغي أن تكون مطهوّةً بالمَرَق ذي التّوابلِ المتعدّدةِ الذي لطالما كنتَ بارعاً في تحضيرِه.

أدرك رئيس المائدة أنْ لا فائدةَ من التحايل على غولٍ، فاستلَّ سِكّيناً كبيرةً وصَعَد إلى غرفةِ الصّغيرةِ «سحَر»، وكان لها من العمر يومذاك أربع سنوات. ارتمت الطفلة عليه لتعانقه فرِحةً لرؤياه، وأخذت تطلبُ منه الحلوى، فأمعنَ الرجلُ في البكاء، وسقطَت السكّين من يده. ثمّ هَبَطَ إلى فناءِ الدّواجن وذبحَ حَمَلاً صغيراً، وطبخ لحمَه مع المرقِ اللّذيذ، فأكّدت له سيّدتُه أنّها لم تأكل يوماً ما هو ألذّ منه.

وفي الوقت نفسه، كان قد أخَذَ الصّغيرةَ «سحَر» وطلبَ من زوجته أن تخبّئها في مسكنهما المُتاخِمِ لِفناء الدّواجن.

وبعد ثمانيةِ أيام، قالت الملكةُ الشرّيرة لرئيس المائدة:

– أريدُ أنْ آكلَ في العشاءِ الصّغيرَ «صباح».

لم يردَّ الرجل وقرَرَ أن يخدعَها كالمرّة الأولى. فذهب للبحثِ عن الصّغير «صباح» حتّى وجده يلعب مع قردٍ كبيرٍ لعبةَ المبارزة، وقد كان له من العمر ثلاث سنوات، فأخَذَه إلى زوجته لتخبّئه مع

Twitter: @6a1f

شقيقتِه «سحَر»، وذبحَ بدلاً منه جَدْياً صغيراً وجدته الملكةُ الغولُ لذيذاً للغاية.

وسارت الأمور على ما يرام حتّى قالت الملكةُ الشريرةُ لرئيس المائدة ذاتَ ليلة:

- أريد أن آكل الملكةَ مطهوّةً بالمرق نفسِه الذي أعددتَ به طفليها.

وهنا انتاب رئيس المائدة اليأسُ من إمكانِ خداعِ الغولِ مرّةً أخرى. كانت الملكة الشابّة قد تجاوزت العشرين من عمرها، دون أن نعدّ المائة عامٍ التي نامتْها: ولحمها ولا بدَّ صلبٌ بالرّغم من بياضِ بشرتها ونضارتها. وهل سيجد بين البهائم في حظائر القصر حيواناً يكون له هذا اللّحم الصّلب؟ فقرّر أن ينجوَ بحياتِه هو، وأن يذبحَ الملكةَ الشابّةَ دون تردّد. فدخل إلى غرفتها حاملاً سكّينَه وقد اعتزم ألاّ يفاجئها، وأخبرها، بكلّ احترام، بالأوامر التي تلقّاها من الملكة الأمّ. فقالت له الملكة الشابة وقد مدَّت له عنقَها ليذبحَها:

- افعل ما أُمِرتَ به، ونَفّذْ رغبةَ الملكةِ الأمّ، أمّا أنا فسألحقُ بولديَّ البائسين الذيَّن أحببتهما كثيراً.

كانت تعتقد أنّ الطفلين قد ماتا، لأنّهما أختفيا دون أن تعلم عنهما شيئاً. فقال لها رئيس المائدة:

Twitter: @6a1f

– لا يا سيّدتي، لن تموتي، ولن تلحَقي بِهما إلاّ في غرفتي حيث خبّأتُهما، وسأخدعُ الملكةَ الأمَّ مرةً أخرى، وأذبح لها ظبيةً فتيّةً بدلاً منك.

وأخذ رئيس المائدة الملكةَ الشابّةَ بدورِها إلى غرفتِه، وتركها تحتضن ابنيها وتبكي من فرحِ لقائهما، وذَهَبَ ليجهّزَ الظبية، وقد أتت عليها الملكة الأمّ بشراهةٍ كما لو كانت تلتهمُ كنّتها الشابّةَ بالفعل. كانت سعيدةً بقسوتِها، وتهيّأت لتقول لنجلها الملك إنّ زوجته وولديه قد التهمتهما الذئاب الشرسة.

وذات ليلةٍ، خرجت الملكة الأمّ لتتجوّلَ في أرجاءِ القصرِ وأفنِيَته كعادتها بحثاً عن اللحمِ الشّهيّ، فسمعت بكاءَ الصّغيرِ «صباح» آتياً من إحدى الغرف، وكانت الملكة الشابّة تحاول معاقبته لأنّه أساءَ التصرّف فيما كانت شقيقته «سحَر» تسألها العفوَ عنه. فعرفت الغول أصواتَ الطفلين وأمّهما. واستشاطت غضباً لأنّها تعرّضت للخداع. وصرخت بصوت مروِّع ارتعَدَ له كلّ منْ في المكان، آمرةً أن يأتوها في الصباح التالي بحوضٍ كبيرٍ مليء بالضفادع والحيّات والأفاعي والثعابين ليوضع في وسط الفناء ويُلقى فيه كلٌّ من الملكة الشابّة وولديها ورئيس المائدة وزوجته وخادمتهما. وأمرت بأن يؤتى بهم جميعاً وأيديهم مشدودة خلفَ ظهورهم.

Twitter: @6a1f

وجاءت اللحظة، ومَثُلَ المتّهمون أمام الجلاّدين المتأهّبين لإلقائهم في الحوض، وعلى غيرِ انتظارٍ دخل الملك إلى الفناء فجأةً على صهوةِ جواده. جاء قبلَ موعد رجوعه، وتساءَلَ مندهشاً عن سرّ ذلك المشهد الرهيب، فلم يجرؤ أحدٌ على الإجابة. وجُنَّ جُنون الملكةِ الغولِ ممّا جرى، فألقتْ بنفسها في الحوض المريع لتلتهمها، في لحظةٍ، الأفاعي التي كانت هيَ قد أمرتْ بجلبها. ومع كلّ ما حدثَ حزنَ الملكُ عليها، فقد كانت في النهاية أمَّه، لكنّه سرعانَ ما وجَدَ عزاءَه في زوجتِه الجميلة وطفلَيه.

العِبرة

إنّه لَمِنَ الطّبيعيّ
أنْ تنتظرَ الفتاةُ زمناً
حتّى يأتيَها زوجٌ غنيٌّ وأنيقٌ ورقيقٌ ووَسيم
لكنّها لن تنتظرَ مائةَ عامٍ وفي سباتٍ عميق
إذْ لم يعدْ من امرأةٍ قادرةٍ على النّومِ بِمثلِ هذه السّكينة.

تريدُ الحكايةُ أنْ تخبرَنا أيضاً

Twitter: @6a1f

أنّ العقباتِ التي قد تُرجئ القِران
لا تجعله أقلَّ سعادة
وأنّ الانتظارَ لا يَضير
لكنّ النساءَ يتحرقنّ شوقاً
لهناءةِ الحياةِ الزّوجيّة
ولذا فأنا لا أمتلكُ لا الشّجاعةَ ولا القسوة
لأقدّمَ لهّن مثلَ هذه العِظة.

Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1j

ذاتُ القَلَنْسُوةِ[1] الحَمراء

كان يا ما كان، كان هناكَ فتاةٌ قرويّةٌ صغيرةٌ في غاية الحُسن، وكانت أمّها شديدة التعلّق بها، أمّا جدتها فكانت أكثرَ تعلّقاً بها من أمّها. ولقد خاطت لها الجدّةُ قلنسوةً حمراءَ جاءت ملائمةً لها كأفضلِ ما يكون، فلقبَّها الجميعُ «ذاتَ القلنسوةِ الحمراء».

وذات يومٍ أعدّت أمُّها بعضَ الفطائرِ، وقالت لها:

- اذهبي للاطمئنان على جدّتك، فقد سَمِعتُ أنَها مريضةٌ؛ وخذي لها معك فطيرةً من الفطائرِ وإناءَ الزُّبدِ الصّغيرَ هذا.

وانطلقت ذات القلنسوة الحمراء في الحال لِعيادة الجدة التي كانت تقطن في قريةٍ أخرى. وبينما هي تقطعُ الغابةَ صادفت في طريقها الذئبَ المكّار الذي كانَ يرغبُ بشدّةٍ في التهامها، لكنّه لم يجرؤ على ذلك بسبب وجود بعض الحطّابين في الغابة، فسألها إلى أين هي ذاهبة. كانت الصّغيرة المسكينة لا تعرف خطورةَ التحدّثِ إلى الذئاب، فقالت له:

(1) القَلَنْسُوة غطاء للرّأس.

Twitter: @6a1f

– إنّي ذاهبةٌ لعيادةِ جدّتي، وسأُعطيها فطيرةً وإناءً صغيراً من الزُّبدِ أرسلتهما لها أمّي.

قال لها الذئب:

– هل تقطنُ جدتُك بعيداً عن هنا؟

ردّت الصّغيرة:

– نعم، خلفَ تلك الطاحونة التي تَراها هُناك، في أوّلِ بيتٍ بالقرية.

قال الذئبُ:

– حسناً، أنا أيضاً أرغب في زيارتها، لكنّي سأذهبُ من هذه الطريقِ وأنت تذهبين من تلك الطريقِ الأخرى، ولنرَ أيّنا سيصلُ الأوّل.

وسلك الذئبُ الطريقَ الأقصرَ، وقطعَها جرياً بِكلِّ ما أوتيَ من قوّةٍ؛ بينما سلكت الصّغيرةُ الطريقَ الأطول، وأخذت تلهو أثناءَ سيرِها بجمعِ حبّاتِ البُندُق، ومطاردةِ الفراشات، وبصنعِ باقاتٍ من الزهور؛ فوصلَ الذئب قبلها لبيت الجدّة وطرقَ الباب. فسألت الجدّةُ من الداخل:

– مَنْ بِالباب؟

فأجابَ الذئب مُبدِلاً صوته:

– أنا حَفِيدتُك ذات القلنسوة الحمراء، وقد جئتُكِ بفطيرةٍ

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1j

وإناءٍ صغيرٍ من الزُّبدِ أرسلتها أمّي.

كانت العجوزُ بالفِعلِ متوعّكةً، فصاحت من مَرقدِها على الفراش:

- اسحبي المِزلاج وسينفتح الباب.

سَحَبَ الذئبُ المِزلاج وفتحَ البابَ، وهَجَمَ على الجدّةِ الطيّبةِ فالتهمها في لحظةٍ، لأنّه لم يكن قد أكَلَ شيئاً منذ ثلاثةِ أيّام. ثمّ أغلقَ البابَ، ورقدَ في فراشِ الجدّةِ في انتظارِ ذات القلنسوةِ الحمراء التي وصلت بعدَ قليلٍ، وطرقت البابَ؛ فسألها الذئبُ من الدّاخل:

- مَن بالباب؟

خافت ذات القلنسوةِ الحمراء عندما سمعت صوتَ الذئب، ولكنّها اعتقدت إنّه صوتُ جدتها وقد أصيبت بالزكام، فَرَدّت:

- أنا حفيدتُكِ ذات القلنسوةِ الحمراء، وقد أحضرتُ لك فطيرةً وإناءاً صغيراً من الزُّبدِ أرسلتها أمي.

فردَّ الذئبُ وقد تعمّد تهذيبَ صوتِهِ قليلاً:

- اسحبي المزلاج وسينفتح الباب.

فسَحَبَت ذاتُ القلنسوةِ الحَمراء المِزلاجَ وانفتح الباب.

عندما رآها الذئبُ داخلةً، اختبأ تحتَ الأغطيةِ في الفِراش، وقال لها:

Twitter: @6a1f

– ضَعي الفَطيرةَ وإناءَ الزُّبدِ فوقَ الصندوقِ، وتعالي لترقدي بجانبي.

خَلَعَت ذاتُ القلنسوةِ الحَمراء ملابِسَها، ورَقَدَت في الفراشِ، فاندهشت من جسدِ جدّتها العاري، وقالت:

– جدّتي، ما أَكبرَ ذِراعيك!

فردّ الذئب:

– كي أحتضنَكِ جيّداً يا بنيّتي.

وقالت الصّغيرة:

– وما أكبرَ ساقيكِ يا جدّتي!

فردّ الذئب:

– كي أجريَ سريعاً يا بنيّتي.

وقالت الصّغيرة:

– وما أكبر أُذنيكِ يا جدّتي!

فردّ الذئب:

– كي أسمعَ جيّداً يا بنيّتي.

وقالت الصّغيرة:

– وما أكبر عينيك يا جدّتي!

فردّ الذئب:

– كي أرى جيّداً يا بنيّتي.

Twitter: @6a1f

وقالت الصّغيرة:

- وما أكبر أسنانكِ يا جدّتي!

فردّ الذئب:

- كي آكلكِ يا بنيّتي.

وعند قوله هذه الكلمات، هجمَ الذئب الشرّير على ذاتِ القلنسوةِ الحمراءِ والتهمَها.

العبرة

تُخبرُنا الحكايةُ أنّ بعضَ الصّغار
- لا سيّما الفتيات المهذّبات الجميلات -
قد يُسيئون التّصرّف
بالإنصاتِ إلى كلِّ منْ هبَّ ودبّ،
فلا ينبغي أنْ نندهش
إنْ راحَ كثيرٌ منهم ضحايا للذّئب.
أقولُ الذّئبُ على العموم،
بيدَ أنَّ الذئابَ تتباينُ أصنافها
فمنها ما يبدو لطيفاً
وبلا عُواءٍ ولا ضجيج

Twitter: @6a1j

وبمعسولِ الكلامِ وحُلوِهِ
يتسلّلُ في أثرِ الحسناوات
حتّى أعماقِ الأزقّةِ وخلفَ جُدرانِ البيوت
فيا لخُسرانِ مَن لا تعرف
أنّ تلك الذئاب المتظاهرة بالرقّة
هي الأخطرُ بينَ جميعِ بني جِنسِها![1]

(1) مثلما تمّت الإشارة إليه من قبل، فإنّ لهذه الحكاية صيَغاً أخرى تنتهي نهاية سعيدة. في بعض هذه الصّيَغ تفطن الجدّة وحفيدتها «ذات القلنسوة الحمراء» إلى ما ينويه الذّئب وتتفاديانه. وفي صيغة الأخوَين غريمْ، المنشورة بالألمانيّة في 1857، أي بعد صدور حكاية بيرّو بأكثر من قرن ونصف القرن، ينجح صيّادٌ بقتل الذئب ويُخرج من بطنه الفتاة وجدّتها حيّتَين. ومن الواضح أنّ بيرّو وضع للحكاية نهاية حزينة ليؤكّد على ضرورة الاحتراس من الأشرار وأصحاب المكر، الذين يرمز هنا إليهم بالذئاب.

Twitter: @6a1f

Twitter: @6a1j

ذو اللّحيةِ الزّرقاء

كان يا ما كانَ، كان هناكَ رجلٌ يملك بيوتاً جميلةً في المدينةِ والريف، أدواتُ المائدةِ فيها من الذّهب والفضّة، وأثاثها مزخرَف، وعرباته فيها مزيّنة بالنّضار؛ ولكنْ، وللأسفِ الشّديد، كان لذلك الرّجل لحية زرقاء، ممّا يجعله يبدو قبيحاً وكريهاً، ويجعل النّساء والفتيات يهربن من أمامه فزِعات.

وكان له جارةٌ من أفاضل الناس، لها ابنتان في غايةِ الحُسن. فطلب الرّجلُ يدَ إحدَيهما للزواج، وترك للأمّ حريّة اختيار أيّهما تزوّجه. ولم تقبل أيّ من الفتاتين الزّواجَ منه، وأخذت الواحدةُ تردّه للأخرى دون أن تتوصّلا إلى قرارٍ بشأنِ الزّواج من رجلٍ له لحية زرقاء. وما كان ينفّرهما أيضاً منه هو أنّه كان قد تزوّج قبل ذلك نساءً عديدات دون أن يعرفَ أحدٌ مصيرهنّ.

ولكي يوثّق أواصرَ الصّحبة، اصطحب ذو اللّحية الزّرقاء الفتاتين وأمّهما وثلاثاً أو أربعاً من أقرب صديقاتهنّ، وكذلك

Twitter: @6a1f

بعض الشبّان من الجيران إلى أحد بيوته الريفيّة، حيث مكثوا ثمانية أيّام بكاملها، قضّوها في النزهات ورحلات القنص وصيد الأسماك، وفي رقصٍ ومرحٍ وولائمَ وسهرٍ متواصل. وأخذت الفتيات يقضين الليالي في تدبير المَقالب البريئة واللّهو؛ وسارت كلّ الأمورِ على ما يرام، حتّى أنّ البنتَ الكبيرةَ بدأت ترى أنّ لحيةَ المُضيفِ الزّرقاء ليست بهذه الفظاعة، وإنّه فضلاً عن ذلك رجلٌ نزيه. وما إنْ عادَ الجميع إلى المدينةِ حتّى تمّ زفافُها إليه.

وبعد شهرٍ من الزواج، قال ذو اللّحية الزّرقاء لزوجته إنّه مُضطرّ لمغادرة المدينة لشأن هامّ في رحلةٍ سيغيب فيها ستّة أسابيع على الأقلّ؛ وأوصاها بأن تستمتعَ بوقتِها في غيابه، فتدعو صديقاتها المُقرَّبات إلى البيت، أو تصطحبهنّ في رحلة إلى الرّيف إذا ما طاب لها ذلك، وأن تُولم لهنّ دوماً؛ وقال لها:

– هي ذي مفاتيح صناديقي التي تحتوي على أطقُم المائدة الذهبيّة والفضيّة والتي لا تُستعمل كلّ يوم، وهي ذي مفاتيح خزائني التي تحتوي على مصوغاتي الذهبيّة والفضيّة وجواهري. وهي ذي مفاتيح كلّ أجنحة البيت وحُجُراته. أمّا هذا المفتاح الصّغير فهو للغرفة الواقعة في نهاية رواق الجناح السفليّ من البيت: لكِ أن تفتحي كلّ الغرفِ، وأن تدخليها جميعاً إلاّ هذه الغرفة، فأنا أحظرُ عليك الاقترابَ منها حظراً شديداً، وإذا ما فتحتِها استحققتِ شديدَ غضبي.

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1j

فوعدته بأن تطيع كلّ أوامره، وعانقته مودِّعةً، حتّى ركب عربته وانطلق في رحلته.

الجارات والصديقات المُقرّبات لم يصبِرن حتّى تتم دعوتهنّ إلى منزل الزوجةِ الشابّة، فجئن متشوِّقاتٍ لرؤية الرياش الثمينة في ذلك البيت الذي ما كنّ يجرؤن على المجيء إليه في حضرةِ الزوج خوفاً من لحيته الزّرقاء. وقد شرعن من فورهنّ بتفقّد الغرف والمقصورات وخزانات الملابس، وقد كانت كلّها غاية في الجمال والترَف. ثمّ صعدن بعد ذلك نحو مخازن الأثاث حيث فتَنَهُنّ جمال المفروشات والأسِرّة والأرائك والخزانات والطاولات والمرايا ذات الحوافّ الفضية والذهبية المطرّزة بالعقيق والتي تعكس صورة المرء من أعلى رأسه حتّى أخمص قدميه. ولم تكفّ الضيفات عن إبداء إعجابهن بثراء المضيفةِ وغبطنَها على النعمة التي تعيش فيها. لكنّ صاحبةَ البيتِ كانت مشغولةً عن كلّ ذلك برغبتِها القويةِ في أنْ تفتحَ الغرفةَ المحظورةَ في الجناح السّفليّ.

كان فضولها يستحثّها ويدفعها، حتّى أنّها تخلّت عن اللياقةِ، وتَرَكت ضيفاتها، ونزلت عن طريقِ درَجٍ جانبيّ ضيّق، وكادت، بسبب تسرّعِها، تصدم رأسَها بالدّرَج مرّتين أو ثلاثاً. وعندما وَصَلَت إلى بابِ الغرفةِ، توَقّفَت لبعضِ الوقتِ، واستعادت كلامَ زوجِها، وفكّرت في المتاعب التي قد يجرّها عليها عدم الامتثال لأوامره؛ ولكنّ رغبتها كانت أكبرَ مِنْ أن تُقاومَ، فتناولت المفتاحَ

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1J

الصّغير، وفتحت بابَ الغرفةِ مرتعدةً.

في البدايةِ، لم ترَ شيئاً لأنّ النوافذَ كانت موصدةً؛ وبعد برهةٍ استطاعت أنْ تتبيّن أنّ الأرضيّة مغطاةٌ بكاملها بالدّم المتخثّر، وفي ذلك الدّم كانت تتراءى أجداثُ عددٍ من النّساءِ المقتولات، والمقيّدةِ جثثهنّ إلى الحائط (كنّ زوجات ذي اللّحية الزّرقاء السّابقات، وكان قد ذبحهنّ الواحدة تلو الأخرى). كادت تموت رعباً، فسقط من يدِها المفتاحُ الذي كانت قد سحبتهُ للتوّ من الرّتاج. وبعد قليلٍ، استرَدّت أنفاسَها، فرفعَت المفتاح من على الأرضِ، وأغلقت البابَ خلفها، وصعدت إلى حُجرتها كي تتمالكَ أعصابها، لكنّها لم تستطع، إذ كانت في منتهى الاضطراب.

لاحظتْ أنّ المفتاحَ قد شابتْه بقعةُ دم، فحاولت مسْحه، لكنّ الدّمَ لم يَجلُ عنه. حاولت أيضاً غسلَه، ثمّ دعكتْه بناعمِ الرّمل والحجرِ الرمليّ، لكنّ بقعةَ الدّمِ بقيت عالقةً، فالمفتاح كان مسحوراً ولا سبيل لتنظيفِهِ، فإذا جَلتْ بقعةَ الدّم من ناحيةٍ ظهرت في ناحيةٍ أخرى.

وفي نفس الليلة، عادَ ذو اللّحية الزّرقاء من رحلتِهِ، وقال إنّه قد تلقّى في الطريق رسائلَ تفيدُ بأنّ الأعمالَ التي كان سيسافر لأجلها قد حُسِمَ أمرُها لصالحِه. وفعلت زوجته ما بوسعها لتُظهرَ له أنّها مسرورة بعودته غير المتوقّعة.

وفي الصّباح التالي طلبَ منها المفاتيح، فأعطته إيّاها بيدٍ

Twitter: @6a1f

مرتعشةٍ، ممّا جعله يُخمّن ما قد جَرَى. فقال لها:

– لماذا لا أرى المفتاح الصّغير مع باقي المفاتيح؟

فقالت له:

– لا بدّ أنّي نَسيته في الأعلى فوقَ طاولتي.

فقال لها:

– أرجوك ألاّ تتأخّري في إعادته إليّ.

وبعد محاولات عدّة من قِبَلها للإرجاء، كان لا بدّ لها أن تأتيَ بالمفتاح. وعندما رآه ذو اللّحية الزّرقاء قال لها:

– ما هذا الدّم على المفتاح؟

فقالت له المرأة المسكينة وقد ابيضّ وجهُها من الفزع:

– لا أعلم.

فقال لها ذو اللّحية الزّرقاء:

– لا تعلمين! أمّا أنا فأعلم جيّداً؛ لقد حاولتِ دخولِ الغرفةِ! حسناً يا سيّدتي ستدخلينها، وستأخذين مكانك بين السيّدات اللاّتي رأيتِهنّ فيها.

فارتمت على قدَمَي زوجِها وهي تبكي طالبةً العفو، وعلى وجهها كلّ دلائل النَدَم على عِصيانها لأوامرِه. كان بإمكان الحَجَر أن يرقّ لجمالِها المحزون، لكنّ ذا اللّحية الزّرقاء كان له قلبٌ أقسى من الحجر. فقال لها:

– لا بد من قتلِك يا امرأة، وفي الحال.

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1j

فقالت له وعيناها غارقتان في الدّموع:

- إن كان لا بدّ من قتلي، فلتُمهلني بعضَ الوقتِ، ريثما أصلّي للربّ.

فأجابها ذو اللّحية الزّرقاء:

- سأُمهلك دقائقَ فقط، وما من لحظةٍ إضافيّة.

كانت الزوجة بمفردِها، فاستدعت شقيقتها وقالت لها:

- آنْ (وكانت تدعى كذلك)، يا شقيقتي، رجاءً اصعدي أعلى هذا البرج، لتراقبي وصول شقيقيَّ؛ لقد وعداني بأن يأتيا لزيارتي اليوم. فإذا شاهدتِهما يُقبلان، فأومئي لهما ليُعجِلا بالوصول.

وصعدت شقيقتها آنْ إلى أعلى البرج، فيما كانت الزّوجة المذعورة تصرخ بها من لحظةٍ لأخرى:

- هل ترين شيئاً يا شقيقتي؟

فتردّ شقيقتها آنْ:

- لا شيءَ غير ضوءِ الشمسِ وخضرةِ العشب.

وفي تلك الأثناء، كان ذو اللّحية الزّرقاء ممسكاً في يده بسكّين كبيرة يصرخ بزوجته:

- اهبطي فوراً وإلاّ لَصعدتُ لكِ بنفسي.

فتقول له زوجته:

- أمهِلني لحظةً أخرى من فضلِك.

ثمّ تعاود الصراخ لأختها:

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1j

- آنْ يا شقيقتي، ألا ترين أحداً قادماً؟

وتردّ الشقيقة من أعلى البرج مرّةً أخرى:

- لا أرى شيئاً غير ضوء الشّمسِ وخضرةِ العشب.

ومن أسفل يصرخ ذو اللّحية الزّرقاء مرّةً أخرى على زوجته:

- اهبطي فوراً وإلاّ لَصعدتُ لك بنفسي.

وتردّ الزوجة:

ها أنا قادمة.

ثمّ تسأل أختها مرةً أخرى:

- آنْ يا شقيقتي، ألا ترين أحداً قادماً؟

فتردّ الشّقيقة:

- إني أرى سحابةً من الغبار تثور في هذه الجهة.

فتسألها الزّوجة:

- هل هما شقيقاي؟

فتردّ الأخت:

- للأسف يا شقيقتي، إنّه مجرّد قطيعِ خراف.

ويصرخ ذو اللّحية الزّرقاء مرةً أخرى:

- ألا تُريدين الهبوط؟

وتردّ الزوجة:

- لحظةً أخرى من فضلِك.

ثمّ تلتفت تسأل شقيقتها:

Twitter: @6a1j

– ألا ترين شيئاً بعدُ يا آنْ يا شقيقتي؟

فإذا بشقيقتها آنْ تردّ:

– أرى فارسين قادمين من تلك الجهةِ، لكنّهما ما زالا بعيدين...

ثمّ صرخت آنْ بعد برهةٍ:

– يا إلهيّ! إنّهما شقيقاي. سأحاول أن أؤمئ لهما كي يُعجلا بالوصول.

صرَخَ ذو اللّحية الزّرقاء على زوجته صرخةً قويةً اهتزّ لها البيت كلّه. فهبطت له المرأة المسكينة، وذهبت وارتمت عند قدميه منتحبةً مشعَّثة الشّعر. فقال لها زوجها:

– هذا لن يُفيدُك في شيء، ستموتين لا محالة.

ثم أمسكَ بها من شعرِها بيدٍ، وباليدِ الأخرى رفعَ السكّين وهمّ بقطع رأسِها. فنظرت المرأة نحوَه بعينين ملؤهما الرّعب ورجتْه أن يُمهِلها لحظةً كي تلتقطَ أنفاسَها. فقال لها:

– كلاّ، لا فائدةَ، أسلِمي أمرَكِ للربّ...

ورفع يدَه وهو يهمّ بذبحِها؛ فإذا بطرْقٍ عنيفٍ على الباب، فتوقّفَ ذو اللّحية الزّرقاء، وفُتِحَ البابُ ودخل فارسان شاهرَين سيفيهما، واتّجها مباشرةً إلى ذي اللّحية الزّرقاء.

عرفَ هذا الأخير أنّهما شقيقا زوجتِهِ، وكان كلاهما من الفرسان، فهربَ من وجهَيهما على الفورِ، لكنّهما لاحقاه حتّى

Twitter: @6a1f

أمسكا به قبلَ أن يصلَ إلى الدَرَجِ الخارجيّ، وطَعَناه بسيفَيهما، وأردياهُ قتيلاً. كانت المرأة المسكينة قد أشرفَت على الموتِ من الرّعب، فلم تقوَ على القيامِ لمعانقةِ شقيقَيها.

وتبيّن أنّ ذا اللّحية الزّرقاء لا ورثةَ له، وهكذا ظلّت زوجتهُ سيّدةً على كلّ أملاكِه. فأنفقت جزءاً منها على زواج شقيقتها آنْ من شابّ ينتمي إلى طبقة النّبلاء كانت تحبّه منذُ زمن، واشترت لشقيقيها منصبين عسكريّين قياديّين، وبما تبقّى تزوجّت هي نفسها رجلاً طيّباً مخلصاً، أنساها الأوقاتَ العصيبةَ التي كانت قد أمضتْها مع ذي اللّحية الزّرقاء.

العبرة

الفضولُ بكلِّ ما لَه من جاذبيّة
غالباً ما يُفضي بنا إلى النّدم
آلافُ الأمثلةِ على ذلك نراها كلَّ يوم
مُتعتُه، وإنْ أحبّتهُ النّسوةُ، ليسَ تدوم
فما إن نفوز بها حتّى تصير عَدَماً
مع أنّها تكلّفنا الكثيرَ دوماً.

عبْرة أخرى

من كان له عقلٌ ثاقِب

Twitter: @6a1j

وكان يعرفُ أمورَ الدّنيا
سرعانَ ما يكون أدركَ أنّ هذه حكايةٌ عن أزمنةٍ
قديمة
إذ لم يعُد ثمّةَ أزواجٌ بهذه الفظاظة
يطلبون من زوجاتهم المستحيل
والزّوجُ وإن يكنْ غيرَ راضٍ أو تتأكلّه الغَيرة
تراهُ بِجوارِ زوجته شديدَ الطّاعة
ومهما يكنْ لِلحيتِهِ من لون
فلن نعرفَ مَن منهما السيّدُ في بيتِهِ.



Twitter: @6a1j

Twitter: @6a1j

القطّ العارِف
أو القطّ ذو الجزمَتين

لم يتركْ أحدُ الطحَّانين لأبنائِه الثلاثة عند وفاتِهِ غير طاحونته وحماره وقطّه. وسريعاً تمّ تقسيمُ الميراثِ دونَ استدعاءٍ لكاتبِ العدلِ ولا للقاضي، خشيةَ أن يأتيا على التركةِ الفقيرةِ كلّها. فأخذَ الابن الأكبرُ الطاحونةَ، والأوسطُ أخذَ الحِمارَ، أمّا الأصغر فلم يتبقّ له سوى القطّ.

ولم يستطع الصّغيرُ أن يواسيَ نفسَه على حظّهِ الضئيلِ من التركةِ، فقال لنفسِه:

– يقدر شقيقاي أن يكسبا عَيشِهما بارتياحٍ إذا عَمِلا معاً، أمّا أنا فحتّى إذا أكلتُ قطّي وصنعتُ من جلدهِ فراءً لكُمّيَّ فسوف أموتُ جوعاً.

كان القطّ يستمع إلى كلامهِ دون أن يبدو عليه ذلك، فقال له بنبرةٍ رصينةٍ وجادة:

– لا تجزعْ يا سيّدي، ما عليك سوى أن تعطيني كيساً، وأن تصنع لي جزمتين كي أخوضَ في الأحراشِ، وسترى أنّ نصيبَك

Twitter: @6a1f

من التركةِ ليس سيئاً كما تظنّ.

ومع أنّ صاحبَ القطّ لم يعوِّل كثيراً على كلامه، إلاّ إنّه شعرَ بالأملِ في الخروجِ من بؤسهِ بعدما تذكّر المرّات التي رأى فيها القطّ يقوم بمناوراتٍ رشيقةٍ لقنصِ الفئران والجرذان، كأنْ يتعلّق من قدميه، أو يختبئ في الطحين ويتظاهر بالموت.

وعندما حصلَ القطّ على ما طلبه، لبسَ الجزمتين بثقةٍ، وعلّق الكيسَ في عنقهِ ممسكاً بحبله بقائمتيه الأماميّتين، وانطلق نحو أرضٍ تغصُّ بالأرانب البريّة. وضع القطّ في كيسِه شيئاً من النخالة والنباتات الطريّة، ورقدَ متظاهراً بالموت، وانتَظَرَ أن تأتي أرنب صغيرة لم تخبَرْ بعدُ حِيَلِ هذا العالم، فتحشر نفسها داخلَ الكيس لتأكلَ ما فيه. ولم يكَدِ القطّ يرقد حتّى تحقّق له ما أراد، إذ جاءت أرنبٌ صغيرة غافلة، ودخلت في الكيسِ، فشدَّ القطّ الحبلَ، وأغلقَ الكيسَ عليها، ثمّ قتلَها دون رحمة.

أخذ القطّ فريسته وبكل فخرٍ ذهبَ إلى قصرِ الملك، وطلب مقابلته، فأخذوه إلى مجلسه، وما إن دخلَ القط حتّى أبدى للملكِ آياتِ التوقيرِ، وقال له:

- يا جلالة الملك، هذه إحدى الأرانبِ البريّة، وقد أوصاني السيّد مركيز كاراباس (وهو الاسم الذي أطلقه القطّ بوحيٍ من

Twitter: @6a1f

خياله على صاحبِه ابن الطحّان[1]) أنْ أقدّمَها لجلالتكم.

فقالَ له الملك:

- قلْ لسيّدك إنّ ذلك لَمن دواعي سُروري، وإنّي أشكرَه كثيراً.

وفي مرّة أخرى، ذهب القطّ واختبأ في أحدِ حقولِ القمحِ بكيسه، فسقط فيه زوجٌ من الحَجَل، فشدّ عليهما الحبلَ، وأخذ الحجَلتَين وقدّمهما من فورهِ إلى الملك كما فعل بالأرنب البريّة، فتقبلهما منه الملكُ شاكراً، وأمرَ بتقديمِ الشرابِ له.

وواصل القطّ على هذا المنوال فترة شهرين أو ثلاثة أشهر. فمن آنٍ لآخر، كان يأخذ للملك طريدةً من صيد سيّده. وذاتَ يومٍ تناهى إلى علمِهِ أنّ الملكَ سيخرجُ للنزهةِ على شاطئِ النهرِ مع ابنته، أجمل أميرةٍ في العالم. فقال لسيّده:

- لو سمعتَ نصيحتي، فستضمن الحظّ السعيد. كلّ ما عليك القيام به هو أن تسبحَ في النهرِ في الموضعِ الذي أعيّنه لك، ثمّ اترُكْ الباقي لي.

فقام مركيز كاراباس بتنفيذ ما نصحه به القطّ، دون أن يعرفَ الغرضَ من ذلك. وبَينا هو يسبحُ في النهرِ مرَّ الملك. فأخذ القطّ يهتفُ بكلِّ ما فيه من قوة:

---

(1) خلعَ القطّ على صاحبه لقب «مركيز»، وهو من ألقاب النبلاء وملاّكي الأراضي والإقطاعات في أوربا في العصر الوسيط.

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1j

– النّجدة... النّجدة! هوَ ذا السيّد مركيز كاراباس يغرق!

ما إن سمعَ الملكُ هذه الصّرخات حتّى أطلّ برأسهِ من بابِ العربة، وعرف القطّ الذي لطالما أحضَرَ له الهدايا من طرائدِ سيّده، فأمرَّ حرّاسَه بأن يهرعوا لإنقاذ مركيز كاراباس.

وبَينا كان الحُرّاس يقومون بإخراج المركيز المسكينِ من النهر، اقتربَ القطّ من العَرَبة، وقال للملكِ إنّ بعض اللصوصِ قد سرقوا ملابسَ سيّدِه فيما هو يسبح. وبالرغم من هتافه المتعالي داعياً إلى ملاحقة اللّصوص، فإنّ القطّ العجيب كان قد خبّأَ الملابسَ تحت صخرةٍ كبيرة. وعلى الفورِ، أمرَ الملك حرّاسَه بأن يذهبوا لخزائن ملابسِه، وأن يأتوا بأجملها للمركيز. ثمّ راح الملك يداعب هذا الأخير ويغدق عليه آيات عطفه.

أظهرت الملابس الجميلة التي أتى بها حرّاس الملكِ للمركيز طلاقةَ محيّاه، إذ كان بهيَّ الطلعةِ قويّ الشخصية. فأُعجبت به الأميرة أشدّ الإعجاب؛ وحَدَجَها المركيز بنظرتين أو ثلاثٍ ملؤها الاحترام والرقة، فوقعتْ في حبّه ووَلِعَتْ به.

دعا الملكُ المركيزَ للرّكوبِ معه في العربةِ للتنزّه. أمّا القطّ فقد سَعِدَ لأنّ الخطّةَ التي رسمها بدأت تأخذ طريقها للنجاح، وانطلقَ يسبقهم على الطريق، فقابلَ بعضَ الفلاّحين وكانوا يحصدون في أحد الحقول، فقال لهم:

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1J


Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1J

– أيّها المزارعون الطيّبون، إذا لم تخبروا الملك بأنّ الحقل الذي تحصدونه هو من أملاك السيّد مركيز كاراباس فستُقَطَّعون جميعاً إرَباً إرَباً كاللّحم المفروم.

وبالفعل، سألَهم الملك لدى مروره عمّن يكون صاحبَ الحقلِ، فقالوا له إنّه للمركيز كاراباس، إذ كانوا قد أخافهم تهديد القطّ. فقال الملك للمركيز:

– لديك هنا إرثٌ جيّد!

فردَ المركيز:

– هل رأيت يا مولاي؟ إنّ هذا الحقلَ يغلُّ بوفرةٍ كلّ عام.

وفيما يسبقهم القطّ على الطريق، قابلَ عمّالاً زراعيّين يحصدون قمحاً، فقال لهم:

– أيّها الحاصدون الطيّبون، إذا لم تخبروا الملكَ بأنّ كلَّ هذا القمحِ هو للسيّد مركيز كاراباس فستُقَطَّعون إرباً إرباً كاللحم المفروم.

وعندما مرَّ الملكُ بعدَ قليل، أرادَ أن يعرفَ لمن يكونُ كلّ ذلك القمح، فسألهم، وأجابوه:

– إنّه يا مولانا للسيّد مركيز كاراباس.

فأظهر الملك للمركيز فرحَه من جديد. وكان القطّ الذي يسبقهم دوماً يقول الشيء نفسه لكلّ من يقابلهم على الطريق؛ ممّا

Twitter: @6a1j

أثار دهشةَ الملكِ من وفرةِ أملاكِ المركيز.

وأخيراً وصلَ القطّ إلى قصرٍ بديعٍ يملكه أحدُ الغيلان. وهو من أغنى الأغنياء إذ كانت كلّ الأراضي التي مرّ بها الملك في طريقه تابعةً لهذا القصر. استعلمَ القطّ عن الغولِ وقدراته أوّلاً، ثمّ طلبَ مقابلته، وقال له إنّه لم يشأ المرور بالقصر دون أن ينالَ شرفَ إلقاء التحيّة على صاحبه، وتقديم آيات الاحترام له.

استقبله الغول بأقصى تهذيبٍ يستطيعه كائنٌ مثله، ودعاه للجلوس. فقال له القطّ:

- قيل لي إنّ باستطاعتك أنْ تتحوّل إلى صورةِ أيّ حيوانٍ تريد؛ فهل تستطيع مثلاً أن تصيرَ أسداً أو فيلاً؟

فردّ الغولُ على الفور:

- هذا صحيح، ولكي أبرهنَ لك ذلك ستراني أتحوَّلُ أمامك إلى أسد.

ارتعبَ القطّ لدى رؤية الأسد، وهربَ من أمامِه حتّى بلغَ الميازيب العلويّة، بصعوبةٍ ومجازفة بسبب جزمتيه اللّتين لا تصلحان للسير على قرميد القصر.

وبعد برهة، لاحظ القطّ أنّ الغولَ قد عادَ إلى هيئتهِ الأولى، فهبطَ معتذراً منه بكونه قد انتابه الذعر. وقال له:

- لقد زعموا - ولكنّني أريد التاكّد- من أنّ بإمكانكَ أيضاً

Twitter: @6a1f

التحوّل إلى حيوان صغير كالجرذ أو الفأر، أعتقد أنّ ذلك من المستحيلات.

فردّ عليه الغول:

- ليس هذا مستحيلاً. سترى.

وفي التوّ تحوّل الغولُ إلى فأر صغير وأخذ يجري على الأرضيّة. وما إن رآه القطّ، حتّى وثبَ عليه والتهمَه.

وفي تلك الأثناء، كان الملكُ قد رأى القصرَ البديع أثناءَ مروره، وأبدى رغبته في دخوله. وسمع القطّ جَلَبَة العربة الملكيّة وهي تمرّ على جسرِ البوّابةِ، فهرع إلى الملك وقال له:

- أهلاً بك يا مولاي في قصرِ السيّد مركيز كاراباس.

فصاح الملك:

- إيه أيّها المركيز، هل هذا القصر أيضاً من أملاكك؟ ما أجملَ هذه الحدائقَ التي تُحيط به وما أروع مبانيه! هل بإمكاننا أن نتفقّده من الدّاخلِ أيضاً؟

أعطى المركيز يدَهُ للأميرةِ الجميلة ليُساعدها على الهبوطِ من العَرَبة. وتقدّمهما الملك داخلاً إلى أحد أبهاء القصر، فوجدوا مأدُبةً كان قد أعدَّها الغول لبعضِ ضيوفِه، ولكنّهم لم يجرؤوا على الدخول إلى القصر عندما علموا أنّ الملك كان فيه. فُتِنَ الملك بسخاءِ المركيز، وكذلك ابنتُه التي شغفت به حبّاً؛ وعندما رأى

Twitter: @6a1f

وفرةَ ممتلكاته، قال له بعد أن شربَ نحو خمسِ كؤوسٍ أو ستّ:

– أيها المركيز ألا ترغبُ في مُصَاهَرتي؟

وافق المركيز على الشّرفِ الذي مُنحَ له مُبدياً آيات التقديرِ والإجلالِ للملك، وفي اليوم نفسِه تزوَّجَ الأميرة. أمّا القطّ فقد صارَ من النبلاء، وتوقّف عن مطاردةِ الفئران والجرذان، إلاّ للتسلية.

العِبرة

مهما تكنِ اللذّةُ التي ينالُها المرء
من التمتُّعِ بثروةٍ موروثةٍ عن الآباءِ والأجداد
فالعملُ وحُسنُ التّصرُّف
هُما للشبيبةِ كنزُها الحقّ.

عبرة أُخرى

إذا استطاعَ ابنُ طحّانٍ أن يأسرَ، وبهذه السّرعة،
قلبَ أميرة
وجعَلَها تتطلّع إليه بعينينِ هائمتَين

Twitter: @6a1f

فلأنّ الشّبابَ والوسامةَ وحُسنَ الهندام
هيَ من أكثرِ ما يُليِّنُ القلوب.



Twitter: @6a1j

كان يا ما كان، كان هناك سيدةٌ أرملةٌ لديها ابنتان، وكانت الابنةُ الكبرى تُشبِهها تماماً في مَظهَرِها ومَخْبَرِها، من رآها فكأنّه رأى الأمّ. وكانت الأمّ وابنتها هذه بغيضتين مغرورتين لا يُطاق العيش معهما، بينما كانت الابنة الصُّغرى على مثالِ أبيها في اللّطف والأمانة، زدْ على ذلك أنّها كانت من أجملِ الجميلات. ولأنّ الطّيور على أشكالها تقع، فقد كانت الأمّ مولعةً بابنتها الكبرى، بينما كانت تمحض الصغرى بغضاً مهولاً، فكانت تُجلِسها لتتناول طعامها في المطبخ، وتُسَخِّرها في الأشغالِ المنزليّة دونَ هوادة.

ومن مهامّ الفتاةِ المسكينة أنّها كان لزاماً عليها أن تجلبَ الماءَ مرّتين في اليوم من نبعٍ يبعُد نصفَ فرسخٍ عن المنزل، وأن تُحضِرَ منه في كلِّ مرّةٍ جرّة كبيرة ممتلئة. وذات يوم، كانت الفتاة عند ذلك النّبع، فجاءت إليها امرأةٌ عجوز، ورجتْها أن تسقيها بعضَ الماء. قالت لها الفتاة:

Twitter: @6a1f

- تفضَّلي يا أمّي الطيّبة.

وغسلتْ جرَّتها من أجل العجوز وملأَتها من أفضلِ موضعٍ في النبعِ، ورفعتْها إليها مُسندةً إيّاها بيديها لتشرب منها بيُسر. كانت العجوز جنيّةً اتّخذت هيئةَ قرويّةٍ مُسنّة لتختبرَ تهذيبَ الفتاة. وبعد أنْ شربت قالت لها:

- إنّك جميلة وطيّبة ومهذَّبة، ويسعدني أن أمنحكِ هبة سحريّة. بمقابلِ كلّ كلمة تتفوّهين بها ستخرج من فمك زهرة أو قطعة من حجر كريم.

وعندما عادت الفتاة إلى البيت، وبّختها أمّها لتأخّرها عند النبع. فقالت لها الفتاة معتذرة:

- أعبّر لكِ عن شديدِ أسفي يا أمّي العزيزة!

وما إن نطقت الفتاة بهذه الكلمات حتّى خرجت من فمها زهرتان، ولؤلؤتان، وقطعتان من الماس كبيرتان. فقالت الأمّ مدهشةً:

- ما هذا الذي أراه؟ لقد رأيتُ لآلئ وماساتٍ تخرج من فمك! من أين يأتي هذا يا ابنتي؟

وكانت هي المرّة الأولى التي تناديها بكلمة «ابنتي». فحكت لها الفتاة الصغرى ببراءةٍ ما جرى لها مع العجوز، ولم يتوقّف الماس عن التدفّق من فمها أثناء سردها حكايتها. فقالت لها الأمّ:

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1j

حقّاً، ينبغي أن أرسلَ ابنتي إلى هناك.

ونادت على ابنتها الأثيرة:

– انظري يا «فانشون» (وكان هذا هو اسمها)، يا ابنتي، ما الذي يخرج من فم شقيقتك عندما تتكلّم. ألن يكونَ جميلاً أن تتمتّعي بالخَصلة نفسها؟ لن يكون عليك سوى الذهاب لجلبِ الماءِ من النبعِ، وعندما تطلب منكِ امرأة عجوز أن تشربَ فاسقيها بكلّ إخلاص.

فردّت الفتاة بصَلَف:

– لن يسرّني أن أذهبَ إلى النبع.

قالت لها الأمّ:

– أريدُ أن تذهبي إلى النّبعِ، وفي الحال.

وذهبت الفتاة متذمّرةً، وأخذت معها أجمل إبريق فضيّ كان لديهم في البيت. وما إن وصلت إلى النبع حتّى رأت سيّدة ترتدي ملابس رائعة تخرج لها من الغابةِ، وتطلب منها شربة ماء. كانت هي الجنّية ذاتها التي ظهرت لشقيقتها، وإن اتّخذت هذه المرّة سماتِ أميرةٍ حسناء، كي ترى مدى تهذيبِ هذه الفتاة. فقالت لها الفتاة بصَلَفٍ وغرورٍ:

– وهل أتيتُ هنا لأسقيك؟ لم أُحضِرْ معي هذا الإبريق الفضيّ خصّيصاً لك. اشربي بنفسك من النّبع إذا أردتِ ذلك.

Twitter: @6a1f

قالت لها الجنّية بكامل الهدوء:

– لستِ فتاةً فاضلةً، ولأنّك متجرّدة من الكرم إلى هذا الحدّ، فسأجعلُك تُخرِجين من فمك ضفادعَ وأفاعيَ عند كلّ كلمةٍ تتفوّهين بها.

ما إن رأت الأمّ ابنتها تعود حتّى سألتْها:

– كيفَ الحال يا ابنتي؟

فردّت الفتاة:

– بخيرٍ يا أُمّي العزيزة.

قالت الفتاة القاسية تلك الكلمات، وقد قَذَفَت من فمِها ضِفدعين وثُعبانين. فصرخت الأمّ:

– يا إلهي! ما الذي أراه هنا؟ لا بدّ أنّ شقيقتك هي السّبب في ذلك، وسوف تنالُ جزاءَها.

وهُرِعَت الأمّ لتضربَ الفتاة المسكينة، التي جرت من أمامِها وفرَّت إلى الغابةِ القريبة. فقابلها ابنُ الملكِ، وقد كان عائداً من الصيد، فوجدها جميلة للغاية فسألها عمَّا تفعل وحدَها في الغابةِ، وعن سببِ بكائِها. فقالت له:

– للأسف يا سيّدي، فإنّ أمّي هي التي طردتني من البيت.

رأى ابنُ الملك عدداً من اللآلئِ وقطعِ الماس تخرج من فمِها عند الكلام، فسألها عن سرّ ذلك، فقَصّت عليه مغامرتَها كاملةً.

Twitter: @6a1f

فوقع الأمير في حبّها، وقدّر أنّ موهبتها تفوق ما سيحصل عليه أيّ شخص في زيجةٍ أخرى، فاصطَحَبها إلى قصرِ أبيه الملك، وتزوَّجها.

أمّا شقيقتها فقد صارت كريهةً حتّى أنّ أمّها نفسها طردتها من المنزل، وبعد أن توغّلت في الغابات دون أن تجدَ من يقبل باستضافتها، ماتت في ركنِ إحدى الغاباتِ وحيدةً.

العِبرة

قِطَعُ الذّهبِ والماس
لها على النّفوسِ مفعولُ السِّحر
لكنَّ للكلمةِ الطّيبةِ أثراً يفوقُ ذلك
وثمنُها يظلُّ أغلى.

عبرة أخرى

الأخلاقُ الكريمةُ تستدعي الرّعاية
وقدْراً من اللّطف

Twitter: @6a1j

ولكنْ عاجلاً أو آجلاً نجني ثمارَها
وغالباً حيثُ لا نتوقّع.

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1J

سندريلاّ[1] والخُفّ البلّوريّ الصّغير

كان ياما كان، كان هناك رجلٌ طيب، اقترنَ في زيجةٍ ثانيةٍ بامرأةٍ من أكثر الناسِ غطرسةً وغروراً. وكان لتلك المرأة ابنتان على شاكلتها، تُماثِلانها في كلّ الصّفات. وكان للرّجلِ بدوره ابنة شابّة، لكنّها كانت ذات رقّة وطيبة مُنقطعتَي النظير، وقد ورثت هذا عن أمّها التي كانت من أرقّ نساء العالَم وأكثرهنّ طيبة.

لم تَكَد أيّامُ العُرسِ تنتهي حتّى أسفَرَت زوجةُ الأبِ عن طبعِها السّيّئ؛ فلم تستطع احتمالَ خصال الفتاة الطيّبة التي جعلت ابنتيها تبدوان بالمقارنة بها كريهتين. فأخذت تُكلّفها بأشقّ الأعمالِ في المنزل، فكانت الفتاة هي دوماً من تغسل الأواني وترتّبها، وتنظّف حجرات زوجةِ الأبِ وابنتيها. كما كانت تجعلها تنام في مخزَن الغِلال، على فرشةٍ حقيرةٍ من القشّ، فيما كانت

(1) معنى الاسم هو «فتاة الرّماد»، ولهذا المعنى، وكما سيرى القارئ بنفسه، دلالة هامّة في مجرى الحكاية. ويقف القارئ في الفقرة الثالثة من النصّ على مصدر هذا الاسم المُعطى لبطلة الحكاية.

Twitter: @6a1f

الفتاتان الأخريان ترقدان على أسرّةٍ من أحدثِ طرازٍ، في غرفتين بأرضيّة خشبية، ومرايا على الجدران تعكسُ صورةَ المرءِ من أعلى رأسه حتّى أخمص قدميه. وكانت الفتاة المسكينة تحتمل صابرةً، ولا تجرؤ على الشكوى لأبيها حتّى لا ينهرها، فقد كانت زوجتُه تَتَحكم به تحكّماً مطلقاً.

وكانت إذ تنتهي من عملها تذهبُ لتجلسَ وسطَ الرّماد بالقرب من الموقد، فأطلقوا عليها في المنزل اسم سندريلاّ، أي «فتاة الرّماد». وبالرّغم من ملابسها القذرة، كانت سندريلاّ تبدو أجمل مائة مرّة من أختيها في ملابِسهما الباذخة.

وحدثَ أنْ أقامَ نجل الملكِ حفلاً راقصاً دعا إليه جميعَ الوجهاء، وبينهم الأختان المغرورتان وقد اعتُبِرتا من الأعيان. وها هما فَرِحتان مشغولتان باختيارِ الملابس، وبتصفيف شعرَيهما، لتظهرا بأفضلِ مظهر مُمكن، ممّا أضاف لمعاناةِ سندريلاّ، لأنّها هي من كانت مكلّفة بكيّ ملابسهما وتزيينها. أمّا الفتاتان المغرورتان فقد انهمكتا في الحديثِ حول الملابس، فقالت الكبرى:

– أنا سأرتدي ثوبيَ المِخمليّ الأحمر، مع الحليّ التي أتيتُ بها من إنجلترا.

وقالت الصغرى:

– أنا سأرتدي تنّورتي العاديّة، ولكن سأضع أيضاً معطفي ذا

Twitter: @6a1f

الوردات الذهبيّةِ والمِشْبَك الماسيّ الذي ليس عديم التأثير.

وجيء بأفضل مصفّفةِ شعرٍ للفتاتين، فصفّفت شعرَهما وثبّتتْ عليه قلنسوتين هفهافتين، وأُلصِقَتْ على وجهَيهما خالاتٌ ورقيّةٌ تُبرز بياضَ بشرَتَيهما كما كان سائداً في ذلك العهد. واستَدعتِ الفتاتانِ سندريلاّ لتأخذا رأيها لأنّها كانت ذات ذوق رفيع، فأغدقت عليهما نصائحها، وساعدت في تزويقهما كما رغبتا. وسألتاها بينما هي تساعد في تصفيف شعريهما:

– هل ستكونين سعيدةً إذا جئتِ معنا إلى الحفل الراقص؟

فردّت عليهما:

– واحسرتاه، هل تسخَران مني؟ مِثلُ هذه الأماكن ليست لي.

فقالتا لها:

– إنّكِ لُمحقّة! سيضحك الناس عندما يرون فتاةَ الرّمادِ ذاهبةً إلى الحفل الراقص.

لو كانت فتاة أخرى غير سندريلاّ لأساءت تصفيفَ شَعريهما عن قصدٍ، ولكنْ لأنّها طيّبة القلبِ فقد صفّفت شعرَيهما بأفضلِ صورة. ومن فرط الاستثارةِ والفرح، لم تقرب الفتاتان الطعامَ لمدّةِ يومين. ولقد تمزّق إثنا عشر شريطاً لفرط ما شّدَّتْ أشرطة الفساتين لجعلِ خصرَيهما أكثر نحافة. وظلّت الفتاتان طوال الوقت أمام المرآة.

Twitter: @6a1f

وفي نهاية المطاف جاءَ اليومُ الموعودُ، فانطلقتا إلى الحفل. وتابعتهما سندريلاّ طويلاً حتّى اختفتا عن ناظريها، فانخرطت في البكاء. وعندما رأتها الجنّية عرّابتها غارقةً في دموعِها، سألتها عمّا بها. ومن شدّة بكائها لم تتمكّن سندريلاّ من الإجابة وتلعثمتْ:

– أريد أن.. أريد أن...

فأكملت لها الجنّية:

– تريدين أن تذهبي للحفلِ الراقص، أليس كذلك؟

تنهّدت سندريلاّ وقالت:

– نعم، واحسرتاه.

قالت الجنّية:

– حسناً، إذا كنتِ فتاة طيّبة فسأمكّنكِ من الذهاب إليه.

وأخذتها إلى غرفتِها وقالت لها:

– اذهبي إلى الحديقةِ، وأحضري لي ثمرةَ يقطين.

وذهبت سندريلاّ إلى الحديقةِ، وقطفت أفضلَ ثمرةِ يقطين وجدتها هناك، وأخذتها إلى عرّابتها، دون أن تعرفَ كيف ستُساعدها تلك الثمرةُ على الذهابِ إلى الحفل. فقامت الجنّية بتفريغها ولم تُبقِ إلاّ على قشرتها، ثمّ ضَرَبتها بعصاها السّحريّة، فاستحالت اليقطينة عربةً ذهبيّةً جميلة.

ثم ذهبت الجنّية لتتفقّدَ مصيدة الفئران في غرفتِها، فوجدت بها

Twitter: @6a1f

ستّ فئران ما تزال حيّة. فقالت لسندريلاّ أن تفتحَ شركَ المصيدة، وأخذت تضرب كلّ فأر تخرج منها بعصاها فتتحوّل فرَساً جميلاً رماديّ اللّون أرقط.

ثمّ تحيَّرت ممّا تصنع الحوذيّ، فقالت سندريلاّ:

- سأذهب لأرى مصيدةَ الجرذان، إن كان بها جرذٌ فنجعله حوذيّاً.

فقالت لها عرّابتها:

- أصبتِ، فلتذهبي.

وأحضرت لها سندريلاّ مصيدةَ الجرذان، وكان بها ثلاثة جرذان ضخمة، فاختارت الجنّية أحدها بسبب لحيته الطويلة، ومسّته بعصاها فتحوّل حوذيّاً سميناً ذا شاربٍ أنيق. ثمّ قالت لسندريلاّ:

- اذهبي إلى الحديقة. ستجدين خلفَ مسقاةِ الزهور ستّ عظاءات. أحضِريها لي.

وما إن أحضرَت سندريلاّ العظاءات حتّى حوّلتها الجنّية إلى ستّةِ حُجّابٍ تعلّقوا بمؤخّرة العربة بأزيائهم المرصّعة بجواهر خلاّبة، كما لو كانوا يؤدّون هذا الدّورَ طيلة حياتهم. وقالت الجنّية لسندريلاّ:

- حسناً، هكذا ستذهبين إلى الحفل بالوسيلةِ الملائمة. هل

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1J



Twitter: @6a1J

أنتِ راضية؟

فقالت لها سندريلاّ:

– نعم، ولكن هل سأذهبُ بهذه الملابسِ الرثّة؟

مسَّتها الجنّية بالعصا السّحريّةِ، فاستحالات ملابسُها القذرة ثوباً مرصّعاً بقطع الذهب والفضّة والأحجار الكريمة. وأعطتها بعد ذلك خفّينِ من البلّور ليس لهما مثيل في العالم. وعندما صارت سندريلاّ على أهبةِ الاستعداد، رَكِبَتِ العربة. وأوصتها عرّابتها، قبل أن تنطلق، ألاّ تبقى بعد منتصف الليل في الحفل، محذّرةً إياها من أنّها إذا بقيت لحظةً واحدةً بعد ذلك تحوّلت العربة من جديدٍ ثمرةَ يقطين، وعادت الجياد فئراناً، والحُجّاب عظاءاتٍ، واستعادت ملابسُها هيأتَها الرثة.

وعدتْ سندريلاّ عرّابتَها الجنّية بمغادرة الحفل قبل انتصافِ الليل، وانطلقت وهي في ذروةِ الفرح. وعندما وصلت إلى الحفلِ، أخبروا ابنَ الملك أنّ أميرةً عظيمةً قد جاءَت، ولا أحدَ يعرفُ من هي. فهُرِعَ لاستقبالها، وأعطاها يده بينما هي تهبطُ من العربة، واصطحبها إلى القاعة التي كان يجري فيها الحفل. فحلّ الصّمتُ، وتوقّفَ الراقصون عن الرقصِ، وسكتت الكمنجات عن العزفِ، وذُهِلَ الجميع لمرأى الجمالِ الباهرِ لتلك الفتاة المجهولة. وسُمِعَ لغطٌ من الهمسات المختلطة يقول: ما أجملَها!

Twitter: @6a1f

الملك نفسه، وكان شيخاً مسنّاً، لم يكفّ عن التطلّع إليها، وهمسَ لزوجتِهِ الملكة بأنّه لم يرَ منذ فترة طويلة فتاةً بِجَمالِها ولُطفها. وأبدت جميع السيّدات الحاضرات إعجابهنّ بملابسها وتسريحةِ شعرها، وتساءلن عن إمكانِ وجودِ أقمشة بهذه الجودة، وخيّاطين ومصفّفي شعرٍ بهذه المهارة للحصول على مثلها.

وأجلسَ ابنُ الملكِ سندريلاّ في أفضلِ مكان، ثمّ اصطحبها بعد ذلك للرقص. فرقصت ببراعةٍ حتّى ازداد إعجاب الحاضرين بها. وجيء للمدعوّين بطعامٍ، فلم يقرُب الأمير الشابّ الطعامَ لانشغالِه بجمالِها. وذهبت سندريلاّ وجلست بجوار أختيها، وألقت عليهما المجاملاتِ المناسبةَ، وقدّمت لهما برتقالاً وليموناً ممّا أعطاها الأمير؛ فاندهشتا لذلك بشدّة، إذ لم يعرفاها.

وبَينا يتجاذبن أطرافَ الحديث، سمِعَت سندريلاّ الساعةَ تدقّ الثانية عشرة إلاّ الرّبع، فانحنت مودّعةً صاحبتيها في تبجيل، وانطلقت مُنصرِفةً بأقصى سرعة. وما إن وصلتْ إلى البيت حتّى ذهبت لتلقى عرّابتها، فشكرتها، وقالت لها إنّها تتمنّى أن تذهب إلى الحفلِ الرّاقص في الغدِ أيضاً، لأنّ الأمير رجاها أن تحضر. وبَينا هي تقصّ على عرّابتها ما دار في الحفل، طرقت الأختان البابَ، فذهبت سندريلاّ لتفتحَ لهما، وهي تفرك عينيها وتتثاءب متظاهرةً بإنّها استيقظت لتوِّها من النوم، وقالت لهما:

Twitter: @6a1f

– لقد بقيتُما طويلاً في الحفل.

فردّت إحدى الأختين عليها:

– لو كنتِ معنا لما مللتِ لحظةً واحدة. لقد جاءت أميرةٌ جميلة، من أجمل الجميلات، وقد كانت في غاية اللّطفِ معنا، وقدّمت لنا برتقالاً وليموناً.

شعرت سندريلاّ بفرحٍ غامر، وسألتهما عن اسم تلك الأميرة، فأجابتاها أنْ لا أحدَ يعرف، وقالتا إنّ ابنَ الملك تحيَّر كثيراً لذلك، حتّى إنّه أبدى استعداداً لبذلِ الغالي والنفيس ليعرفَ من هي. فابتسمت سندريلاّ وقالت:

– إذن فقد كانت جميلة؟ يا إلهي كم أنتما محظوظتان! ألا أستطيع أن أراها؟ يا «جافوت»، يا أختي، هل تُعيرينني ثوبَكِ الأصفرَ الذي ترتدينَه كلّ يوم؟

فرَدَت جافوت:

– لستُ مجنونةً لأُعيرَ ثيابي لفتاةٍ رثّةٍ غارقةٍ في الرّماد.

وكانت سندريلاّ تنتظر هذا الرفضَ، وارتاحت له، لأنّها كانت ستشعر بحرجٍ شديدٍ لو قَبِلَت أختها بإعارتَها الفستان.

وفي اليوم التالي ذهبت الأختان إلى الحفل، وكذلك ذهبت سندريلاّ في زينةٍ كانت أبهى من زينتها في المرّةِ الأولى. وبقيَ نجل الملك بالقربِ منها، يُناجيها بأعذبِ الكلام، ومرَّ الوقتُ عليها

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a11

ممتعاً، فنسيت وصيّةَ عرّابتها، ولم تشعر بنفسِها إلاّ والساعة تدقّ أولى دقّات منتصفِ الليل، فقامت وانسحبت بخفّةٍ ظبية. وتبعَها الأمير، لكنّه لم يفلح في اللحاق بها. وسقط من إحدى قدميها أحدُ خُفّيها البلّوريّين، فالتقطه الأمير بكلِّ حرص. وصلت سندريلاّ إلى البيتِ لاهثةً، بدون العربةِ والخدم، وبملابسِها الرثّة، ولم يكن بقيَ لها من الفخامة سوى خُفّ بلّوريّ هو قرينُ ذلك الذي سقطَ من إحدى قدميها. وسُئل الحُرّاس ببابِ القصرِ إن كانوا قد رأوا أميرةً تخرج؛ فقالوا إنّهم لم يروا سوى فتاة شابّة بملابس رثّة، تبدو كمثْلِ فلاّحة لا كمثْلِ آنسةٍ رفيعةِ المقام.

وعندما عادت الأختان من الحفلِ، سألتهما سندريلاّ عمّا إذا كانتا قد أمضيَتا وقتاً طيّباً، وإذا كانت الأميرة الجميلة قد حضرت. فقالتا إنّها حَضرت، لكنَّها هربت ما إن دقّت الساعة منتصف الليل؛ هربتْ بمثْل هذه السّرعة بحيث سقط من إحدى قدميها أحدُ خفّيها البلّوريّين، وقد يكون ذلك عن عمد، وإنّ ابنَ الملكِ قد أخذَ الخفّ، وظلّ طيلة الوقت الباقي من الحفل يتأمّله. وأكّدتا أنّ الأميرَ مُدلَّه بعشقِ الحسناءِ صاحبةِ الخفّ البلّوريّ الصّغير.

وقد كانتا محقّتين، فبعدَ أيامٍ قليلة، أعلنَ الأميرُ، عن طريق المنادين، أنّه سيتزوّج الفتاة التي سيلائم قدَمها ذلك الخُفّ. بدأوا

Twitter: @6a1f

بتجريبِ أقدامِ الأميرات، ثمّ النبيلات، ثمّ كلّ فتياتِ البلاط، ولكن بلا فائدة. وأُخذَ الخفّ البلّوريّ للأختين لتجرِّباه، وقد فعلتا ما بوسعهما كي تحشرا قدميهما فيه، ولكن بلا جدوى. وكانت سندريلاّ تشاهدهما، وقد عَرفت خفّها، فقالت لهما ضاحكة:

– لنرَ إذا كان الخفّ سيُناسبني!

ضحكت الأختان ساخرتين منها. أمّا الرّجل المكلّف بتجريب الخفّ على أقدام الفتيات، فقد نظرَ إلى سندريلاّ طويلاً، ووجدَها جميلة للغاية، فقال إنّه قد أُمِرَ بأن يجعل جميعَ الفتيات يُجرّبن ذلك الخفّ. فأجلس سندريلاّ، وقرّبَ الخفّ من قدمِها الصّغيرة، فدخلتْ فيه دون عناء، وجاء ملائماً لها تماماً. وكانت دهشة الشقيقتين كبيرة، لكنّها ازدادت عندما أخرجت سندريلاّ من جيبها الخفّ الآخر، وألبسته قدمَها الأخرى. عندئذٍ ظهرت العرَّابة، وضربت ملابس سندريلاّ بعصاتِها السّحريّة، فاستحالت أجملَ من ملابسِ الأُخريَين.

وهنا عرفَت الشقيقتان في سندريلاّ الأميرةَ الجميلةَ التي قابلتاها في الحفل، فارتمتا على قدمَيها طالبتين الصّفح بعد كلّ المعاملةِ السيئةِ التي تكبّدَتها منهما. فأنهضتْهما سندريلاّ، وقبلّتْهما، وقالت إنّها سامحتهما بقلبٍ صافٍ، وناشدَتْهما أن يُحبّاها دائماً.

Twitter: @6a1j

واصطحبوا سندريلاّ في كامل زينتها إلى الأميرِ الشابّ، فألفاها أجمل من المعتاد. وبعد أيّام قليلة تزوّجها.

ولأنّ سندريلاّ، فضلاً عن جمالها، طيّبة القلب، فقد دعتْ أختيها لتعيشا معها في القصر، وزوّجتهما في اليوم نفسه لاثنين من وجهاء البلاط .

العِبرة

الجَمالُ للمرأةِ ثروةٌ نادرة
لا نكلُّ من استحسانها ولا نملّ
لكنّ اللّطفَ والكياسةَ هما نِعمتان
أعظمُ قيمةً وأجَلُّ قدْراً.

هذا ما أثبتْته لسندريلاّ عرّابتُها
إذْ زينتْها وعلّمتْها
حتّى جعلتْ منها ملكة
وهنا يكمن مغزى الحكاية؛

فاللّطفُ والكياسةُ، أيّتها الحسناواتُ، أجدى من

Twitter: @6a1j

المظاهر
لكي تنلنَ الحبَّ وتأسرنَ قلبَ المعشوق،
فهاتان النِّعمتان هُما من عطايا الجنّ الحقيقيّة
بدونهما لا نستطيع شيئاً، وبِهما نقدرُ على كلّ شيء.

عبرة أخرى

إنّها لميزةٌ كبرى
أن تكونَ شجاعاً وذكيّاً
آتياً من محتدٍ كريم
وحائزاً على فطرةٍ سليمة
وعلى مزايا أخرى
تحبوكَ بها السّماء
لكنّ تلك الخِصال
لن تجعلكَ ترْقى في الدّنيا
ما لم يصقلْها فيكَ عرّابونَ أو عرّابات.

Twitter: @6a1j

Twitter: @6a1j

ريكيه ذو القُنزُعة[1]

كان يا ما كان، كان أنّ إحدى الملكات وضعت مولوداً بشعاً قبيحَ المَنظَرِ حتّى لقد تشكّك الجميع طويلاً في كونه من صنفِ البشر. وقالت واحدة من ساحرات الجنّ كانت قد حضرت مولده إنّه سيكون رغمَ ذلك محبوباً لأنّه سيتمتّع بسعةِ العقلِ والذّكاء؛ وأضافت أنّه، بفضلِ الموهبةِ التي منحتها إيّاه للتوّ، سيكون بإمكانه أن يهبَ الذّكاء للشخصيّة التي يحبّها أكثر.

ولقد ساهم ذلك في مواساةِ الملكة بعد خوفها من أن تكون قد جاءت للعالم بمخلوقٍ قبيح. وبالفعل، فما إن بدأ الطّفل بالتكلّم حتّى أخذَ يقول أشياءَ في غايةِ الذّكاء، وكان في كلّ أفعالهِ يتّسمُ بالرّجاحة حتّى فُتِنَ الناسُ به. وقد نسينا أنْ نقولَ إنّه قد وُلِدَ بقُنزُعة فوق رأسه ممّا جعلهم يُطلقون عليه لقب «ريكيه ذي القُنزعة».

وبعدَ سبعِ سنوات أو ثمانٍ، وضعت الملكة في المملكةِ المجاورةِ

(1) هي الخُصْلةُ من الشّعَر تُترَك على رأس الصّبيّ.

Twitter: @6a1f

بنتين. جاءت الأولى أجمل من النّهار، فسعدت الملكة لذلك كثيراً حتّى أنّهم خافوا عليها من شدّةِ الفرح. وكانت الجنّية ذاتها التي حضرت ميلاد ريكيه ذي القُنزعة حاضرةً، ولكي تخفّف من سعادةِ الملكة قالت لها إنّ ابنتها لن يكونَ لها ذرّة من العقل، وسيكون غباؤها بقدرِ جمالها. وقد أحزن ذلك الملكةَ كثيراً، لكنّها سرعانَ ما سَقَطَت في حزنٍ أعظم، إذ جاءت ابنتها الثانية في غايةِ القبح. فقالت لها الجنّية:

– لا تجزعي يا سيّدتي، فابنتك هذه ستكون من الذكاءِ بحيث يطغى ذلك على قبحِها فلا يلحَظَه أحد.

فردّت الملكة:

– إن شاء اللهّ؛ ولكن أمَا من سبيلٍ لمنح بعض الذكاءِ للبنت البِكر الشديدة الجمال؟

فأجابت الجنّية:

– لا أستطيع لها شيئاً في ما يخصّ العقل، لكنّي أستطيع في ما يخصّ الجمال. ولأنّي راغبة في فعلِ كلّ ما يسعني فعله من أجلك، فسوف أمنحُها قدرةَ أنْ تَهبَ الجمالَ لمن تريد.

ولمّا كبُرَت الأميرتان، كبرت معهما محاسِنهما. وصار جمالُ الكبرى مَضرَباً للأمثال، وكذلك ذكاء الصّغرى وعقلها. كما نَمَتْ مع الزّمن أيضاً عيوبهما، فازدادت الصّغرى قُبحاً والكبرى

Twitter: @6a1f

غباءً، فهي لا تجيب على أيّ سؤال يوجّه إليها، وإن أجابت نطقتْ بالتُّرَّهات. زدْ على ذلك أنّها كانت عديمةَ المهارةِ، فإذا طُلِبَ منها رصفُ أربعِ قطَعٍ من الخزفِ فوق المدفأة فلا بدّ أن تُحطِّمَ إحداها، وهي لا تستطيع أنْ تشربَ كوباً من الماءِ دون أن تَسكُبَ نِصفَه على ملابسها.

ومع أنّ الجمالَ امتيازٌ أعظمُ لمن تمتلكه، فقد كانت الصُغرى تتفوّق على الكُبرى في كلِّ التجمّعات. ففي البدايةِ يتوجّه الناس ناحيةَ الجميلةِ لمشاهدتها، وإبداء إعجابِهم بها، ولكنْ سرعان ما يلتفتون ناحيةَ صاحبةِ الذّكاءِ ليسمعوا أحاديثها الشيِّقة. وكان من المثيرِ للدّهشةِ أن ترى انفضاضَ الجمعِ من حولِ الجميلةِ في أقلّ من رُبع ساعة، ليلتفّ حول الصّغرى. وقد لاحظت الأخت الكبرى ذلك بالرّغم من غبائِها الشديد، وكانت على استعداد لأن تتنازل عن كلّ جمالِها مقابل الحصول على نصفِ العقل الذي تتمتّع به شقيقتها. ولم تستطع الملكة، رغمَ حكمتها المشهودة، أن تمنع نفسها من لوم ابنتها غير مرّةٍ على غبائها، وهو ما كاد يُميت هذه الأميرة المسكينة ألماً.

وذاتَ يومٍ انتحت الفتاة ركناً في إحدى الغابات تنعي حظَّها، وإذا بها ترى شاباً شديد القُبحِ والدّمامةِ لكنّه يرتدي ملابس شديدة الأناقة قادماً نحوها. ولم يكن سوى الأمير الشابّ ريكيه

Twitter: @6a1f

ذي القُنزُعة، الذي كان قد وقَعَ في غرامِها عن طريق صُوَرِها التي انتشرت في العالمِ كلّه، فغادر مملكةَ أبيه ليحظى برؤيتها ومحادثتها. وقد أسعده مرآها بمفردها، فاقتَرَبَ منها بكلّ احترام وتأدّب مُمكنين. ولاحظ بعد أن حيّاها بالمجاملات التقليديّة أنّها كانت في غاية الأسى، فقالَ لها:

– لا أفهم يا آنستي كيف لشخصٍ في مثْل جمالكِ أن يكونَ حزيناً كلّ هذا الحزن. فمهما تباهيتُ بكثرةِ ما رأيتُ من صنوف الجمال، فأنا لم أرَ قطّ امرأةً بمثلِ جمالِك.

فاكتفت الأميرة بالقول:

– هذا من رهافةِ ذوقِكَ يا سيّدي.

فأكمل ريكيه ذو الخصلة:

– الجمال ميزة عظيمة، وهو يفوق أيّ ميزة أُخرى، ومن مَلَكَهُ ينبغي ألاّ يجزعَ لأيّ سببٍ كان.

قالت الأميرة:

– كنتُ أفضّل أن أكونَ قبيحةً مثلك، وأملكَ بعضَ العقلِ على أن أكونَ جميلةً وغبيّة كما أنا عليه.

فقال ريكيه ذو القُنزُعة:

– إنّ الاحساسَ بافتقادِ الذكاء لهو أكبر دليل على الذّكاءِ نفسه، فمن طبيعةِ العقل أنّه كلّما كبرَ لدينا خامرَنا الانطباعُ بأنّه

Twitter: @6a1j

لا يزال ينقُصُنا منه الكثير.

فقالت الأميرة:

– لا أعرف هذا، ولكنّ ما أعرفه هو أنّني شديدة الغباء، ومن هنا يأتي الحزن الذي يقتلني.

ردّ ريكيه:

– لو كان هذا هو ما يُحزِنُك فبإمكاني، وبكلّ سُرور، أن أضعَ حدّاً لتعاستك.

فسألت الأميرة:

– وكيفَ لك هذا؟

قال ريكيه:

– لديّ يا آنستي القدرة على أن أمنحَ العقلَ للشّخص الذي أُحبّه أكثرَ من أيِّ شخص سواه، ولما كُنتِ أنتِ هذا الشّخص، فبإمكاني أن أمنحَك من الذّكاءِ بقدرِ ما لديَّ منه، لكنّ ذلك يتوقّف على رغبتك في الزّواجِ مني.

بقيت الأميرة صامتةً ولم تَنبِس ببنتِ شفة. فقال لها ريكيه:

– أرى أنّ هذا الاقتراح لا يروق لك؛ وذلك لا يدهشني؛ ولكنّي أدَعُ لكِ سنة كاملة لتتّخذي قرارك بهذا الشأن.

كان للأميرة عقلٌ صغيرٌ حقّاً، ورغبةٌ كبيرةٌ في الحصول على المزيد من الذّكاء، فهيّأ لها ذكاؤها المحدود أنّ نهاية هذا

Twitter: @6a1j

العام لن تأتيَ أبداً، فقبلت العرضَ المقدّم إليها؛ وما إن وعَدَت ريكيه ذا القُنزُعة بأن تتزوّجَه في مثلِ ذلك اليوم من العام المقبل حتّى شَعرَت بنفسِها وقد صارت مختلفةً عن ذي قبل؛ صارت تجد بسهولةٍ كلّ ما ترغب في قوله، لا بل تقوله بأسلوب رفيعٍ ومطبوع. وقد بدأت في تلك اللّحظة تتجاذب مع ريكيه أطرافَ حديثٍ جزلٍ ورقيقٍ، أظهرت فيه ذكاءً غير عاديّ، ممّا جعل ريكيه يظنّ أنّه أعطاها من العقل أكثرَ ممّا احتفظ به لنفسه.

وعندما عادت إلى القصر، لاحظَ كلّ مَن في البلاط أنّ تغيراً مُفاجئاً وخارقاً للعادة قد طرأ عليها، فطوال الوقت كانوا يسمعونها تتفوّه بالحماقات، وها هي ذي الآن لا تنطق سوى بكلماتٍ منتقاةٍ بعناية، وفي منتهى الذّكاء. وعمَّ بين أفرادِ البلاط فرحٌ غامرٌ، ولم يُستثنَ من ذلك سوى شقيقتها الصّغرى التي لم تُسَرّ بما حدثَ، لأنّها لم تعد متفوّقةً على أختها بميزةِ الذكاء، ولا تبدو بجانبها إلاّ كمثْلِ قردٍ قبيح.

وصار الملك يسترشد بآرائها، حتّى أنّه كان يذهب لحجرتِها أحياناً ليستشيرها في بعض الأمور. وقد طارت الأخبار حولَ التغيّر الذي أصابها، حتّى بلغت مسامعَ الأُمَراء الفتيان في الممالكِ المجاورة، فبذلوا قصارى جُهودهم ليفوزوا بودِّها، وطلبها معظمُهم للزواج، لكنّها لم تجد لدى أيٍّ منهم ما يكفي

Twitter: @6a1f

من الذّكاء، واستمعت إليهم جميعاً دون أن تعاهد أيّاً منهم على الارتباط به. إلى أن تقدّم إليها أحدهم وكان ذا بأسٍ وثراءٍ، ذكيّاً ووسيماً بالقدر نفسه، فلم تستطع مقاومة الشّعور بالانجذاب إليه. وعندما لاحظَ أبوها الملك ذلك، قال لها إنّه سيجعلها سيّدةَ قرارِها في مسألة اختيار الزوج، وليس عليها سوى الإفصاح عن مشاعرها. ولما كانت شدّة الذكاء تَزيد أحياناً من صعوبةِ اتخاذ القرار الحاسم في أمرٍ كهذا، فقد طَلَبَت من أبيها، بعد أن شكرَته، أن يُمهلها بعضَ الوقتِ لتُفكّر.

وحتّى تستطيعَ التفكيرَ بهدوءٍ في ما هي فاعلةٌ، ذهبت لتتريّضَ، ويا للمصادفة!، في الغابة نفسها التي كانت قد قابلت بها ريكيه ذا القُنزُعة. وبَينا هي تسيرُ مستغرقةً في التفكير، سمعت جلبة شديدة تحتَ قدميها، كما لو كان عدد من الرجالِ يروحون ويجيئون في حالةٍ من النشاط، فأصاخت السّمع بانتباه فسمعت أحدَهم يقول: «أعطني هذه القدْرَ» وآخر يقول «أعطني هذا المرْجلَ» وثالثاً يقول «ضَع بعضَ الحطبِ في النارِ ههنا». ثمّ انشقّت فجأةً الأرض تحتَ قدميها، فرأت ما يُشبِه مطبخاً كبيراً مليئاً بالطهاة وكلِّ أنواع الخَدَمِ والحشَم والعمّالِ اللاّزمين لإقامة مأدبةٍ هائلة. ثمّ خرج من هناك حوالى عشرين أو ثلاثين طاهياً يحملون سفّود الشّواء، ويعتمرون قلنسوات طريفة الأشكال

Twitter: @6a1j

تنتهي بما يشبه ذيلاً متدلّياً، وقد توجّهوا نحو مائدة هائلة تتوسّط أحد ممرّات الغابة، وأخذوا في العمل على إيقاع أغنية متناغمة.

اندهشت الأميرة لمرأى هذا المشهد وسألتهم لحسابِ مَن يعملون، فقال لها كبيرهم:

– هذا من أجلِ عُرس الأميرِ ريكيه ذي القُنزُعة الذي سيُقام غداً.

فازدادت دهشة الأميرة، وتذكّرت فجأةً أنّ عاماً قد مرَّ على اليوم الذي وعدت فيه ريكيه ذا القُنزُعة بالزّواج منه؛ فشعرت أنّها تسقط من علٍ. وما جعلها تنسى هو أنّها كانت قد قطعت على نفسها ذلك الوعد حين كانت لا تزال غبيّةً، وعندما وهبها الأمير الذكاءَ تناست كلّ حماقاتها السّابقة.

وما إن همَّت بمواصلةِ مسيرتها في الغابةِ حتّى ظهَرَ أمامَها ريكيه ذو القُنزُعة في كاملِ أُبَّهتِهِ كأميرٍ مقبلٍ على الزواج، وقال لها:

– ها أنت تريننني قد وفيتُ بكلمتي، ولا أشك أنّك أيضاً قد جئتِ إلى هنا لتبرّي بوعدك.

قالت الأميرة:

– أعترف لك بكلّ صراحة أنّي لم أحسم قراري بَعد بشأنِ ذلك الموضوع، وأخشى أنّي لن أستطيعَ أبداً أن أحسمه بالشّكل

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1J

الذي تتمنّاه.

فردَّ ريكيه:

– كم أنا مندهشٌ يا آنستي!

فقالت له الأميرة:

– أعتقد أنّني لو كنتُ قدّمت وعدي لرجلٍ فظٍّ منعدم الذكاء لكنتُ وقعتُ في حرجٍ شديدٍ، ولكان قال لي إنّي كأميرة لا بدّ أن أحترِمَ كلمتي، وإنّه لزامٌ عليّ أنْ أتزوّجَه ما دمتُ قد وعدتُه بذلك. ولكنْ لمّا كان مَن وعدتُه أذكى الرّجالِ قاطبةً، فأنا واثقةٌ من إنّه سيفهمني. أنت تعرفُ أنّي يومَ كنت حمقاء لم أستطع أن أتّخذَ قراراً بشأن زواجي منك، فكيف تريد منّي، بعد كلّ الذكاء الذي منحتَني إياه، والذي يجعلني اكثر تطلّباً إزاء الآخرين، أن أتّخذَ مثلَ هذا القرار؟ لو كنتَ قد فكّرتَ جديّاً في الزواجِ منّي، كان حريّاً بك ألاّ تمحو غبائي، وألاّ تجعلني أرى الأمورَ بوضوح أكثرَ من ذي قبل.

فردّ عليها ريكيه ذو القُنزُعة قائلاً:

– إذا كان رجل بلا عقلٍ سيكون محقّاً في لومك لعدم احترامكِ كلمتك، فلماذا تريدين يا آنستي ألاّ أتقدّم لك باللّوم نفسه وهو أمرٌ يتعلّق بكاملِ سعادتي في الحياة؟ أيُعقَل أن يكونَ الأشخاص من أصحاب الذّكاء في وضعٍ أسوأ من المحرومين منه؟ هل

Twitter: @6a1j

تستطيعين الزّعمَ بذلك، أنتِ التي لطالما عانيتِ من افتقاد الذّكاءِ ولطالما تمنّيتِ أن تحصلي عليه؟ لكنْ لنأتِ إلى موضوعنا، فبغضّ النظر عن دمامتي، هل فيَّ شيءٌ آخر لا يُعجِبُك؟ أأنتِ غير راضيةٍ عن حسبي ونسبي؟ أو عن ذكائي؟ أو عن طباعي؟ أو عن أخلاقي؟

فردّت الأميرة:

– كلاّ! فأنا أحبّ فيك كلّ هذه الأشياءِ التي ذكرتَها.

فقال لها ريكيه:

– إذا كان الأمرُ كذلك، فسوفَ أكون سعيداً، لأنّك ستستطيعين أن تجعليني أكثرَ الرّجالِ وسامةً.

فسالتهُ الأميرة:

– وكيف ذلك؟

قال ريكيه:

– إذا أحببتِني بالقدرِ الكافي لأن تتمنّي ذلك. وأحبّ أن أخبرَك بأنّ الجنّية التي وهبتْني يومَ ميلادي القدرةَ على منح الذّكاءِ للفتاة التي تُعجبني، وهبتْكِ أنتِ القدرةَ على جعلِ من تُحبّينه ومن ترغبين في إسداء هذا الصنيع له رجلاً وسيماً.

فقالت الأميرة:

– إذا كان الأمر كذلك، فأنا أتمنّى من كلّ قلبي أن تصيرَ أوسمَ

Twitter: @6a1f

أميرٍ في العالم، ولسوف أمنحكَ هذه القدرةَ بقدر ما أنا أتمتّع بِها.

ما كادت الأميرة تتفوّه بهذه الكلمات حتّى بدا ريكيه ذو القُنزُعة لعينيها كأجملِ رجالِ العالَم، وأكثرهم وسامةً ولطفاً. ويؤكّد البعض أنّ ذلك لم يكن بفعل سِحر الجنّية، لكنّ الحبّ وحده هو ما سبّبَ ذلك التحوّل. قيل إنّ الأميرة عندما فكّرت بقوّةِ إرادةِ محبوبها، وبحصافتِه وكلّ خصال روحِه وعقلِه الطيّبةِ، لم تعد ترى عيوبَ جسدِهِ ولا دمامةَ وجهه. بدا لها ظهرُه الأحدب كمثْلِ ظَهرِ رجلٍ يتخايلُ بإبرازِ عضلاتِ ظهره، وعرَجُه في السّير الذي كانت هي تراه مخيفاً بدا لها لا أكثرَ من مَيَلانٍ محبّبٍ إلى النّفس. قيل أيضاً إنّ حَوَل عينيه تراءى لعينيها نوعاً من البريق الرّائع، وإنّ زيغَهما لاحَ لها كواحدة من علامات التدلّهِ في العشق؛ لا بل حتّى أنفه الأحمر بدا لها كواحدة من علاماتِ الشّجاعةِ والبطولة.

وأيّاً كان الأمر، فقد وعدته الأميرة في الحال بالزّواج، شريطةَ أن تحصلَ على مباركة أبيها الملك. وعندما عرف والدها أنّ ابنته ميّالة للأمير ريكيه ذي القُنزُعة، وافق على مصاهرته على الفور؛ لأنّه كان يعرفه أميراً واسع العقل وشديدَ الذّكاء. ومن اليوم التالي، أُقيمت الأعراس كما خطّط لها الأمير ريكيه، ووفقاً للأوامر التي كان قد وجّهها منذ فترةٍ طويلة.

Twitter: @6a1f

العِبرة

ما نراه في هذه الكلمات
ليس مجرّدَ حكاية
بل هو الحقيقةُ بعينها؛
كلّ شيءٍ جميلٌ في مَن نحبّ
وكلّ مَن نحبّ متوقّدُ الذّكاء.

عبرة أخرى

مهما حَبَتِ الطبيعة معشوقاً
بملامحَ جميلة
وبألوانٍ يعجزُ عن تجسيدِها الفنّ
فكلّ تلك العطايا لا تستطيع
أن تجعلَ قلباً يهيمُ به حبّاً
مثلما يستطيعه السِّحرُ الخافي
الذي يجعلنا الحبُّ نلمحُه فيه.

Twitter: @6a1f

Twitter: @6a1j

أُصَيبِع[1]

كان يا ما كان، كان هناك حطّابٌ وزوجته، لهما سبعة أبناء كلّهم من البنين. أكبرُ الأبناءِ كان في العاشرة من عمره، فيما كان الأصغر في السّابعة. وقد يندهش البعض من أن الحطّاب قد أنجَب أبناءَه كلّهم في هذه الفترةِ القصيرة، لكنّ امرأته كانت ولوداً ولا تضع في الولادة الواحدة أقلّ من اثنين. وكان الزّوجان فقيرين للغاية، فبقي أبناؤهما السّبعة عبئاً ثقيلاً عليهما، إذ كانوا صِغاراً عاجزين عن كسبِ قوْتهم بأنفسهم.

وما كان يضاعف بؤس الزوجين أنّ الابن الأصغر كان مُفرط الضّعف، ولا يتكلّم أبداً. وقد عدّا بلاهةً ما كان بالعكس من علاماتِ ذكاءِ روحه. كما كان ذلك الولد صغيرَ الجثّة بشكلٍ ملحوظٍ، فقد ولدَ بطولِ الإبهام، مما جَعَلَهم يدْعونه «أُصَيبع».

وكان هذا الولد المسكين كبش الفداء لكلّ من في المنزل، فهم دائماً ما كانوا يعدّونه على خطأ. لكنّه كان أكثر الأبناء فطنةً وذكاءً؛

(1) تصغير «إصبَع»، ويأتي تفسير الاسم في نهاية الفقرة الثانية من النصّ. وهذه الحكاية معروفة في العربيّة بعنوان تقريبيّ هو «عقلة الإصبَع».

Twitter: @6a1f

وكان قليلَ الكلامِ لأنّه أكثر إنصاتاً للآخرين.

ثمّ أقبل عليهم عامٌ رهيبٌ عانوا فيه من الجوع ما جَعَل الزّوجين الفقيرين يقرّران التخلصَ من أبنائهما. وذاتَ يومٍ، والأبناء نيامٌ، قال الحطّاب لزوجته بقلبٍ يعتصره الألم وهما جالسان بجوار النار:

– ها أنت ترين، نحن لم نعُد قادرَين على إطعامِ أطفالَنا. وأنا لن أحتملَ رؤيتهم يموتون من الجوعِ أمامَ عينيّ، وقد قرّرتُ أن أجعلهم يضيعون غداً في الغابة، وهو أمرٌ يسيرٌ، فبَينا هم يمرحون ويجمعون الأحطابَ، نقوم أنا وأنتِ بالفرار دون أن يشعروا.

فصرخت الحطّابة:

– أوّاه! أتقدرُ أنت أن تُضيّعَ أطفالَك بنفسك؟

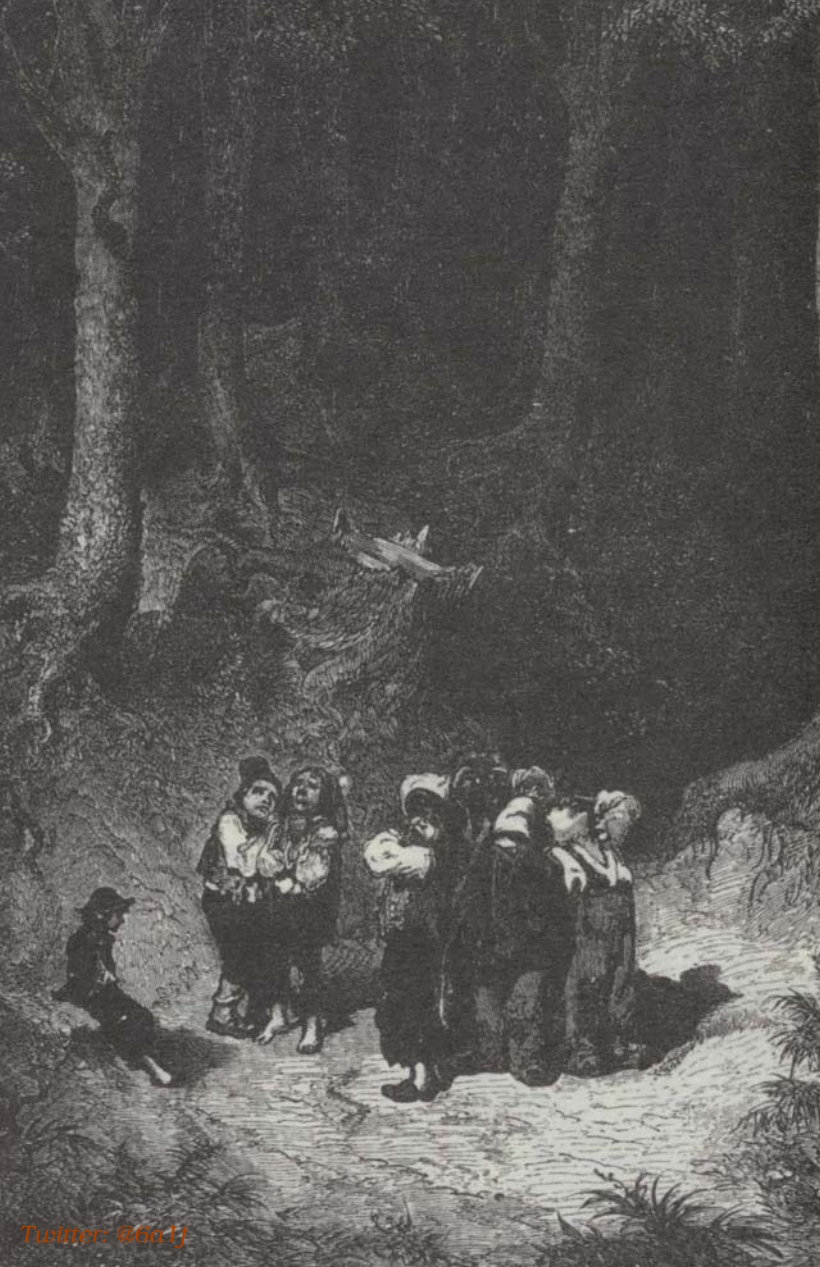
فقام الزوج يذكّرهما بفقرهما المدقع، ولم توافقه زوجتُه الرأيَ. لقد كانت معوزةً حقاً، لكنها كانت أمّهم. ولكن عندما تخيّلت ألمها عندما تراهم يموتون من الجوع أمام عينيها عادت واقتنعت بفكرته، وذهبت للنوم باكية.

كان أُصَيبع قد أنصت لكلّ ما قاله أبواه. فعندما سمعَهما وهو في فراشه يدبّران أمراً، قام بهدوءٍ واختبأَ تحتَ مقعد أبيه ليُنصت لكلامهما دون أن يُرى. ثمّ ذهب لفراشه وظلّ يقظاً ما تبقّى من الليل، يفكّر في ما ينبغي عليه أن يفعله. وقام في الصّباحِ الباكر،

Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1j



Twitter: @6adJ


Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1j

وذهبَ إلى جرف أحدِ الجداول وملأ جيوبه بالحصى الأبيض الصّغير، ثمّ عاد إلى البيت لينطلقوا جميعاً خارجين، ولم يفصح أُصَيبع لإخوته عن شيءٍ ممّا يعرفه.

وذهبوا إلى غابة كثيفة الأدغال، تنعدم فيها الرؤية على مبعدة عشر خطوات، وأخذ الحطّاب يقطع الأخشاب فيما الأطفال يجمعون العيدان ليحزموها معاً. وعندما لاحظَهم الأبُ والأمّ منهمكين في العمل، انسحبا مبتعدَين عنهم، وفرّا هاربين عبر طريقٍ جانبيّة.

وعندما تبيّن للأطفال أنّهم بمفردهم في الغابة، أخذوا بالبكاءِ والصراخ بكلّ قوّتهم؛ إلاّ أُصَيبع، فقد كان يعرف طريقَ العودةِ إلى المنزل، لأنّه كان قد تركَ الحصى الأبيض الذي يحتفظ به في جيوبه يتساقط منها طوال الطريق أثناء قدومهم إلى الغابة، وقال لهم:

– لا تجزعوا يا إخوتي؛ لقد تَرَكَنا والدانا هنا، لكنّي سأعود بكم إلى المنزل، وما عليكم إلاّ أن تتبعوني...

فتبعوه حتّى قادهم إلى البيتِ عبرَ الطّريق ذاتها التي جاءوا منها إلى الغابة. ولم يجرؤوا على الدّخول، بل وقفوا عند الباب يتنصّتون لما يقوله الأب والأمّ في الدّاخل.

في اللّحظة التي كان الحطّاب والحطّابة قد وصلا فيها إلى

Twitter: @6a1f

المنزل، أرسل لهما عمدة القرية عشرة ريالات كانت مستحقّة لهما منذ فترة طويلة، وكانا قد يئسا من الحصول عليها. فبعث فيهما ذلك الحياةَ لأنّهما كانا يتضوَّران جوعاً. فأرسل الحطّاب زوجته في الحال إلى دكان القصّاب. ولمّا كانا لم يأكلا شيئاً منذ وقتٍ طويل، فقد اشترت من اللّحم ثلاثةَ أضعافِ ما كان يلزم لعشاءِ شخصين. وعندما أكلا وشبِعا، قالت الحطّابة:

- يا للحسرة، أين أولادي المساكين الآن؟ لو كانوا هنا لاستلذّوا ببقيّة طعامنا هذه! لكنّك أنت يا زوجي من رغبَ في إضاعتهم، وقد قلتُ لك إنّنا سنندم على ذلك. ترى ماذا يفعلون الآن في تلك الغابة؟ لا بدّ أنّ الذئبَ قد التهمهم الآن. أنتَ مجرّد من الانسانية إذ تضيع أولادك هكذا.

عيلَ صبرُ الحطّاب في نهاية المطاف، لأنّ زوجته راحت تقول وتعيد القول إنّهما سيندمان. فهدّد بضربها إن لم تصمت. ولا يعني هذا أنّ الحطّاب لم يكن حزيناً مثلها، وربّما أكثر، لكنّها كانت قد أزعجته بإلحاحِها. وكان الحطّاب، مثله مثل رجال كثيرين، يحبّ المرأة ذات الكلام العذب، ويُلفي المرأة الملحاح مزعجةً جدّاً.

كانت الحطّابة تنتحب وتقول:

- يا حسرتي! أين أبنائي الآن، أبنائي المساكين؟

وفي إحدى المرّات، صرَخَت بقوة حتّى سمِعَها الأولاد من

Twitter: @6a1f

موقعهم خارج الباب، فهتفوا في صوتٍ واحد:

– ها نحن، ها نحن!

فركضت لتفتحَ لهم البابَ، وقالت وهي تُعانقهم:

– كم أنا مسرورة برؤيتكم مرّةً ثانيةً يا أبنائي الأعزّاء، ها أنتم هنا، ولا بدّ أنكم جائعون بشدّة؛ وأنت يا «بيارو» يا صغيري كم تبدو موحلاً، تعال لأنظّفك.

كان «بيارو» هو ابنها البِكر والمفضّل لديها، لأنّه كان أصهب قليلاً وكذلك هي كانت صهباء بعض الشيء.

وجلسوا إلى المائدة، وتناولوا الطعامَ بشهيّة، وأخذوا يحكون عن معاناتهم وخوفهم في الغابة، وكانوا جميعاً يتكلّمون في الوقت نفسه. وكان الأبوان الطيّبان فرحين برؤية أبنائهما بينهما مرّةً أخرى. لكنّ ذلك الفرح استمرّ حتّى نفدت الرّيالات العشرة، وما إن أُنفقت النقود حتّى سقطا في اكتئابهما القديم ذاته، وقرّرا إضاعة الأطفالِ مرّةً أخرى. وحتّى لا تفشل المحاولة قرّرا أخذهم إلى مكانٍ أبعدَ من مكان المرّة الماضية.

لم يستطيعا أن يتحدّثا عن الموضوع سوى بالهمس، مع ذلك فقد سمِعَهما أُصَيبع، وأعدّ عُدّته للخروجِ من المأزَق كما فعل من قبل؛ لكنّه عندما استيقظ مبكّراً لجمع الحصى، لم يستطع الخروجَ لأنّه وجد باب البيت مغلقاً بالمفتاح. لكنّه عرف كيف يتدبّر أمرَه،

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1J


Twitter: @6a1j

فعندما أعطى أبوهم كلّ واحدٍ منهم قطعةً من الخبزِ للغداء، فكّرَ في استخدام نصيبه من الخبزِ بدلاً من الحصى، بتفتيته وإلقاء الفتات على طول الطريق الذي يسلكونه. فاحتفظَ بقطعة الخبزِ في جيبه.

وأخذهم الأبوان إلى منطقة من الغابة كثيفةِ الأدغال معتمة، ثمّ انتهجا طريقاً منزويةً دون أن يراهم الصّغار، وتركوهم هناك. لم يحزن أُصَيبع كثيراً، لأنّه اعتقد أنّه سيعثر على طريقه بسهولة معتمداً على فتات الخبز التي تركها في كلّ المناطق التي مرّوا بها. لكنّه فوجئ بغيابِ فتاتِ الخبز، إذ كانت الطيور قد جاءَت عليه وأكلتْه كلّه.

وها أنّهم في ذروة الخوف، فكلما تقدّموا في السّير ضاعوا متوغّلين في الغابة. وهبط اللّيل عليهم، وهبّت عاصفة أثارت فزعهم. وظنّوا أنّهم يسمعون ذئاباً تعوي في طريقها إليهم من كلّ الجهات لتلتهمهم. وكانوا لا يجرؤون حتّى على الكلام أو الالتفات. ثمّ هطلت أمطار غزيرة اخترقتهم حتّى العظام، وصاروا ينزلقون لدى كلّ خطوة يخطونها فيسقطون في الأوحال، وتتلطّخ أجسادهم.

تسلّقَ أُصَيبع شجرةً حتّى قمّتِها ليستطلعَ المكانَ بحثاً عن أيّ شيء. وبتلفّته في كلّ الاتجاهات رأى على البُعد بصيصَ ضوءٍ

Twitter: @6a1f

خافتٍ كما لو كان صادراً عن شمعة، لكنّه كان بعيداً جدّاً خارج الغابة. هبطَ من الشّجرةِ، وعندما بلغَ الأرضَ لم يعد يرى شيئاً، فأخافه ذلك، ولكنْ عندما سارَ مع إخوته لبعضِ الوقت في الاتّجاه الذي رأى فيه الضوء، عثَروا على مصدره فخرجوا من الغابة.

في نهاية المطاف وصلوا إلى البيت الذي كانت فيه تلك الشّمعة، بعد رحلة مجلّلة بالخوف. فقد كانوا يفقدون أثر الضّوء أثناء سيرهم حين تهبط بهم الطريق في منخفضاتها. طرقوا على الباب، ففتَحَتْ لهم البابَ امرأةٌ عجوزٌ، وسألتهم عمّا يريدون؛ قال لها أُصَيبع إنّهم أولاد فقراء ضلّوا طريقَهم في الغابة، وإنّهم يبحثون عمّن يُحسن إليهم ويأويهم تلكَ الليلة. ولمّا رأتهم السّيدة أطفالاً جميلين، انهمرت في البكاءِ وقالت لهم:

– وا أسفاه يا أبنائي. ألا تعرفون أين أنتم؟ ألا تعرفون أنّ هذا بيت غولٍ ممّن يأكلون الأطفالَ الصغار؟

كان أُصَيبع يرتعد بشدّة هو وإخوته، وقال لها:

– ذلك مؤسف يا سيّدتي. لكن ماذا نفعل؟ إذا لم تأوينا هذه الليلة فأكيدٌ أنّنا ستلتهمنا ذئاب الغابة، ونحن نفضّل في هذه الحالة أن يكون زوجكِ الغول هو من يأكلنا. قد يُرفق بنا إذا ما التمستِ أنتِ منه ذلك.

Twitter: @6a1f


Twitter: @6a1j

ظنّت زوجة الغول أنّ بإمكانها أن تخبّئهم عن عينَي زوجها حتّى الصّباح التالي. فسمحت لهم بالدّخول، وأجلستهم يتدفّأون بجوارِ نارٍ مشتعلة كانت تشوي عليها خروفاً بكامله لعشاءِ زوجها. وما إن بدأ الدفء يتسرّب إليهم حتّى سمعوا ثلاث طرقات عنيفة أو أربعاً على الباب؛ إنّه الغول قد عاد. خبّأتهم السيّدة فوراً تحت السّرير، وذهبت لتفتح الباب. سأل الغول في البداية إن كان عشاؤه جاهزاً، وإن كانت قد أعدّت له بعض الشّراب. وجلس إلى المائدةِ رأساً. كان الخروف ما يزال نيّئاً، ولكنّه كان يفضّله كذلك. تشمّم الغول الأجواء يمنةً ويسرةً، وقال إنّه يشمّ رائحةَ اللّحم الحيّ. قالت له زوجته:

- لا بدّ أنّها رائحة العِجلِ الذي أعددتُه للطهو.

ردّ الغول:

- أقول لك إنّني أشمّ رائحةَ لحمٍ حيٍّ، يوجد شيءٌ هنا لا أفهمه.

وقام من الطاولة وهو ينطق بهذه الكلمات، وتوجه مباشرةً نحو السّرير وقال لزوجته وهو ينظر لها شزراً:

- آه، هكذا كنت تريدين خداعي أيّتها المرأة الملعونة. لا أعرف ما الذي يمنعني من التهامك أنتِ أيضاً سوى كونك عجوزاً حمقاء. ها هي فرائس سائغة تكفي لإشباعي وإشباع

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1j

ثلاثة من أصدقائي الغيلان سيأتون لزيارتي هذه الأيّام.

وأخذ يسحبُ الأولادَ من تحت السّريرِ الواحد تلو الآخر. فجَثا المساكين على رُكَبِهم طالبين منه الرّحمة، لكنّهم كانوا تحت يدي أكثر الغيلان قسوةً. كان قد بدأ بالتهامهم بعينيه فعلاً، قائلاً لزوجته إنّهم سيكونون وجبة شهيّة عندما تطهوهم بالمرقِ اللذيذ.

ثمّ استلّ سكّيناً كبيرة وأخذ يشحذها على حجر طويل كان ممسكاً به في يده اليسرى. وراح يدنو من الأطفال، حتّى قبض بقوّة على واحد منهم. عندها قالت له زوجته:

– ماذا تفعل في هذه السّاعةِ المتأخرة؟ ألن يكونَ لديك وقتٌ لذلك غداً في الصباح؟

نهَرَها الغول قائلاً:

– اصمُتي أنتِ، سيكون لحمهم الآن أكثر طراوة.

عادت الزّوجة وقالت له:

– لكنّ لديك الآن الكثير من اللّحم: هناك العِجل، وخروفان اثنان!

قال لها زوجها الغُول:

– إنّك لعلى صواب. أطعميهم حتّى يسمنوا، وخذيهم لينامو.

طَرِبت المرأة الطيّبة من الفرح، وأخذت الأولاد لتقدّم لهم طعام العشاء. لكنّهم لم يقربوا الطعام لأنّ الخوف كان قد استولى

Twitter: @6a1f

عليهم. أمّا الغول، فقد غرق في الشّربِ سعيداً بالغنيمة التي سيدعو إليها أصدقاءه. وشرِبَ دستةً من الكؤوس فوق ما اعتاد على شُربه، ممّا ثَقُل على رأسه، ودفعه للذّهاب للنوم.

كان للغول سبع بناتٍ صغيرات. وكان لتلك الغيلان الصّغيرات بشَرات جميلة إذْ كنّ يأكلنَ اللّحمَ الطازَجَ كأبيهنّ؛ وكانت لهنّ عيونٌ كاملةُ الاستدارةِ صغيرةٌ ورماديّة، وأنوفٌ معقوفةٌ، وأفواهٌ كبيرةٌ بأسنان طويلة متفرّقة؛ ما كنّ مُتوحّشات بعد، وإن كنّ في طريقهنّ لذلك، إذ كنّ يعضضنَ الأطفالَ الصغارَ ليمصصنَ دماءَهم.

كانت الفتيات السّبع نائمات منذ ساعةٍ مبكّرة. كنّ راقداتٍ جميعاً في فراش واحد كبير، يعتلي رأسَ كلٍّ منهنّ تاجٌ من الذّهب. وكان في الغرفة فراش آخر بحجم مماثل، وضَعَت فيه زوجة الغول الأولادَ الصّغار السبعة، ثمّ ذهبت لتنامَ بجوارِ زوجها.

لاحظَ أُصَيبع التّيجانَ الذّهبيةَ تعلو رؤوس بناتِ الغولِ النائمات، وخشيَ أن يندم الغول على عدم ذبحه لهم هو وإخوته في المساء ذاته. فقامَ في منتصف الليل ونزع قلنسوته وقلنسوات إخوته ووضعها فوق رؤوس بنات الغول النائمات بعدما نزع عنهنّ التيجان الذهبية ليضعها فوق رأسه ورؤوس إخوته، وذلك ليضلّلَ الغول فيظنّ هذا أنّهم الفتيات، ويظنّ أنّ بناته

Twitter: @6a1f

هنّ الأولاد الذين يريد ذبْحهم. وقد نجحت الخطّة كما تخيّلها أصَبيع. فقد قام الغول في منتصف الليل نادماً لأنّه أجّل للغد ما يستطيع أن ينجزه في تلك الليلة، فقفز من سريره واستلّ سكّينه، قائلاً لنفسه:

– هيّا، لنتفقّدِ الصّغار الملاعين، لن أتردّدَ هذه المرّة.

وصعد متلمّساً طريقه نحو غرفةِ بناته، واقترب من الفراش الذي يرقد فيه الأولاد، وقد كانوا جميعاً يغطّون في سباتِهم إلاّ أُصَبيع. وتحسّست يدُ الغول رؤوسهم، فأحسّت بوجود التيجان عليها. وقال لنفسه:

– كنت سأقومُ هنا بعملٍ أخرق، أرى أنّي قد أفرطتُ في الشّربِ هذه اللّيلة.

ثمّ توجّه إلى فراشِ البنات، وتحسسّ الرؤوس فلمسَ قلنسوات الأولاد، وقال:

– ها هُم الصغار البواسل. فلنعملْ بكلّ شجاعة.

وقطع رؤوس البنات السّبع دون تردّد، ثمّ ذهب سعيداً بصنيعه لينامَ بجوارِ زوجته.

وما إن سمعَ أُصَبيع غطيطَ الغولِ حتّى أيقظَ إخوته، وقال لهم أن يرتدوا ملابسَهم بسرعةٍ ويتبعوه. ونزلوا جميعاً إلى الحديقة، وقفزوا من فوق السّور. وأخذوا في الركضِ ما تبقّى من الليل،

Twitter: @6a1f

مرتعدين، لا يعرفون إلى أين يتّجهون.

وعندما استيقظ الغول، قال لزوجته:

- اصعَدي لتهيئة هؤلاء الأولاد الشّجعان الذين جاءوا بالأمس.

اندهشت الزوجة من كلامِ الغول، وفكّرَت أنّه ربّما طلب منها تهيئتهم للرّحيل لا للطهوِ كي يأكلهم. وصَعَدت إلى الغرفة، ففوجئت ببناتها السّبع مذبوحات وغارقات في دمائهنّ.

كان أوّل ردّ فعلٍ لها هو أن أُغشي عليها (وهو ما تفعله أغلب النّساءِ في الحالات المماثلة). وعندما خشيَ الغول أن تبطئ زوجته في تنفيذ المهمّة التي كلّفها بها، صعد إليها ليساعدها، ولم تكن مفاجأته أقلّ من مفاجأةِ زوجته عندما رأى المشهدَ البشع. فصرخ:

- أوّاه! ماذا فعلت أنا هنا؟ سيدفع التعساء ثَمَنّ ذلك غالياً، وفي الحال.

وقام برشّ بعضِ الماء على أنفِ زوجته لتُفيق، وقال لها:

- أحضري لي حذاءَ الفراسخ السّبعة (أي الجزمة المسحورة التي تمكّنه من اجتياز سبعة فراسخ في كلّ خطوة) لألحقَ بهم.

وخرجَ وراءهم في البرّ، وبعد أن ركضَ في كلّ الاتجاهات بحثاً عنهم، دخل أخيراً في الطريق التي فرَّ عبرَها الأولاد المساكين،

Twitter: @6a1f



Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1J

الذين كانوا قد صاروا على بُعدِ مائة خطوة فقط من بيتِ أبيهم. ورأوا الغولَ يقفز من جبلٍ إلى آخر، ويجتاز الأنهارَ كمن يجتاز جدولاً صغيراً. رأى أُصَيبع صخرة مجوَّفة بالقربِ من المكان الذي كانوا فيه، فخبّأ إخوته الستّة داخلَها واختبأ وإيّاهم، وظلّ يراقب الغول. كان الغول قد أُنهِكَ من طولِ الشّوط الذي قطَعه دون جدوى، فحذاءُ الفراسخ السّبعة يُرهق مُنتعِلَه أيّما إرهاق. فرغبَ الغول في أن يستريح، وبالصّدفة جلسَ على الصّخرةِ نفسها التي اختبأَ في جوفها الأولاد الصغار.

لما كان الغول قد تملّكه الإرهاق، فسرعان ما غطّ في النومِ حالَ جلوسه، وأخذ يُطلق شخيراً مفزعاً أرعبَ الأولاد المساكين مثلما أرعبهم حين همَّ بذبحهم بسكّينه في اللّيل. كان أُصَيبع أقلّهم خوفاً، فقال لإخوته أن يفرّوا إلى بيت أبيهم في الحال بينما الغول غارقٌ في نومه، وألاّ يقلقوا بشأنه هوَ. فسمعوا نصيحته، وهُرِعوا إلى البيت.

اقترب أُصَيبع من الغول، وسحَبَ منه حذاءه برفق، وانتعله في الحال. كان الحذاء كبيراً للغاية، ولكن لأنّه مسحورٌ، فقد كان له أن يكبرَ أو يصغرَ ليلائمَ القدمَ التي تنتعله، فجاء مناسِباً لقدم أُصَيبع كما لو كان قد صُنِعَ خصّيصاً لها.

ذهب أُصَيبع مباشرةً إلى بيتِ الغول، حيث وجدَ زوجته تبكي

Twitter: @6a1j

بجوار بناتِها المذبوحات، فقال لها:

- إنّ زوجَك في خطرٍ عظيم، فقد أسرتْه عصابة من اللّصوص، وقد أقسموا على قتله إن هو لم يُعطهم كلّ ثروته من الذّهب والفضة. وفي اللّحظة التي وضعوا فيها الخنجر على رقبته لَمَحَني، ورجاني أن أجيءَ إليك لأُخبرك بما هو فيه، وأن أطلبَ منكِ كلّ ما لديه هنا، وإلاّ لَقتلوه بلا رحمة. ولأنّ الأمر عاجلٌ للغاية، فقد أعطاني حذاءَ الفراسخ السّبعة حتّى أصلَ سريعاً، وكذلك حتّى لا تظنّي أنّني محتال.

فزعت السيّدة الطيّبة، وأعطته في الحال كلّ ما لديها، لأنّها كانت تحبّ زوجَها، بالرّغم من أنّه يأكل الأطفال. فحصلَ أُصَبيع على كلّ ثروةِ الغول، وعادَ إلى بيتِ أبيه، حيث استقبلَه الجميع بالفرح.

بعض النّاس لا يعترفون بهذه الحادثةِ الأخيرة، ويدَّعون أنّ أُصَبيع لم يسرق أموالَ الغول قطّ، وأنّه لم يشعر بالذّنب لاستيلائه على حذائه المسحور، حذاء الفراسخ السّبعة، لأنّ الغول لم يكن يستخدمه إلاّ لمطاردة الصّغار. هؤلاء الناس يؤكّدون أنّ معلوماتهم آتية من مصادرَ موثوق بها، لا بل حتّى أنّهم حصلوا عليها لأنّهم تناولوا الطّعام والشّراب في بيت الحطّاب. وهم يؤكّدون أنّ أُصَبيع ما إن انتعل حذاءَ الغولِ حتّى ذهب إلى

Twitter: @6a1j

بلاطِ أحد الملوك، حيث كان الملك ورجاله قلقين بشأن جيشهم الذي كان يخوض معركة على بُعد مائتي فرسخ. ويزعم هؤلاء إنّ أُصَيبِع قابلَ الملك، وأخبره أنّه يستطيع أن يأتيَه بأنباء الجيش قبلَ انتهاء اليوم، فوعَده الملك بمبلغ ضخم من المال إنْ هوَ فعلَ ذلك. وبالفعل جاءَ أُصَيبِع بأخبارِ الجيش في مساء اليوم نفسه. هذه الرّحلة الأولى جعلته مشهوراً، وصارَ يحصل على كلّ ما يطلبه؛ فقد كان الملك يكافئه بسخاءٍ مقابلَ إيصال أوامره إلى الجيش، كما أنّ سيّدات كثيرات صِرن يعطينه ما يريد مقابلَ أن يأتيَ لهنّ بأخبارِ أحبّائهنّ، وهو ما درَّ عليه أرباحاً طائلة.

وكانت بعض النّساءِ يُكلّفنه بإيصال الرسائل لأزواجهنّ، لكنْ بمقابلٍ زهيد، وما حَصّله من ذلك شَكّل له عائداً ضئيلاً لا يستحقّ أن يوضعَ في الحسبان.

وبعدما اضطلع أُصَيبِع بمهمّة ساعي البريد هذه ردحاً من الزّمن، وجَمَعَ منها ثروة طائلة، عادَ إلى بيتِ أبيه، حيث استُقبِلَ بفرحٍ يفوق التّصوّر. وقد نعمتْ بخيره عائلته كلّها، فاشترى مناصبَ فخريّة لأبيه وإخوته؛ فتمتّعوا جميعاً بالاستقرار، وعاشوا شاكرين له حُسنَ صنيعِه.

Twitter: @6a1j

لا أحدَ يجزعُ من كَثرةِ الأبناء
إذا ما كانوا وسيمينَ أقوياء البُنْيةِ طوالَ القامات
وذوي مظاهرَ خلاّبة
لكنْ عندما يكون أحدُهم واهيَ الجِسمِ أو لا يُحسِن
الكلام
فثمّةَ من يزدريه أو يسْخر منه أو يعتدي عليه،
معَ أنّ هذا المسْخَ الشائه
هو مَن يصنعُ أحياناً هناءَ العائلةِ بأسْرها.

Twitter: @6a1j



Twitter: @6a1J

جِلدُ الحِمار

(انطلاقاً من حكاية شعريّة لشارل بيرّو[1])

كان يا ما كان، كان هناكَ ملكٌ عظيمٌ، يحظى بحُبّ جميعِ رعاياه، وباحترامِ كلّ جيرانِه وحلفائِه حتّى لَيمكن القول إنّه كان أسعد الملوكِ طرّاً. وقد اكتملت سعادتُه باختيارِه قرينةً له أميرةً ذات جمالٍ وعفّة؛ وعاش الزّوجان السّعيدان في وفاقٍ تام. لم يثمر زواجهما سوى بنتٍ وحيدةٍ، وُهبت الحُسنَ واللّطفَ فعوّضتْهما بذلك عن قلّة الذرية.

كان قَصره تسودُه الفخامة والرّخاء والذوق الرفيع؛ الوزراء كانوا مَهَرةً وحكماء؛ والحاشية رجالها من الأفاضلِ المُلتزمين؛ والخدم كانوا مخلصين ومتفانين في العمل. وكانت الاسطبلات عامرة بأجودِ أنواعِ الخيل المطهَّمة بالأغطيةِ المزخرفة. ولكنّ ما كان يثير عَجَبَ الأغراب ممّن يأتون للفُرجة على تلك الاسطبلات الرائعةِ هو حمارٌ وُضِعَ في صدر المكان وقد برَزَت له أُذنان طويلتان

(1) انظر بخصوص مصدر هذه الحكاية «إضاءات»، في بداية هذا الكتاب.

Twitter: @6a1f

كبيرتان. لم يضعه الملك في هذه المكانةِ الخاصّة والمميَّزة اعتباطاً، ولكن لأنّ خصال هذا الحيوان النادر كانت تستحقّ هذا التقدير. فالطّبيعة قد شكّلته على نحوٍ عجيب، إذ بدلاً من الأوساخ، تكون فرشتهُ مغطاةً كلّ صباحٍ بمقاديرَ من الدّراهم والعملات الذهبية من كلّ الأصناف، يتمّ جمعها فورَ استيقاظه.

ولأنّ تقلبات الحياةِ تطالُ الملوكَ كما تطال عامة الناس، ولأنّ الخيرَ دائماً ما تمتزج به بعض الشّرورِ، فقد حَكَمَتِ السّماءُ بأن تُصَاب الملكةُ، على حين غرّةٍ، بمرضٍ عضالٍ، عَجَزَ العلم ومهارة الأطباء عن إسعافها منه. وعمَّ الحزن. وسَقَطَ الملكُ، العاشق الولهان، في كدرٍ شديد مكذِّباً بذلك المثل الشّهير القائل إنّ الزواجَ مقبرةُ الحبّ. وطافَ بكلّ دُور العِبادةِ في مملكتهِ رافعاً دعواته الصّادقة، وكان على أتمّ استعداد للتضحيةِ بحياتهِ من أجلِ إنقاذِ حياة زوجتهِ العزيزة. لكنّ ابتهالاته كلّها ذهبت سدى. وعندما شعرتِ الملكةُ باقترابِ ساعتها الأخيرة، قالت لزوجها الغارق في دموعه:

- اسمحْ لي بأن أطلب منك شيئاً قبلَ أن أموت، وهو أنّه، إذا ما عنّ لك أن تتزوّج مرّةً ثانيةً....

أطلق الملك صرخاتٍ مثيرةً للشفقة لدى سماعه كلمات

Twitter: @6a1f

زوجته، وأخذ يديها بين يديه مُغرقاً إيّاها بدموعهِ، وحاول أن يُطمئنها إلى أنّ حديثها عن زواجه مرّة ثانية لم يكن هناك ما يستدعيه. قال لها:

- لا، لا يا مليكتي العزيزة، حدثّيني بالأَحرى عن اللّحاق بك.

فقالت الملكة بحسم ضاعف من أسف الملك:

- الدولةُ.. ستكونُ الدولةُ بالضّرورةِ بحاجةٍ لمن يخْلفُكَ في العرشِ، وبما أنّي لم أُنجب لك سوى ابنة وحيدة، فإنّ ذلك يستحثّك على انجاب أبناء يشبهونك؛ لكنّي أطلب منك بشدة، وباسم الحبّ الذي تكنّه لي، ألاّ تخضع لضغوط شعبك إلاّ عندما تجد أميرةً تفوقني في الجمالِ والحُسن. أريدُ عهداً منك بذلك حتّى أموتَ راضيةً.

قد تكون الملكة، التي لا تنقُصُها الكبرياء، قد طالبت بذلك العهد لثقتها أنّه لا يوجد في العالم امرأة تضاهيها في الجمال، معتقدةً أنّ ذلك يضمنُ عدم زواج الملكِ ثانيةً أبداً. وفي النهايةِ ماتت. ولم يُحدِثْ زوجٌ مثل ذلك الصّخب: بكاء، وعويل في اللّيلِ والنهار، وصارت التفاصيلُ الدقيقةُ للحدادِ هي شاغله الوحيد.

الأحزان العظيمة لا يمكن أن تدومَ إلى الأبد. وعلى هذا، فقد اجتمع كبار رجالِ الدولةِ، وذهبوا بكامل هيئتهم لحثّ الملكِ على

Twitter: @6a1j

الزّواج ثانيةً. بدا له الاقتراحُ قاسياً، وانهمرت من عينيه الدّموع مجدّداً. وذكر العهدَ الذي كان قد قطعَه على نفسهِ أمامَ الملكةِ، وتحدّاهم أن يستطيعوا العثورَ على أميرةٍ تفوقُ زوجته حسناً وجمالاً، معتقداً أنّ ذلك من المستحيلات. لكنّ المجلسَ قابلَ ذلك العهد باستهانةٍ، وقال إنّ شرط الجمال ليس مهمّاً، والمهمّ في الملكةِ أن تكونَ فاضلةً ولوداً؛ وإنّ الدولةَ تتطلبُ وجودَ أمراءَ لضمان رفاهتها واستقرارها؛ وإنّ الأميرةَ الصّغيرةَ لديها كلّ المؤهلات لتكون ملكةً عظيمةً، ولكن لا بُدّ من اختيار زوجٍ لها؛ وإنّ زوجاً غريباً سيأخذُها لديه، أو يجلسُ معها على العرشِ، وإنّ الأحفادَ في هذه الحالة لن يكونوا من صُلبِهِ، ولن يكونَ هناك أميرٌ يحملُ اسم الملك، والشّعوب المجاورة قد تجرّهُ إلى حروبٍ تقود المملكةَ إلى الدّمار. صُدِمَ الملكُ من كلّ هذه الاعتبارات، ووعدَ بمحاولةِ إرضائهم.

وبالفعل، بحثَ بينَ الأميرات عمّن يمكن أنْ تناسبه. كلّ يوم يُحضرون له صوراً لصبايا فاتنات لكنّ أيّاً منهنّ لم تتمتع بمحاسن الملكة الراحلة؛ وهكذا لم يستطع أن يحسمَ قراره.

ولسوء الحظ، خَطَرَ ببالِ الملك أنّ الصّغيرةَ، ابنته، لم تكن فقط أجملَ من أمّها وأكثر حسناً، لكنّها أيضاً كانت تفوقها كثيراً بعقلها وخصالها. فأشعل شبابُها ونضارةُ وجهها الجميل في الملك ناراً

Twitter: @6a1j

حارقة لم يستطع إخفاءها عن الصّغيرة، وقال لها إنّه توصّل لحلٍّ بأن يتزوّجها بما أنّها الوحيدة التي يمكنها أن تحرّره من العهد الذي كان قد قطعه على نفسه.

شَعَرت الأميرةُ الشابة إنّها سيُغشى عليها لدى سماعِها ذلك الاقتراح الرهيب. وارتمت عِند أقدامِ أبيها راجيةً إيّاه بكلّ ما في نفسها من عنفوان ألاّ يُرغمها على ارتكاب مثل هذه الجريمة.

استشارَ الملكُ، الذي قرَّ في ذهنه هذا المشروع العجيب، كاهناً مُسنّاً لكي يريحَ بالِ ابنته. كان طموح ذلك الكاهن يتفوّق على تقواه، فضحّى بقيمتي البراءة والفضيلة، مقابلَ أن يحظى بثقةِ مثلِ هذا الملك العظيم، متسلّلاً إلى وعيه بدهاء، مزيّناً له الجريمة التي هو بصدد ارتكابِها، لا بلْ أقنعه بأنّ زواجَه من ابنته هو من قبيل أعمال التقوى. قبَّل الملكُ ذلك الكاهنَ الشرّير، مأخوذاً بمداهناته، وأصبح أكثَرَ تصميماً على مشروعه، وأعطى أوامرَه للأميرةِ أنْ تتجهّزَ لتلبيةِ رغبته.

لم تتخيّل الأميرةُ الشابّة، وقد ألمَّ بها ألمٌ عظيم، شيئاً آخر سوى أن تذهبَ لزيارةِ عرَّابتها «جنّية اللّيلك». فانطلقت في اللّيلةِ ذاتها لهذا الغرض في عَرَبة جميلة يجرّها كبشٌ سمينٌ يعرف كلّ الدروب. ولحسن الحظّ، وصلت إلى هناك. فقالت الجنّية للأميرة، وكانت تحبّها كثيراً، إنّها تعرفُ كلّ ما قد جاءت لتقصّه عليها، وأخبرتها

Twitter: @6a1j

ألاّ ينتابها القلق، فلا شيءَ يُمكنه أن يُلحقَ بها الضّررَ إنْ هيَ التزَمَت بتنفيذِ ما ستُمليه عليها. وقالت لها:

– إنّ زواجك من أبيك يا أميرتي العزيزة سيكون خطيئةً كبيرةً؛ لكن يُمكِنُك تجنّب ذلك من دون معارضته؛ قولي له إنّه، كي يلبّي لك إحدى رغباتك، عليه أن يأتي لك بثوبٍ في لونِ الزّمن. لن يستطيع أبداً بكلّ ما لديه من حبّ ومقدرة أنْ يتوصَّل إليه.

شَكَرتِ الأميرةُ عرّابتَها جزيلَ الشّكر. وفي صباحِ اليوم التالي، قالت للملك ما نَصَحتها بِهِ الجنّية، مؤكدةً إنّها لن تُعطي موافقتَها ما لم تحصل على ثوبٍ بلونِ الزّمن. فرحَ الملك بالأمل الذي كانت ابنته تمنحه إيّاه، وجَمَعَ أشهرَ الخيّاطين في مملكته، وأمرَهم بِصُنعِ ذلك الثوبِ، مهدّداً بشنقهم جميعاً إنْ هم فشلوا في ذلك. إنّ السّماءَ العُليا المحاطةَ بالسّحائب الذهبيةِ لن تبدوَ زرقتُها أَجمَلَ ممّا بدا عليه ذلك الثوبُ عندما عُرِضَ عليهم. سَقطَت الأميرةُ في كدرٍ عظيمٍ، ولم تعرفْ كيف تخرجُ من هذه الورطة. وتعجّل الملكُ العاقبة. فوجبَ على الأميرة أن تُهرعَ ثانيةً إلى العرّابةِ، التي اندهشت من عَدَم نجاحِ حيلتها. وقالت لها أنْ تحاول أنْ تطلبَ منه ثوباً آخر بلونِ القمر. أرسل الملك، الذي لا يستطيع رفضَ طلبٍ لابنته، لإحضار أمهرَ الخيّاطين، وأمَرَهم بتجهيزِ ثوبٍ في لون القمر في ظرف أربعٍ وعشرين ساعة.

Twitter: @6a1j

كانت الأميرة مفتونة بالثوب أكثر ممّا بعناية أبيها الملك، وانتابها غمٌّ لا حدود له عندما جلست مع مربيّتها ووصيفات القصر. وجاءت جنّية اللّيلك لنجدتها، وقد عرفت بكلّ شيء، وقالت لها:

– يبدو أنّني قد أخطأتُ في حساباتي، ماذا لو تطلبين منهُ ثوباً بلونِ الشّمسِ، سنكونُ قد شارفنا على جعل والدكِ الملكِ يسأم من الأمر كلّه، لأنّهم لن يتوصّلوا أبداً لصُنع ثوبٍ كهذا، أو على الأقلّ سنكسبُ بعضَ الوقت.

وافقتِ الأميرةُ، وطلبت الثوبَ من أبيها، فلم يتردّد الملك العاشق في إعطاء كلّ قِطع الماسِ والياقوت التي في تاجه ليُرصَّع بها ذلك الثوب البديع، موصياً بعدم ادّخار أيّ جهد كي يخرجَ ذلك الثوب بألقِ الشّمس. وما إن ظهرَ الثوب حتّى اضطُرّ كلّ من رآه إلى إغلاق عينيه حتّى لا يعشيها البريق. كيف صار حالُ الأميرة وقتَذاك؟ لم يُرَ قبل ذلك الثّوب شيءٌ بمثل ذلك الجمال أو بمثلِ تلك الصّنعة. اضطربت الأميرةُ، وبدعوى انبهارِ عينيها، انسحبت إلى حُجرتها حيث كانت تنتظرُها الجنّية وهي في غاية الارتباك. بل كان الأمر أسوأ من ذلك، لأنّها عندما رأت ثوبَ الشمسِ احمّر وجهها غَضَباً. وقالت للأميرة:

– آه يا صغيرتي، هذه المرَّة، سنُخضِعُ الحبّ الشائنَ الذي

Twitter: @6a1f

يطالب به أبوكِ إلى اختبارٍ رهيب. هو مُصرٌ على هذا الزّواج، ويتخيّل انّه سيتحقّق في القريب العاجل. ولكن أعتقدُ إنّه سيطيش صَوابُه لو طُلِبَ منه ما سأنصحُك به: جِلدُ ذلك الحمار الذي يحيطه هو برعايته ويغدق عليه كلّ ما يحتاجه من نَفَقات؛ هيّا اذهبي وقولي له إنّك ترغبين في ذلك الجِلد.

ذهبت الأميرةُ لتعرضَ على أبيها رغبتها في الجِلد، وقد قرَّ بالُها لأنّها وجدت أخيراً وسيلةً تُخلّصَها من تلك الزّيجة الكريهة، معتقدةً أنّه لن يُقدِمَ أبداً على التضحيةِ بحِمَارِهِ الجميل. بُهِتَ الملكُ من طلبِ ابنته الغريب، وإن لم يُثنه ذلك عن إرادةِ إرضائها، فذُبِحَ الحِمَارُ المسكين، وبكلّ أناقةٍ جِيءَ بِجلدِه إلى الأميرة.

هُرِعت العرَّابة إلى الأميرةِ فوجدَتها تُمزِّق شَعرَها وتلطمُ خدّيها الجميلين وكانت قد انتابها اليأسُ من أنْ تجدَ وسيلةً تُنقذها من بؤسِها، فقالت لها:

– ماذا تَفعلين يا ابنتي؟ إنّها أسعد لحظات حياتك. ضعي على جَسَدك هذا الجلد، واخرجي من هذا القصر، واذهبي إلى حيثُ تحملُكِ الأرض. عندما يضحّي المرءُ بكلّ شيءٍ من أجل الفضيلة فإنّ الآلهة تعرف كيف تعوّضه خيراً. اذهبي، وأنا سأحرص على أنْ تتبعَك أدواتُ زينتِك حيثما حللتِ. ففي الأماكن التي ستتوقّفين فيها ستجدين الصّندوقَ الذي يحتوي على ثيابِك

Twitter: @6a1f

وجواهرك يتبع خطواتك على الأرض، وها هي عَصَاي فخُذيها: متى احتجتِ إلى ذلك الصّندوق، انقري بها الأرضَ وسيظهر لعينيك؛ ولكنْ عجِّلي بالرّحيل ولا تتأخّري.

غَمَرتِ الأميرةُ عرّابتها بالقُبلات، ورَجَتها ألاّ تتخلّى عنها أبداً، والتحفت بجلدِ الحمارِ بعدَما لطّخت جَسدها بسُخام الموقد، وخرجت من ذلك القصرِ المنيفِ، دون أن يعرفها أحد.

أحدَثَ غيابُ الأميرةِ ضجّةً كبيرة. وسَقَطَ الملكُ في الغَمّ بعدَما كانَ قد أمرَ بإقامةِ حفلٍ عظيمٍ، ولم يفلح في تعزيته شيء. وأطلقَ أكثر من مائة دركيّ وأكثر من ألف فارس للبحثِ عن ابنته؛ ولكنّ الجنّيةَ التي كانت تحرُسها أخفتها عن عيونِ أكثرِ الباحثين حذْقاً. هكذا كان عليه في نهايةِ المطافِ أن يتعزّى لغيابِ ابنته.

في تلك الأثناء أخذت الأميرة تسير وتسير. ذهبت بعيداً، فأبعد وأبعد، باحثةً عن مكان. كان النّاس يتصدّقون عليها بما تأكله، لكنّ أحداً لم يرغب فيها لقذارتها. ثمّ وصلت إلى إحدى المدن. على مداخل هذه المدينة كانت توجد مزرعةٌ تحتاج صاحبتها لخادمةٍ تغسلُ لها الخِرَق وترعى دواجنها وتنظّفُ مشاربَ الماشية. وعندما رأت السيّدةُ هذه المسافرةَ شديدةَ الاتّساخ، دعتها للدخولِ إلى منزلها؛ وهو ما قبلت به الأميرةُ عن طيبِ خاطرٍ،

Twitter: @6a1j

لأنّها كانت مرهقة من طول السّير. أجلستْها مُضيفتها في رُكنٍ قصيّ من المطبخ، حيث تعرّضَت في الأيام الأولى للمزاح الخشن من باقي الخدم، لأنّ جلد الحمار الذي كانت ترتديه كان يُظهِرُها بمظهرٍ قذرٍ مُنفِّر. وفي نهاية المطاف اعتادوا عليها. ثمّ إنّها أوْلتْ واجباتِ عَمَلِها عنايةً فائقةً حتّى أنّ صاحبةَ المزرعةِ شملتْها بحمايتها. كانت تقودُ الخرافَ إلى المرعى وتُعيدها للحظائر في المواعيدِ المُحدّدَةِ، وترعى الدواجنَ بمهارةٍ كما لو كانت فعلت ذلك طيلة حياتها. كلّ ما تلسمه بيديها الجميلتين كان يبدو أكثر ينوعاً.

وفي أَحَدِ الأيام، كانت جالسةً عند نبعٍ صافٍ، اعتادت أنْ تذهبَ إليه لترثي لحالِها المُحزنة، فنظرت إلى انعكاسِ صورتها في الماء، وارتعبت لمنظرها بجلد الحمار البشع الذي يغطّي جسدها وشعرها. شعرت بالخجلِ من مظهرها، فغَسَلت وجهَهَا ويديها في الماء فارتدّت في بياضِ العاج، واستعادت بشرتُها نضارتَها الطبيعيّة. ولقد أشعرَها فرحُها بعودةِ جمالها إليها بالرغبةِ في الاستحمام، وبالفعل اغتسلتْ، لكنّها اضطُرّت في نهاية المطاف لارتداءِ الجلدِ المُخجلِ مرّةً أُخرى حتّى تعودَ إلى المزرعة. ولحُسن الحظّ، كان اليومُ التالي يومَ عطلةٍ، فأتيحت لها الفرصةُ كي تُخرِجَ صندوقَ زينتِها، فتزيّن نفسَها، وتُصلِحَ شَعرَها الجميل، وترتدي

Twitter: @6a1f

ثوبَها الذي بلونِ الزّمن. كانت حُجرتها ضيّقةً للغاية، حتّى أنّها ما كانت لتستوعب حاشيةَ الثوب الطويلة. وشعرت الأميرةُ، عن حقٍّ، بالزّهو لجمالها إذ تطلعت إلى نفسها في المرآة، فقرّرت أن ترتدي أثوابها الجميلة تباعاً في أيام العُطلِ والأعياد لترفّه عن نفسِها؛ وهو ما فعلتْه بالفعل. كانت في تلك الأيّام تُرَصّع شعرَها بالزهورِ والجواهرِ في نظامٍ بديعٍ، وتنتابها الحسرةُ إذ لم يكن من شاهدٍ على جمالِها سوى خِرافِها وديَكتها الرّوميّة، التي كانت كلّها تُحبّها حتّى وهي ملتحفة بجلد الحمار البشع، الذي بسببه أطلق كلّ من كانوا في المزرعةِ عليها اسمَ «جِلد الحمار».

وفي أحدِ أيّام الأعيادِ، ارتدت الفتاة ثوبَها الذي بلونِ الشّمس. وحَدَثَ يومَها أن نَزَلَ الأميرُ نجلُ الملك الذي تقع المزرعة في أملاكه ليستريحَ فيها في طريقِ عودته من رحلةِ صيد. كان الأميرّ شابّاً وسيماً حسن التكوين، محبوباً من لدن أبيه وأمّه الملكة ومن قبل الرعيّة. قدّم له القيّمون على المزرعة وجبةَ ضيافةٍ ريفيّةٍ فتناولها؛ ثمّ ثمّ أخَذَ في تفقّد أقنان الدّجاج وكلّ أركانِ المزرعة، متنقّلاً من مكانٍ إلى آخر، حتّى دخلَ ممرّاً مُعتِماً وجدَ في نهايتهِ باباً مغلقاً. دفعَه الفُضول إلى أن ينظرَ في ثقبِ المفتاح، فذُهِلَ لمرأى الأميرةِ بِجمالِها الشديد وثوبِها الخلاّب، وظنَّها كائناً سماويّاً لاجتماع النُبلِ والتواضع في مظهرها. شعَرَ باندفاعٍ في أحاسيسهِ

Twitter: @6a1f

كادَ يدفعَه إلى اقتحامِ الباب، ولم يمنعه من ذلك سوى التوقير الذي أوحى له به الشّخص الرائع الذي كان قابعاً هناك.

خرجَ بثاقلٍ من ذلكَ الممرّ المظلم، لا لشيء إلاّ ليسألَ مَن تكون الفتاة التي تسكنُ تلك الغُرفةَ الصّغيرة. قالوا له إنّها خادمةٌ تدعى «جِلد الحمار» بسببِ الجلدِ الذي ترتديه، وإنّها فتاةٌ شديدة الاتّساخِ فلا أحدَ يكلّمُها أو ينظر إليها، وإنّها تمّ تشغيلُها من بابِ الشفقةِ لا غير في رعْي الغنم والدواجن.

لم يقتنع الأميرُ بهذا التّفسير، وأدرك أنّ أولئك الفلاّحين لايعرفون أكثرَ من ذلك، وأنّه لا جدوى من مساءلتهم. وعادَ إلى قصرِ أبيه الملك، مدلَّهاً بالعِشق، والصّورةُ الجميلةُ لذلك الكائن السماويّ الذي رآه عبرَ ثقبِ المفتاح لا تفارق عينيه. ونَدِمَ لأنّه لم يطرق البابَ ليكلّم الفتاة، مُقرّراً ألاّ يضيّع مثل هذه الفرصة في مرّةٍ قادمة. لكنّ فوران دمه بسبب اضطرام الحبّ تسبَّبَ في إصابته، في الليلة ذاتها، بحمّى رهيبة، وسُرعانَ ما أصابَه هزال شديد. وانتاب اليأسُ أمّه الملكة التي لم تنجب غيره، إذ لم ينفع معه دواء، ووعَدَت الأطباءَ بمكافآتٍ سخيّةٍ، فجرّبوا كلّ علومِهم، ولم تُجدِ نفعاً في إشفاءِ الأمير.

في نهاية المطاف، خمّنَ الأطبّاء أنّ حزناً عظيماً هو سببُ كلّ تلك المعاناة، وأخبروا الملكةَ بذلك، فذهبت وملؤها الشفقة على

Twitter: @6a1f

ولدِها لتُعلِمَه بباعثِ مرضه؛ وسألتهُ إنْ كان الأمرُ يتعلّقُ بِرغبتهِ في التاج، فإنّ والدَه الملك سينزل له في هذه الحالة عن العرشِ غير آسفٍ ليعتليَه هو؛ وإن كان الأمر يتعلّق بأميرةٍ يرغب في الاقتران بها، فسينالها حتّى لو كان هناك خصومة وحروب مع والدها الملك وأسبابٌ حقيقيّة للخلاف؛ فسوف يُضحّى بكلّ شيءٍ حتّى يحصلَ هو على ما يرغب فيه. وتوسلّت إليه ألاّ يترك نفسَه يموت، لأنّ حياتها هي وحياة أبيه متوقّفتان على حياتهِ هو. وأنهت الملكةُ خِطابَها المؤثّرَ وقد أغرقت وجهَ ابنِها بسيلٍ من دموعها. فقالَ لها الأميرُ بصوتٍ واهنٍ للغاية:

– سيّدتي، لستُ ولداً عاقّاً لأطمعَ في تاجِ أبي، أتمنّى من السّماءِ أن يعيشَ سنينَ طويلةً وسأكون دوماً الأكثر إخلاصاً والأكثر إجلالاً له بين الرّعيّة. أمّا عن موضوع الأميرة الذي تقترحينه فأنا لم أفكّر في الزّواج بعد، وليقرّ في اعتقادكم أنّني دوماً رهنَ إرادتِكم وسوف أطيعكم إلى الأبدِ مهما كلّفَني ذلك.

قالت الملكة:

– سأبذلُ كلّ ما في وسعي لإنقاذ حياتك يا ولدي العزيز، لكنْ أنقذْ أنت حياتي وحياةَ أبيك وأفصحْ لنا عمّا ترغبُ فيه، وكن واثقاً من أنّك ستناله.

– حسناً يا سيّدتي! طالما توجّب عليّ أن أفصحَ عن أفكاري،

Twitter: @6a1f

فسأطيع رغبتكما، وإلاّ فسأكون مُذنِباً بتعريضِ حياةِ شخصَين عزيزَين عليَّ للخطر. نعم يا أمّي، أرغبُ في أن تَصنعَ لي الفتاة المسمّاة «جلد الحمار» كعكةً يؤتى إليَّ بها فورَ اكتمالها.

تساءلت الملكةُ باندهاش عمّن تكون «جلد الحمار» هذه. فتبرَّعَ بالردّ واحدٌ من الضباطِ كان قد رأى الفتاةَ من قبل:

– إنّها أبشع مخلوق بعدَ الذئب، فتاةٌ شديدة الاتّساخ بجلدٍ أسوَد، تعيشُ في ضِياعكم يا مولاتي لترعى الداوجن.

قالت الملكةُ:

– لا يهمّ، قد يكون ولدي ذاقَ كعكة صنعتها هي وهو عائدٌ من رحلةِ الصّيد. إنّها أمنيةٌ لمريضٍ؛ أريدُ أن تصنعَ الفتاة التي اسمها «جِلد الحمار» كعكةً لولدي في التوّ.

وهرُعَ إلى المزرعة أحد الضباط، وجيء بـ «جلد الحمار» وأُمِرَت بصُنعِ أفضلَ كعكةٍ للأمير.

يؤكدُ بعضُ الرّواةِ أنّ «جلد الحمار» كانت قد لاحَظَت عينَ الأميرِ عندما نَظَرَ من ثقب المفتاحِ على غرفتها؛ وأنّها تطلّعت من نافذتِها الصّغيرةِ بعدَذاك، ورأت ذلك الأميرَ الشابّ الشديدَ الوسامةِ، فاحتفظت بالذكرى، التي جعلتها تُطلق أحياناً بعض التنهّدات. وسواءٌ رأته أو سمعت اطراءً كثيراً على شخصه، فقد سُرّت لكونها استطاعت أنْ تَجِدَ إليه سبيلاً. فأغلقت على نفسِها

Twitter: @6a1f

حجرتَها، ونَضتْ عنها الجلدَ البشعَ، وغسلت وجهَهَا ويديها، وصفّفت شعرَها الأشقر، وارتدت صِداراً من الفضّةِ اللاّمعةِ وتنّورةً مماثلةً، وأخذت بتهيئة الفطيرةِ المرجوّة، تصنعها من أنقى صنوف الطحين، ومن بيض وزُبد طازجَين. وبينا تعمل، سَقَطَ خاتمٌ من أحدِ أصابعها في العجين واختلطَ به؛ ولا أحد يدري هل فعلتْ ذلك عمداً أم لا. وما إن نضُجت الكعكةُ، حتّى لفّت الفتاة نفسها بالجلد البشع وأخذتها إلى الضابط، وسألته عن أخبارِ الأمير. لم يكلّف الضابط نفسه عناء الردّ عليها وطارَ إلى الأميرِ بالكعكة.

تناول الأمير الكعكةَ من يد الرجل بشراهةٍ وأكلَها بحيويةٍ فائقةٍ، حتّى أنّ الأطبّاء الحاضرين هناك قالوا إنّ وثبته تلك لا تُعَدُّ علامةَ فألٍ حسَن. وأوشك الأميرُ على الاختناق عندما كادَ يبتلعُ الخاتم الذي وجده في قطعة منها؛ لكنّه انتزعه من فمه بمهارة، وتراجعت شهيته في التهام الكعكة، وهو يختبر بين يديه حجر الزمرّد الكريم المركّب على حلقة ذهبية كانت من النّحافة بحيث فكرَ في أنّ ذلك الخاتم لا يناسب سوى أجمل إصبع في العالم.

طبعَ على الخاتم ألفَ قبلةٍ ووضعَه تحت وسادتِهِ، وكان يخرجه من وقتٍ لآخر عندما يطمئن أنّ أحداً لا يراه. أعياه أن يتخيّل كيف سيرى صاحبة هذا الخاتم، ولم يجرؤ على تصديق من تكون.

Twitter: @6a1j

هل يطلب إحضار «جلد الحمار» التي صَنَعَت له الكعكةَ، وهل سيوافقونه على ذلك؟ هو أيضاً لا يجرؤ على ذكر ما رآه من ثقب المفتاح حتّى لا يتعرّض للسّخرية والاستهزاء كما لو كان مجنوناً يهذي. كلّ هذه الأفكار مجتمعةً كانت تؤرقه، فعاودته الحمّى من جديدٍ، وبضراوةٍ هذه المرّة، ووقع الأطبّاء في حيرة من أمره، وأعلنوا للملكةِ أنّ الأميرَ قد أتلفَه العِشق.

وهرعت الملكةُ إلى رؤية الأميرِ بصحبةِ الملك الذي اغتمّ لما جرى، وقال لنَجله:

– يا ولدي! يا ولدي العزيز، قُل لنا من هي التي تُريدُ الاقتران بها، ونَعِدُك بأن نزوّجها لك وإنْ تكنْ من أفقرِ الخادمات.

وأكّدت الملكةُ وهي تُقبّل ابنها كلامَ أبيه الملك. تأثّرَ الأميرُ لدموعِ والديه وملاطفاتهما له، فقال وقد أخرَجَ الخاتمَ من تحتَ وسادته:

– يا أبي، ويا أمّي، أنا لا أرغبُ في زيجةٍ لا تروق لكما، والبُرهان على هذه الحقيقةِ هو أنّي سأتزوّج الفتاةَ التي سيلائمُها هذا الخاتم أيّاً كانتْ؛ ولا يبدو لي أنّ مثل تلك الإصبع الرقيقة يمكن أن تكون لفلاّحةٍ أو لامرأةٍ من الرّعاع.

أخذ الملك والملكة يفحصان الخاتمَ، وأيّدا اعتقاد الأمير بأنّ مثْل ذلك الخاتم لا بدّ أنْ يكونَ لفتاةٍ من بيتٍ كريم. وخَرَجَ الملك

Twitter: @6a1f

بعد أن قبلَّ ابنَه متمنّياً له الشّفاء، وأمرَ بأن تُعزفَ الموسيقى وتُدَقّ الطبولُ في انحاء المدينة، وأن يخرج المنادون لدعوةِ جميع الفتيات للمجيء إلى القصرِ ليجرّبن الخاتم، ومن لاءَمها تزوَّجت الأميرَ وريثَ العرش.

جاءت الأميرات أوّلاً، ثمّ النبيلات باختلاف مقاماتهنّ، وأخفقت أصابعهنّ جميعاً في تجربةِ الخاتم، ولم تستطع أيٌّ منهنّ أنْ ترتديه، فتوجب الإتيان ببنات العوامّ، وكنَّ جميعاً من الجميلات، لكنَّ أصابعهنّ كانت أغلظ ممّا يجب. وكان الأمير الذي تماثل للشّفاء هو من يختبر أصابع الفتيات والخاتم. وفي الختام جيء بالخادمات ولم ينجحن بدورهنّ. ولم تبقَ أيّ فتاةٍ لم تجرّب الخاتمَ فأمرَ الأمير باستدعاء الطاهيات ومساعداتهنّ وراعيات الغنم، لكنّ أصابعهنّ الغليظةَ الحمراءَ القصيرةَ لم تنفذ من الخاتم أيضاً. فقال الأمير:

– هل نُحضِرُ تلك الفتاةَ المُسماةَ «جلدَ الحِمَار»، والتي صنعت ليَ الكعكةَ مؤخّراً؟

وأخذ الجميع في الضّحك ونصحوه ألاّ يفعل، إذ هي في غايةِ الاتّساخِ والقُبح. فقال الملك:

– اذهبوا لتُحضروها على الفورِ كي لا يُقَالَ إنّي استثنيت أحداً.

Twitter: @6a1f

وذهبوا ضاحكين هازئين ليأتوا بفتاةِ فناءِ الدّواجن.

كانت الأميرةُ قد سمعت قرعَ الطبولِ وزعيقَ المُنادين، وخمَّنت أنّ خاتمها هو سببُ هذا الهرج، فهي تحبّ الأمير، والحبّ الحقيقيّ وجِلٌ لا يعرف الكِبْر. وقد كانت في قلقٍ مستمرّ من أن يكونَ لامرأةٍ أخرى إصبع رقيقة كأصبعها. فانتابها فرحٌ عظيمٌ عندما جاءوا ودقّوا بابها ليطلبوها. منذُ سمعتْ أنّهم يبحثون عن إصبع ملائمة لخاتمها، دفعها أملٌ غامضٌ للعنايةِ بشَعرها وارتداء زيِّها الفضيّ الجميل بالتنّورة ذات النّسيج الفضيّ المخرَّم والمطرَّز بالزمرُّد. وحالما سمعت الطّرْقَ على بابها وعرفت أنّهم يطلبونها للذهاب إلى الأمير، لبِسَت جلدَ الحِمَارِ وفتحت البابَ؛ فقالوا لها بنبرةٍ سخريةٍ إنّ الملكَ يطلُبها لتتزوّج نجلَه، واصطحبوها بضحكاتهم المجلجِلةِ إلى الأميرِ الذي بُهِتَ بدوره من زيِّها، ولم يتخيّل أنّها هي نفسها التي رآها في ذروةِ الجمالِ والجلال.

كان حزيناً ومضطرباً لأنّه وقَعَ في مثل هذا الخطأ الفادح، وسألَها:

– هل أنتِ مَنْ تقطنين في أقصى ذلك الممرّ المُعتم، في الكوخ الثالث الملحق بفناء الدّواجن في المزرعة؟

أجابت الأميرة:

– نَعَم يا مولاي.

Twitter: @6a1f

قال لها الأميرُ مُرتعداً وفيما ينفثُ زفرةً عميقة:

- أريني يدَكِ.

ذُهِلَ الملكُ والملكةُ والحُجَّاب الواقفون ورجالُ البلاطِ، عندما خَرَجَت من تحت ذلك الجلدِ الأسود القذر يدٌ رقيقةٌ بيضاءُ ووردّيّة، واستقرّ الخاتمُ دون عناءٍ في أجملِ إصبعٍ وأرقِّ إصبعٍ في العالم؛ وبحركة بسيطة أسقطت الأميرةُ عنها جلدَ الحمار وبدت بجمالٍ خلاّبٍ، حتّى أنّ الأميرَ رَكَعَ بكلِّ خشوعٍ عند ركبتيها واحتضنهما، ممّا جعلها تحمَرّ خَجَلاً، وإنْ لم يلحظ أحدٌ ذلك إذ أقبل عليها الملك والملكة ليقبّلاها ويطلُبا يدَها لتتزوّجَ ابنهم.

وطفِقتْ الأميرة تشكرهم، خَجْلى من تودّدِهِم إليها ومن الحبّ الذي أظهرَهُ لها ذلك الأميرُ الوسيم. وإذا بسقف القاعة يُفتَح فجأةً وتهبط منه «جنيّة اللّيلك» في عربةٍ من أغصانٍ وزهورٍ آتيةٍ من النبتةِ التي تحملُ اسمَها، وحكت لهم بِظُرفٍ مُتَناهٍ قصّةَ الأميرة.

زاد الملك والملكة من تودّدِهِما بعد أنْ عرفا أنّ «جلدَ الحِمَارِ» هي في الأصلِ أميرةٌ عظيمةٌ، وتضاعفَ عشقُ الأميرِ لها لدى معرفتِه بمدى تقواها.

لم يَصبِر الأميرُ واستعجلَ زفافَه على الأميرةِ حتّى أنّه لم يتركْ إلاّ مهلةً وجيزةً لإجراء الاستعدادات الملائمةِ لمثل ذلك العرس

Twitter: @6a1f

المهيب. وافتُتِنَ الملكُ والملكةُ بكنَّتِهم الجميلةِ وأسبغوا عليها من حنانهما ومودّتهما؛ أمّا الأميرة فقد أعلنت أنّها لن تستطيعَ أنْ تتزوجَ الأميرَ بدونِ مباركةِ أبيها الملك؛ وكان هو من أوّل من أُرسِلت إليهم دعوات العُرسِ دون إخباره بمن تكون العروس. إنّ «جنّية اللّيلك»، التي كانت ترتّبُ الإجراءاتِ كلَّها، هي من طالبتْ بذلك، ناظرةً إلى العواقب. وجاء الملوك من كلّ البلدان: بعضهم محمولاً على المحفَّات، والبعض الآخر في العربات الفخمة، والأكثر بُعداً جاءوا على صهوات الفيَلة، أو النّمور، أو تحملهم النّسور؛ ولكنّ الأكثر مهابةً وعظمةً بينهم هو أبو الأميرة، الذي كان لحسن الحظّ قد نسيَ حبَّه المُحرّمَ لها وتزوّجَ ملكةً أرملةً ذاتَ جمالٍ عظيم، لم يُرزَق منها بأبناء. وعندما ظهرت أمامه ابنته الأميرةُ عرفَها وقبَّلها بحنانٍ بالغٍ قبل أن تركعَ هي عند ركبتيه. قدّم له الملكُ والملكةُ ولَدَهما الذي غمره هو على الفور بمحبّته. وأُقيمت الأفراح بكلِّ الأبّهةِ المتوقّعة. أمّا العروسان فقد أبدَيا أقلَّ اكتراثٍ ممكنٍ بتلك المظاهر، ولم ينشغل أحدُهما سوى بالآخر.

وفي الليلةِ ذاتها تنازلَ الملكُ أبو الأميرِ لابنه عن التاج، إذ قبّلَ يده وأجلسه على العرشِ، فاعترضَ الابن البارّ في البداية إلاّ أنّه أطاع رغبة والده في نهاية المطاف. واستمرّت الاحتفالات بذلك

Twitter: @6a1f

الزَفافِ طيلة ثلاثة أشهر، لكنّ حبَّ الزّوجين كانَ سيستمرّ إلى يومنا هذا، لو لم يموتا بعد زواجهما ذاكَ بمائةِ عام.

العِبرة

من السّهلِ أن نُدركَ أنّ مغزى هذه الحكاية
هو أنّ كلَّ صغيرٍ ينبغي أن يَعْلم
أنّ مُقاساةَ أفظعَ المِحَنِ لهيَ أفضل
من مجافاةِ روح الواجِب
وأنّ الفضيلةَ يمكنُ أن تكون عاثرةَ الحظّ زمناً،
بيدّ أنّها في نهايةِ المطافِ ظافرةٌ دوماً.

عِبرة أخرى

حكايةُ جِلدِ الحِمارِ قد يصعبُ تصديقُها
لكنْ طالما وُلِدَ في هذا العالم أطفال
وكانَ لهم جدّاتٌ وأُمّهات
فسيظلّ الجميعُ يتذكّرونَها.

Twitter: @6a1f

حكايات أمّي الإوَزّة

شعرَ الأميرُ الشابُّ بدفقةٍ من الحماس وفكّرَ بلا تردّدٍ أنّه سيضع نهايةً لمغامرةٍ جميلة. وعَقَدَ العزمَ. مدفوعاً بالرَغبةِ في الحُبّ والمجد. على الذّهاب لمعاينةِ المكانَ ليرى ما فيه... اجتازَ بهواً فسيحاً مبلّطاً بالرخام. ثمّ صَعَدَ الدرَجَ. ودخل إلى قاعةِ الحرس فوجدهم مصطفّين في صفوفٍ بأسلحتهم على أكتافهم مصدرين غطيطاً مضطرداً. مرّ بغُرَفٍ عديدةٍ ملأى برجالٍ وسيّدات نيام أيضاً. بعضهم واقفٌ والبعض الآخر جالس. ثمّ دخل إلى حجرةٍ تسطعُ ببريقِ الذهب. فرأى على الفراشِ الذي كُشِفَت عنه الستائرُ من كلّ اتّجاهٍ أجملَ منظرٍ وقعت عليه عيناه طيلةَ حياته: أميرة تبدو في نحو الخامسة عشرة أو السّادسة عشرة. لجمالها بهاءٌ نورانيّ وسماويّ. اقتربَ مرتعداً من الإعجاب. وجَثا على ركبتيه بالقربِ منها.

وحان موعد انتهاء مفعول السِّحر. فأفاقت الأميرة. ونظرت إليه بعينين ملؤهما الحنان كما لو لم تكن النظرة الأولى التي تبادله إيّاها. وقالت له:

- هذا أنتَ يا أميري؟ لقد جعلتَني أنتظركَ طويلاً.

@ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة
أطفال و ناشئة

كلمة KALIMA

الهدهد HUDHUD

9789948171430